

الندوات والمؤتمرات (١٤)

أبحاث ودراسات

أبحاث ودراسات

الندوة التي أقامها المركز بالشراكة مع

كلية اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

احتفاء بالعربية في يومها العالمي



مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language







أبحاث ودراسات

الندوة التي أقامها مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية بالشراكة مع
كلية اللغة العربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
احتفاء بالعربية في يومها العالمي ١٨/ديسمبر/٢٠١٤م
الموافق ٢٦/صفر/ ١٤٣٦هـ

الطبعة الأولى
الرياض
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

أبحاث ودراسات: السجل العلمي للأبحاث المقدمة في الندوة التي أقامها
مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية بالشراكة مع
كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
(٢٦ / صفر / ١٤٣٦ هـ - ١٨ / ديسمبر / ٢٠١٤ م).
/مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية .- الرياض، ١٤٣٦ هـ

١٩٦ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم. - (الندوات والمؤتمرات؛ ١٤)

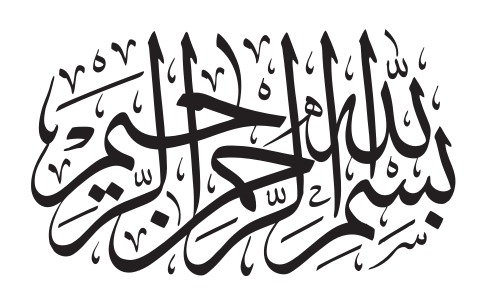
ردمك: ٥-٥-٩٠٦٤٨-٦٠٣-٩٧٨

١- اللغة العربية - ندوات ٢- اللغة العربية - بحوث
أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٦٣, ٤١٠ ١٤٣٦/٣٩٦٠

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٩٦٠

ردمك: ٥-٥-٩٠٦٤٨-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

تتكامل الأنشطة والبرامج في مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية فيما يحقق رؤيته العامة في دعم الأفراد والمؤسسات التي تعمل في خدمة اللغة العربية، وإيجاد حالة إيجابية من العمل المشترك، والتواصل البرامجي والمعرفي؛ تحقيقاً لأهدافه وسياساته العامة وتمثيلاً للاسم الكريم الذي يتشرف بحمله، واللغة الكريمة التي يخدمها.

وبدعم من معالي المشرف العام وزير التعليم العالي ورؤية مجلس أمنائه وضع المركز خطته في العمل ضمن دوائر دولية متعددة، منها: تفعيل الجهود المؤسساتية السعودية لمواكبة الحدث الدولي في الاحتفاء باللغة العربية الذي يأتي في ١٨ ديسمبر من كل عام، ويوافق يومها العالمي لعام ١٤٣٦هـ (يوم ٢٦ صفر)، ويخطط المركز لتكون المناسبة منبراً لإطلاق المبادرات، وتقييم الجهود، والنقاش العلمي، وأن يكون يوماً من الاحتفاء بسنة من الإنجاز السابق أو التهيؤ لعام قادم؛ لا أن تكون للاحتفاء الخطابي المجرد.

ويمثل اليوم العالمي للغة العربية مساراً من المسارات الرئيسة التي ينشط فيها المركز لتتكامل مع مساراته الأخرى في النشر والتعاون الدولي والتخطيط اللغوي والمشروعات العلمية والمؤتمرات وغيرها؛ إذ تعد اللغة العربية من أقدم لغات العالم استخداما وأطولها عمرا، كما أنها من أكثر لغات المجموعة السامية متحدثين، وتستمد خلودها

وانتشارها من كونها لغة للقرآن الكريم الذي يتصل به خُمُس العالم من خلال استخدام بعض كلماتها في الشعائر الدينية اليومية الرئيسة، إضافة إلى أنها لغة يتصل بها كثيرون لأسباب قومية أو ثقافية أو علمية.

وقد اقترح المركز على منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) موضوع (الحرف العربي) ليكون الموضوع الرئيس للاحتفاء؛ وذلك لتوحيد الجهود، وإبرازها على المستويين المحلي والعالمي، والعناية بهذا المسار اللغوي المهم، وقد أقرت الهيئة الاستشارية للخطة الدولية لتنمية الثقافة العربية هذا الموضوع وجرى إعلانه دوليا.

ويأتي اختيار المركز لموضوع الحرف العربي لما يمثله من قيمة رمزية للغة العربية، حيث يُنظر إلى الحرف من الزوايا الجمالية والثقافية والتاريخية، إضافة إلى أنه يمثل حلقة الوصل بين اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى مما مكَّن للحرف العربي الدخول في تكوينها في مختلف الثقافات والحضارات البشرية.

ولقد كان من أهم مجالات التعاون والشراكة في برامج الاحتفاء: الشراكة مع كليات اللغة العربية ومعاهد تعليمها وأقسامها؛ لتنفيذ ندوات علمية متخصصة مع برامج رديفة، حيث وضع المركز الإطار العلمي العام والغطاء المالي، وترك لهذه الجهات الأكاديمية بخبرتها العلمية ورؤيتها المتخصصة جميع التفاصيل من اختيار العنوانات، والباحثين، ومراجعة البحوث، وتحريرها، وتدقيقها لغويًا، وإعداد

الكتب، وتهيئتها للنشر، بحيث يكون العمل تكاملياً في خدمة اللغة العربية، مع ما رافق هذه الندوات من أجواء معرفية، بحيث تصبح المناسبة مجالاً لتقويم الجهود، وإعادة مناقشة المناهج، واختبار المسيرة، وهو ما يدفعنا إلى تقديم مزيد من الشكر والتقدير للجهود الجادة التي واكبت التحضير لها أو انعقادها.

ويمثل هذا الكتاب واحدا من ثمرات الشراكة مع الجامعات في هذا اليوم العالمي، وإننا لنشكر كل من أسهم فيه بالجهد الإداري والعلمي، ونرجو أن تكلل هذه الجهود بالنجاح والتوفيق.

وفق الله الخطى، وسدد الآراء في خدمة لغتنا الشريفة.

الأمين العام

د. عبد الله بن صالح الوشمي

نـــــدوةٌ

(الحرف العربي)

التي أقيمت احتفاءً باللغة العربية في يومها العالمي

١٨/ديسمبر/٢٠١٤م الموافق ٢٦/صفر/١٤٣٦هـ

بالشراكة بين مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية وكلية اللغة العربية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

قائمة الأوراق العلمية المقدمة في الندوة

م	الورقة العلمية	مقدمها
١	الحرف العربي بين جمال الصورة وإبداع الدلالــة	د. حمدي سلطان حسن أحمد العدوي
٢	خصائص العربية وأثرها في التعليم	د. سعود بن عبد الله آل حسين
٣	المستشرقون وقضايا الحرف العربي	أ.د. محمد بن إبراهيم القاضي
٤	حفظ العربية من حفظ الدين	د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين
٥	تجربتي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها	أ.د. حمد بن ناصر الدخيِّل

مقدمة

بسم الله، والحمد لله الذي أشرقت بنور وجهه السماوات والأرض، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي محمد بن عبدالله، خير من نطق بالضاد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا- أما بعد :

يجيء هذا الكتاب ثمرة يانعة من ثمرات الشراكة الفاعلة والتعاون البناء بين مؤسستين كبيرتين من مؤسسات العربية، كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، احتفاء من المؤسستين باليوم العالمي للغة العربية الذي وافق الثامن عشر من شهر ديسمبر، في العام الميلادي ٢٠١٤م، حيث تشاركت الكلية والمركز في إقامة ندوة علمية كبرى تعاطى فرسانها - وهم من أساتذة الكلية- مع جوانب متعددة تتأسس على مصيرية اللغة العربية؛ وضرورتها لحياتنا، وتنطلق من الإيمان بأن العربية ليست مجرد لغة تخاطب، ولكنها أبعد من هذا بكثير، فهي جزء لا يتجزأ من هويتنا وانتمائنا، وهي أيضا قيمة عليا من قيمنا، ومبدأ راسخ من مبادئ وجودنا وانتمائنا، إنها لغة القرآن الكريم التي بها نزل بلسان عربي مبين، لغتنا التي تكفل الله عز وجل بحفظها حفظا لكتابه العزيز .

إن اليوم العالمي للغة العربية الذي نحتفي به في كل سنة ما هو إلا تذكير يسير بعظيم الواجب المناط بنا جميعا تجاه لغتنا ولغة كتابنا العزيز، فالله الله أيها الأعزاء بلغتكم حافظوا عليها حفاظكم على أثمن ما تملكون، وأظهروا عزتكم وفخركم بها، فإن هذه اللغة قيمة عليا من قيمنا ومبدأ سام من مبادئنا، وجزء لا يتجزأ من ديننا، وعلينا - نحن المتخصصين في اللغة العربية - أن نكون دعاة خير لها، وأن يكون تمسكنا بها واعتزازنا بها مضاعفا، وأن نحمد الله العلي القدير الذي يسر لنا دراستها ومنحنا فضيلة التعمق في أسرارها، وهي كالبحر الذي لا ساحل له، مليئة بالأسرار والكنوز

ويجدر بي هنا أن أشيد بعناية وطننا وولاة أمرنا بهذه اللغة المجيدة فقد أنشأت الكليات المتخصصة في اللغة العربية في معظم جامعاتنا، وأعرقها على الإطلاق كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كما أمر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - بإنشاء مركز دولي يعنى بخدمة لغة القرآن، وَمَنَحَهُ شرف اسمه، وهو مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، شريكنا الاستراتيجي، وداعم هذا الكتاب وممولِه .

وفي خاتمة هذه المقدمة لابد أن أقدم من الشكر أجزله وأوفاه للباحثين الكرام الذي أتحفونا ببحوث علمية معمقة، كما أكرر شكري وتقديري لمركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية وهم شركاؤنا في هذا المنجز، وفي غيره، حيث إن رسالتنا واحدة وهمنا واحد، وهو خدمة لغتنا الخالدة، فلهم جزيل الشكر على دعمهم المتواصل، وتمويلهم لهذا الكتاب، ودعمهم الدائم لكل الجهود المبذولة في خدمة العربية في الداخل والخارج.

والشكر لكل من دعم وساند وتفاعل مع الكلية والمركز ليكون هذا الكتاب مختلفا واستثنائيا وخالصا للغة القرآن الكريم .

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د.أحمد بن محمد العضيب

عميد كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحرف العربي
بين جمال الصورة وإبداع الدلالة

د. حمدي سلطان حسن أحمد العدوي
أستاذ فقه اللغة المشارك بكلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحمدُ لله ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق:٤-٥] أحمده حمدًا كثيرًا دائمًا طيبًا على جزيل نعمه، وكثير عطائه، وأُصلِّي وأُسلِّم صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه . أما بعدُ:

فمما هو غير خاف عن ذوى الألباب أنَّ اللغةَ أداةٌ لا غنى للإنسان عنها، فبها يعبر عن أحاسيسه وأفكاره ومشاعره التي تعتلج في صدره، وبها يُسجَّل تاريخ الأممِ وحضارتُها.

واللغة – كانت ولا تزال – من آصل وسائل التفاهم والترابط بين أفراد المجتمع الواحد، والمجتمعات الأخرى.

ويمثِّل الحرفُ[1] جانبًا مهمًّا من جوانب كِيان اللغة، إذ هو اللبنة الأولى في

---

(٢) الحرف في اللغة: يراد بها حد الشيء وحدته. سر الصناعة لابن جنى ١/ ١٣ – ١٤ .قال ابن فارس: « الْحَاءُ الرَّاءُ وَالْفَاءُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: حَدُّ الشَّيْءِ، وَالْعُدُولُ، وَتَقْدِيرُ الشَّيْءِ ، فَأَمَّا الْحَدُّ فَحَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ حَدُّهُ، كَالسَّيْفِ وَغَيْرِهِ. وَمِنْهُ الْحَرْفُ، وَهُوَ الْوَجْهُ. تَقُولُ: هُوَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، أَيْ طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ اللَّه – تَعَالَى- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج:١١]. أَيْ عَلَى وَجْهٍ وَاحِدٍ ...وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الِانْحِرَافُ عَنِ الشَّيْءِ. يُقَالُ انْحَرَفَ عَنْهُ يَنْحَرِفُ انْحِرَافًا. وَحَرَّفْتُهُ أَنَا عَنْهُ، أَيْ عَدَلْتُ بِهِ عَنْهُ ...وَالْأَصْلُ الثَّالِثُ: الْمِحْرَافُ، حَدِيدَةٌ يُقَدَّرُ بِهَا الْجِرَاحَاتُ عِنْدَ الْعِلَاجِ» اهـ المقاييس م حرف .

والحرف من ناحية التحليل الفيزيائي صورة سمعية للمسموع ، يقول الكفوي : « الحرف كَيْفيَّة تعرض للصوت، بهَا يمتاز الصَّوْت عَن صَوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزا في المسموع ، لَا يُقَال عرُوض الْكَيْفيَّة للصوت يسْتَلْزم قيام الْعرض بِالْعرضِ، لأَنا نقُول: اللَّام فِي الصَّوْت لأجل التّبعِيَّة، فَالْمَعْنى أَن الْحَرْف كَيْفيَّة تعرض للجسم بتبعية الصَّوْت فَلَا يلْزم مَا ذكر» اهـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للكفوي ص ٣٩٤ المحقق: عدنان درويش – محمد المصري – الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .

هذا الكِيان الحيويّ.

ولما كانت تلك هي مكانة الحروف وأهميتها ، فقد شغلت أذهانَ كثيرٍ من علماء اللغة – قديمًا وحديثًا – وتناولوها بالدراسة سواء كانت مفردة أو مركبة[1] .

وقد جذب انتباهي– منذ زمن ليس باليسير – تلك العنايةُ التي حَظِي بها الحرفُ العربيُّ، من حيثُ جمالُ الصورةِ والتفننُ في إخراجها ، أو من حيثُ الدلالةُ وإبداعُها، فأردتُ – من خلال هذا البحث الموسوم بـ «**الحرفُ العربيُّ بينَ جمالِ الصورةِ وإبداعِ الدلالة**» – أن أتتبعَ التطورَ الشكليَّ الذي اعترى صورةَ هذا الحرفِ عبر تاريخه الطويل ، ثم أُلقي الضوء على أهمِّ ما ذكره القدامى في مجال الحديث عن دلالته ، وموقف الدرس الحديث من ذلك كله ، مع بيان وجه الحق في ذلك – فيما أحسَبُ– ما وسعني الوصولُ إليه مُدعَّمًا بالدليل .

وحتى يخرج البحث بنتائجَ دقيقة ، وسليمة ، ومحددةٍ سرتُ في عرض محتواه وَفْق خطة محددةٍ انبثقت من تصنيف المادة العلمية –موضوع البحث– تمثلت في مقدمة وتمهيدٍ وثلاثةِ مباحث، وخاتمةٍ ، وذلك على النحو الآتي:

فالحرف : صوت اعتمد على مقطع، أي مخرج محقق، وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق، واللسان، والشفتين ، أو مقطع مقدرٍ، وهو هواء الفم إذ الألف لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم بحيث إنه ينقطع في ذلك الجزء.

نهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ / محمد مكى نصر ص ٢٨ ط١ المطبعة الأميرية العامرة بالقاهرة سنة ١٣٠٨هـ.

وأما الصوت فهو « عبارة عن هواء النفس الخارج من الرئتين عندما يكون مسموعًا، سواء أكان صوتًا لغويًا، كالسين ، واللام ، والميم ، أم غير لغوى كصوت الكُحَّة – مثلًا – وما شابهها « اهـ عن علم التجويد القرآني ص ٢٩ .

وإلى الفارق بين الحرف والصوت يشبر ابن جني، فيقول : اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلًا متصلًا ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها» اهـ سر صناعة الإعراب لابن جنى ١/ ٦ .

(١) أي في الكلمة المفردة أو أثرها في تركيب الكلام ، وهذا ما سيبينُ عنه المبحث الثالث من البحث .

- **المقدمة** : تكلمتُ فيها عن أهمية الموضوع ، ودوافعه ، وخطة البحث فيه .

- **التمهيد** : تحدثت فيه عن الكتابة : **المفهوم ، والاختراع ، والتطور** .

- **المبحث الأول**: الكتابة العربية قبل الإسلام : البداية ، والتطور .

- **المبحث الثاني** : الخط العربي بعد الإسلام : فنٌّ وجمال .

- **المبحث الثالث** : الإبداع الدلالي للحرف العربي.

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الحرف العربي وقيمته الدلالية .

المطلب الثاني : الحرف العربي ودلالـــة الإيحـاء .

المطلب الثالث:الحرف العربي والاختزال اللغوي .

المطلب الرابع : الحرف العربي والدلالة الصامتة .

المطلب الخامس: الحرف العربي والنحت .

المطلب السادس: الحرف العربي وإعجاز القرآن (الحروف المقطعة أنموذجًا) .

- **الخاتمة** – أسأل الله حسنها – وفيها ذكرت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

- **ثبت بأهم المراجع والمصادر .**

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل .

الدكتور/حمدي سلطان حسن أحمد

مدخل الدراسة :

الكتابة : المفهوم، الاختراع، التطور.

- **مفهوم الكتابة** :الكتابة في اللغة: مصدر كتب، من الكَتْبَ، وهو : «خرز الشّيء بسَيْر، والكُتْبَةُ: الخُرْزَةُ الّتي ضمَّ السَّيرُ كلا وَجْهَيْها، والنّاقةُ إذا ظُئِرتْ على ولد غيرها كُتِبَ مَنْخِراها بخَيْط لئلاّ تشمّ البَوَّ والرَّأْم، قال ذو الرّمة[1] (من البسيط) :

وَفْراءَ غَرفيّةٍ أثأى خوارِزُها... مُشَلْشِلٌ ضَيَّعَتْهُ بينَها الكُتَبُ

والكَتْبُ: الخَرْزُ بسَيْرَيْن، قال [2] (من البسيط) :

لا تَأْمَنَنَّ فزاريًا خَلَوْتَ به ... على قَلوصِكَ واكْتُبْها بأسيارِ

والكتابُ والكتابة : مصدر كتبت[3]، يقال: « كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً وكَتَّبَه: خَطَّه ، قال أَبو النجم[4] (من الرجز):

أَقْبَلْتُ من عِنْدِ زيادٍ كالخَرِفْ تَخُطُّ رِجْلايَ بخَطٍّ مُخْتَلِفْ

.(٥)«تُكَتِّبانِ في الطَّريقِ لامَ أَلِفْ

<u>واصطلاحًا :</u>

إعمال القلم باليد في تصوير الحروف ونقشها، وقد تطلق على نفس الحروف المكتوبة؛ فإنها نقوش دالة على الكلام دلالة اللسان على ما في الجنان، الدال على

(١) ينظر ديوانه ص ١٠ .

(٢) هذا البيت منسوب إلى سالم بن دارة ينظر: العين للخليل م كتب، وجمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٢٨٨، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري ١/ ١٤، ومجمع الأمثال للميداني ١/ ١١، وتاج العروس م جوف.

(٣) العين للخليل م كتب .

(٤) لسان العرب م كتب .

(٥) لسان العرب لابن منظور م كتب .

ما في خارج الأعيان[١].

- **اختراع الكتابة ، وتطورها :**

جدير بنا بعد هذا أن نشير إلى الصورة الأولى للكتابة الإنسانية منذ اختراعها، وما آلت إليه بعد ذلك، على النحو التالي :

(١) الكتابة التصويرية :

إن أقدم صورة للكتابة الإنسانية عرفها الإنسان هي « الكتابة التصويرية ، التي تقوم على أساس تمثيل كل شيء ، أو فكرة بعلامة أو صورة مساوية لذلك الشيء ، أو تلك الفكرة ، وهى كتابة تتميز بأن قراءتها في متناول أي إنسان لأن صورة الشيء تفصح عن مدلوله ، فإذا رأينا صورة إنسان يحمل قوسًا ومعه كلبه وقريبًا منه صورة غزال يعدو ، أمكننا بسهولة أن ندرك أن ذلك يدل على رحلة صيد . ومن أشهر الكتابات التصويرية: الكتابة الهيروغليفية ، والصينية ، والسومرية في صورتها القديمة» [٢].

شمس	*rʿ*	☉ |
بيت	*pr*	⌴ |
اندفاع (*t* مُكمل صوتي)	*swt*	[illegible]

(١) القواعد الجليلة والفوائد الجميلة في الكتابة القياسية وتجويد القرآن والرسوم العثمانية للشيخ / على المصري بن إسماعيل مخطوط محفوظ بالمكتبة الأزهرية لوحة رقم /٣ أخ ، وسمير الطالبين للشيخ / على الضباع ص ٥ .

(٢) علم الكتابة العربية للدكتور / غانم قدوري الحمد ص ٢٧ – ٢٨ .

	ḏw	جبل	
	nṯr	مدخل المعبد	
	b 3	عصفور برأس بشرية وامامه مبخرة (المعنى الحرفي ل bâ)، ومعناها روح	روح، « bâ »
	dšr	« البشروس » -النطق الصوتي لها هو « دشر »، ومعناها «أحمر» وهي تعبر أيضا عن الصحراء لكون لونه أحمر ، فالصحراء ليست أرض خصبة خضراء . ربما جاءت من كلمة «دشر» الفرعونية كلمة «دسرت desert» الإنجليزية	



شكل من أشكال الكتابة الهيروغليفية(١)

(١) كلمة «هيروغليفية» تعني بالإغريقية نقش مقدس ”sacredcarving“. وظهرت اللغة الهيروغليفية hieroglyphs لأول مرة في مخطوط رسمي مابين عامي ٣٣٠٠ ق.م. و٣٢٠٠ ق.م. وفي هذا المخطوط

استخدمت الرموز فيه لتعبر عن أصوات أولية . وأخذت الهيروغليفية صورها من الصور الشائعة في البيئة المصرية. وكانت تضم الأعداد والأسماء وبعض السلع . وفي عصر الفراعنة استعملت الهيروغليفية لنقش أو زخرفة النصوص الدينية علي جدران القصور والمعابد والمقابر وسطح التماثيل والألوح الحجرية المنقوشة والألواح الخشبية الملونة . وظلت الهيروغليفية ككتابة متداولة حتي القرن الرابع ميلادي. وظهرت الهيراطيقية Hieratic كنوع من الكتابة لدي قدماء المصريين . وهي مشتقة من الهيروغليفية . لكنها مبسطة ومختصرة . وهي مؤهلة للكتابة السريعة للخطابات والوثائق الإدارية والقانونية .وكانت هذه الوثائق تكتب بالحبر علي ورق البردي .. وظلت هذه اللغة سائدة بمصر حتي القرن السابع ق.م. بعدما حلت اللغة الديموطقية محلها . ويمكن تقسيم الهيروغليفية حسب استعمالها إلى فئات ثلاث:

١ – الأيديوجرامية : رموز تدل على رسم الكلمات .

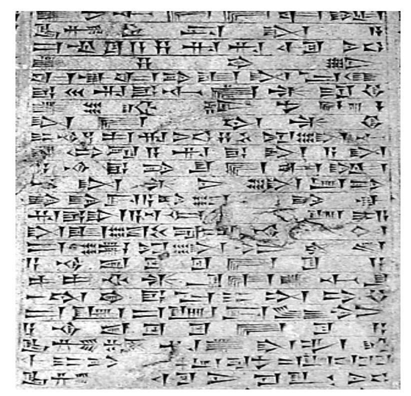
٢ – الفونوجرافية : رموز تدل على الأصوات .

٣ – رموز تدل على تعيين المعنى .

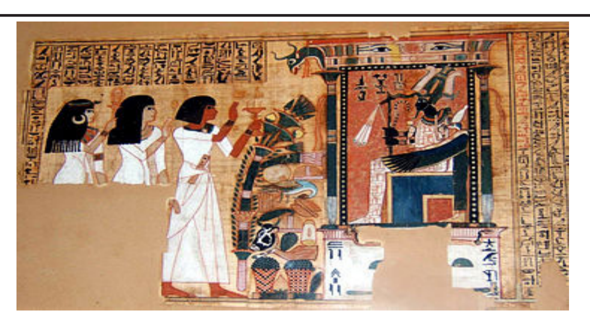
وقد اتخذت الفونوجرامية أساسًا للأبجديَّة ، إذ كانت عاملًا على تقدم الكتابة الهيروغليفية ... وكان للعثور على حجر رشيد الفضل فى فك رموز اللغة الهيروغليفية ، وذلك بمساهمة كثير من العلماء ، أهمهم : شمبليون ، وتوماس يونج ، واكربلاد، ودى ساسى ، وكان أولهم أكثرهم توفيقًا ؛ لإثباته أن الهيروغليفية ليست كتابة رمزية بحتًا ، وإنما هي في معظمها كتابة صوتية تتكون من علامات مختلفة لكل منها قيمة صوتية محددة . الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٢٧ .

وتدل الهيرُغليفية المصرية على نظام الكتابة الذي استعمل في مصر القديمة لتسجيل اللغة المصرية والقيام بعمليات الجمع والطرح والحساب.

وأقدم ما وصلنا مكتوبًا بالهيروغليفية مخطوط رسمي ما بين عامي ٣٣٠٠ قبل الميلاد و ٣٢٠٠ ق.م. في ذلك المخطوط استخدمت صور لترمز إلى أصوات أولية للكلمات، وقد استوحى المصري القديم تلك الصور من الموجودات الشائعة في البيئة المصرية في ذلك الوقت، من نبات وحيوان وأعضائها ومن الإنسان وأعضائه ومن مصنوعاته وغيرها. مثل الفموي نطق (را)، والعين وتنطق (يري) والعرش وينطق (ست) والبيت وينطق (بر) أو الثعبان (فاي) ويؤخذ منها الحرف الأول (ف)، والبومة (م) والحدأة (أ)، كما استعملوا رموزا دخلت فيما بعد إلى الكتابة العربية مثل (هـ) و(و) و(ش). أخذوا أيضا أسماء ذات حرفين للتعبير عن حرفين متتاليين : مثل البيت (بر) ، والعرش (ست) ، و الأرنب (ون) . كما استعملوا من بعض الكلمات ثلاثة حروف ، مثل : عنخ (ومعناها حياة) ، وحتب (ومعناها راضي أو قربان)، و نفر (ومعناها جميل) .

شكل من أشكال الكتابة السومرية[١]



كتابة نص من كتاب الموتي . الصورة تبين أوزوريس إله العالم الآخر في صومعته ويتقدم إليه عائلة من الصالحين بملابسهم البيضاء بعد اجتيازهم «يوم الحساب» .

هكذا استعملت الهيرغليفية كنمط كتابة رسمي لتسجيل الأحداث على المعالم والنصوص الدينية علي جدران المعابد والمقابر وأسطح التماثيل والألواح الحجرية المنقوشة والألواح الخشبية الملونة، وبسبب طبيعتها كانت تعد منذ القدم نظامًا للكتابة وفنًا زخرفيًا جميلاً في آن واحد، مثلها في ذلك مثل الخط العربي.

ومن أهم الكتابات عند المصريين القدماء كتابة أسمائهم، وأسماء الأب والأم والأخوات، لأنهم كانوا يعتقدون أنه للبعث في الحياة الآخرة لا بد من المحافظة على اسم الشخص إلى جانب المحافظة على جثمانه ، وضياع الاسم يعتبر الفناء الكامل. وكانوا يكتبون كذلك وظائفهم بجانب أسمائهم ، مثل رئيس الكتاب أمن تب (أمير–شس امنحت)، وإذا توفي رئيس الكتاب أمنحت مثلا ، فكانوا يكتبون اسمه ووظيفته كالآتي : «أمير–شس أمن حت، ماع خرو » أي رئيس الكتاب أمنحت ،الصادق في كلامه (أمام الآلهة يوم الحساب) بمعنى المغفور له .الموسوعة الحرة ويكبيديا .

(١) الكتابة السومرية وتسمى المسمارية Cuneiform ، نوع من الكتابة تنقش فوق ألواح الطين والحجر والشمع والمعادن وغيرها. وهذه الكتابة كانت متداولة لدي الشعوب القديمة بجنوب غربي آسيا . وأول هذه

وتتكون الكتابة الهيرغليفية من مجموعة من النقوش المستمدة من الحياة اليومية فهي كتابة تصويرية بالإضافة لوجود حروف أبجدية، وإن كانت أكثر تعقيدًا من الأبجدية المعروفة الآن في اللغات المنتشرة فالأبجدية في الهيرغليفية تنقسم لثلاث مجموعات:

المخطوطات اللوحية ترجع لسنة ٣٠٠٠ق.م . وهذه الكتابة تسبق ظهور الأبجدية منذ ١٥٠٠ سنة . وظلت هذه الكتابة سائدة حتي القرن الأول ميلادي . وهذه الكتابات ظهرت أولا جنوب بلاد الرافدبن بالعراق لدي السومريين للتعبير بها عن اللغة السومرية وكانت ملائمة لكتابة اللغة الأكادية والتي كان بتكلمها البابليون والآشوريون .و تم اختراع الكتابة التصويرية في بلاد ما بين النهرين قبل العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد حيث كانت تدون بالنقش علي ألواح من الطين أو المعادن أو الشمع وغيرها من المواد. و تطورت الكتابة من استعمال الصور إلى استعمال الأنماط المنحوتة بالمسامير والتي تعرف بالكتابة المسمارية. وأول كتابة تم التعرف عليها هي الكتابة السومرية والتي لا تمت بصلة إلى أي لغة معاصرة. وبحلول عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد تم اعتماد الخط المسماري لكتابة اللغة الأكدية، كما استعمل نفس الخط في كتابة اللغة الآشورية واللغة البابلية، وهي كلها لغات سامية مثل اللغتين العربية والعبرية. وتواصل استعمال الخط المسماري للكتابة في لغات البلاد المجاورة لبلاد ما بين النهرين مثل لغة الحطيين(الحيثيين) واللغة الفارسية القديمة، وكانت تستعمل إلى نهاية القرن الأول الميلادي. وتم فك رموز الخط المسماري في القرن التاسع عشر وبذلك تسنى للعلماء قراءة النصوص الإدارية والرياضية والتاريخية والفلكية والمدرسية والطلاسم والملاحم والرسائل والقواميس المسمارية . ويوجد حوالي ١٣٠٠٠٠ لوح طيني من بلاد الرافدين في المتحف البريطاني. وكانت الكتابة المسمارية لها قواعدها في سنة ٣٠٠٠ ق.م. إبان العصر السومري حيث انتشر استعمالها . فدوَّن السومريون بها السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء و الشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير و النصوص المسمارية القديمة و الشؤون الدينية والعبادات . وأيام حكم الملك حمورابي (١٧٢٨ - ١٦٨٦ق.م.) وضع شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء مملكة بابل .وهذه الشريعة عرفت بقانون حمورابي الذي كان يضم القانون المدني والأحوال الشخصية وقانون العقوبات .وفي عصره دونت العلوم . فانتقلت الحضارة من بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم القديم . وكان الملك آشوربان يبال (٦٦٨-٦٢٦ق.م.) من أكثر ملوك العهد الآشوري ثقافة. فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب قومية خاصة شيّدها في عاصمته نينوى بالعراق. و جمع فيها كل الألواح الطيتية التي دونت فوقها العلوم والمعارف والحضارة العراقية القديمة . وكان البابليون والسومريون والآشوريون بالعراق يصنعون من عجينة الصلصال Kaolin (مسحوق الكاولين) ألواحهم الطينية الشهيرة التي كانوا يكتبون عليها بآلة مدببة من البوص بلغتهم السومرية .فيخدشون بها اللوح وهو لين. بعدها تحرق هذه الألواح لتتصلب.

ومنشأ التسمية أن الخطوط القديمة المستخدمة كانت رؤوس العلامات فيها تنتهى بما يشبه المسامير أو المخروطات . ينظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٥٩ .

المجموعة الأولى: هي الرموز الأحادية ، أي الحروف أحادية الصوت مثل الحروف المعتادة اليوم، مثل (أ) و(ب) و(ت) وغيرها.

المجموعة الثانية: الرموز الثنائية الصوت، وهي رمز أو نقش واحد ولكن ينطق بحرفين معا، مثل (من) ومعناها «ينشيء» أو «بناء» ، و(بر) ومعناها «بيت» ، و(ست) ومعناها «سيدة» أو أحيانا «مكان» وغيرها.

المجموعة الثالثة: الرموز ثلاثية الصوت، وهي نقش أو رمز واحد ولكن يعني ثلاثة أصوات، مثل (حتب) ومعناها «راضي» أو «سلام» ، و(عنخ) ومعناها «حياة» ، و(آخت) ومعناها «أفق» ، و(نثر) معناها «إله» ، و (نفر) ومعناها «جميل» ، وغيرها.

وذلك بالإضافة لمجموعة من العلامات الأخرى والتي لا تنطق؛ وإنما هي من أجل أغراض نحوية مثل تحديد المثنى والجمع والمذكر والمؤنث وبعض الرموز المؤكدة للمعنى والتي تعرف بالمخصصات، ومن المخصصات (رجل) و(امرأة) و(ملك)، أو عضو من أعضاء الجسم مثل (يد)، (رجل) و(رأس) و(أنف) و(عين) ، وغيرها . وهذه المخصصات تضاف أحيانا بعد الكلمة للتأكيد على معناها .

هيروغليفيات			
تعليق	لفظ	نسخ	إشارة المرور
ألف،	ا	A	
ياء	ي	ỉ	

ياء مضاعف	ي	Y	أو
عين	ع		
واو	و	W	أو
باء	ب	B	
	پ	P	
	ف	F	
	م	M	
	ن	N	
	ر	R	
	هـ	H	
	ح	ḥ	
	خ	ḫ	

	خ	ẖ	
	س	S	أو
	ش	Š	
قاف	ق	Q	
	ك	K	
	گ(ج مصرية)	G	
	ت	T	
	تش	ṯ	
	د	D	
	ج	ḏ	

(٢) الكتابة الرمزية :

لم تستطع الكتابة التصويرية أن تعبّر عن حاجات الإنسان نظرًا لعدم تناهي الأشكال والصور، والمعاني التي لا تصور، لذا تطورت «باستخدام الأسلوب الرمزي في الكتابة، فكانت العلامة تستخدم للدلالة لا على الشيء المادي الذى تمثله فحسب، بل للدلالة أيضًا على الأسماء والأفعال والصفات ذوات العلاقة بالشيء المادي الذى تمثله العلامة»[١].

(١) علم الكتابة العربية د. غانم قدوري الحمد ص ٢٨ .

(٣) الكتابة المقطعية :

لما كانت العلاقة بين الشيء وصورته المكتوبة في الكتابة التصويرية علاقة معنوية يدركها كل إنسان بغض النظر عن لغته التي يتكلمها، صارت بذلك «عاجزة عن التعبير عن الأفكار بشكل دقيق، فعمل الإنسان على تطويع الكتابة للتعبير عن حاجاته كافة، وذلك بجعل العلاقة بين الشيء وصورته المكتوبة علاقة صوتية ، لكنها بدأت مقطعية، أي أن المقطع الصوتي المؤلَّف من أكثر من صوت يعبَّر عنه برمز واحد ..» [١].

(٤) الكتابة الأبجدية :

هذا النوع من أنواع الكتابة يقوم على « تخصيص رمزٍ واحدٍ للصوت الواحد، أي أن الرموز المستخدمة في الكتابة تكون بعدد مساوٍ للأصوات التي تتألف منها اللغة، وانخفضت بذلك الرموز المستخدمة في الكتابة إلى ما يقارب الثلاثين ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً»[٢].

وحروف الأبجدية مجموعة في:» أَبْجَدْ، هَوَّزْ، حطِّي ،كَلَمُنْ، سَعْفَصْ، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغْ، ويجعل المغاربة ترتيب الألفاظ الأخيرة: صعفض قرست ثخذ ظغش. ويتفق الترتيب المشرقي مع ترتيب العبرية والآرامية، مع وضع الأحرف الستة التي تختص بها العربية في آخر المجموعة ..»[٣].

فالحروف العربية كاملة ترتيبها في الأبجدية على النحو التالي : أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، ظ، غ

---

(١) علم الكتابة العربية د. غانم قدوري الحمد ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ص ٢ ط دار القلم و مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

(٥) الكتابة الألفبائية :

ابتكر العرب ترتيبًا آخر ، يجمع الحروف المتشابهة في الرسم معًا ، سمى بالألفباء لابتدائه بهما.

ويرجع هذا الترتيب إلى اللغوي نصر بن عاصم الليثي (ت ٩٠ هـ / ٧٠٨م) بتكليف من الحجاج بن يوسف الثقفي (ت هـ ٩٥ / ٧١٤ م) وقد سمي هذا الترتيب اصطلاحًا بالترتيب الهجائي تمييزًا له عن الأبجدي المذكور آنفًا.

وحروف الألفبائية – كما هي الآن – : «أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي» .

وللمغاربة ترتيبهم الخاص المتفق مع المشارقة إلى الزاي، ثم يأتي: ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ى .

وقد نال هذا الترتيب شهرة كبيرة وبخاصة في عصرنا الحالي ، فعليه رتبت المعاجم الحديثة ، كمعاجم اللبنانيين ، ومعاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وغيرها ، وعليه تُرتب المراجع والمصادر في خاتمة البحوث والرسائل العلمية .

وابتكر الخليل بن أحمد ترتيبًا يقوم على موضع إخراج الحرف ، وهو: ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ى ا ء[1] .

وجدير بالذكر هنا أن الكتابات المستخدمة في زماننا معظمها من هذا النوع الأخير ، وهو الكتابة الألفبائية «لكن تحديد المكان والزمان الذى حصل فيه ذلك التطور لا يزال موضع خلاف بين الباحثين في أصل الكتابة ، وإن كانوا جميعًا يشيرون إلى المنطقة الواقعة شرقي البحر المتوسط وما يحاذيها من الجنوب، ويذكرون الكنعانيين والفينيقيين على أنهم رواد ذلك التطور، وأن ذلك قد تم في

---

(١) علم الكتابة العربية د. غانم قدوري الحمد ص ٢٩ ..

حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد»[١] .

المبحث الأول

الكتابـة العربية قبل الإسلام : البداية ، والتطور

تمهيد :

الحياة لا تعرف الدوام، ولا تلبس ثوب الركون والخلود، وإنما هي في تطورٍ دائمٍ ومستمرٍ، ومتلاحق ، تلبية للمستجدات التي تظهر فيها.

ومع تطور الحياة وظهور المستجدات والمستحدثات التي لا عهد للإنسان بها أصبحت الحاجة ملحة إلى ظهور الكتابة ، فاللغة المنطوقة لم تعد – وحدها – كافية لتلبية حاجات الناس ، ومتطلباتهم خاصة في جانب الرسائل ، والمكاتبات وغير ذلك.

فبالكتابة – كما يقول الصولي – «حفظت الألسن والآثار، ووكدت العهود، وأثبتت الحقوق، وسيقت التواريخ، وبقيت الصكوك، وأمن الإنسان النسيان، وقيدت الشهادات»[٢].

*** نشأة الكتابة عند العرب :**

غنىٌّ عن البيان أن مسألة نشأة الكتابة عند العرب «مشكلة في التاريخ معقدة، تناولها كثير من المؤرخين بالرواية تارة، وبالتخمين تارة أخرى ، ويرجع ذلك إلى أن تاريخ الشعب العربي في الجاهلية ، وعلاقاته آنذاك بالشعوب الأخرى من

---

(٢) المرجع السابق / الموضع ذاته .

(١) أدب الكتاب المؤلف: أبو بكر محمد بن يحي الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ) ص ٢٤ نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي – الناشر: المطبعة السلفية – بمصر، المكتبة العربية – ببغداد عام النشر: ١٣٤١ه.

حوله – لم تقيَّد كتابًا ، وكل ما ورد منها نتف يسيرة جدًّا، أثبتها الشعراء في قصيدهم، أو تناقلها الرواة محرفة مزيدة على مرّ الأجيال، إلى أن جاءت إلينا غامضة متناقضة»[1].

وبناءً على هذا نجد أنه من الصعوبة بمكان أن نحدّد على وجه الدِّقة واليقين الأمور الآتية :

- **البداية الحقيقية الدقيقة لنشأة الكتابة العربية ، وعلى يد مَن نشأت ؟**
- **المساحة التي كانت موجودة فيها تلك الكتابة في جزيرة العرب .**

ويجدر بنا الإشارة إلى أن العلماء – قديمًا وحديثًا – اختلفوا في مسألة نشأة الخط العربي والكتابة به اختلافاً كبيراً، فهناك أكثر من عشرين رأياً فيها[2].

وأهم هذه الآراء:

١ - **التوقيف :** وإلى هذا مال كثير من اللغويين والإخباريين العرب[3].

ويستدل هؤلاء بقوله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]، وقوله

---

(١) تاريخ القرآن د / عبد الصبور شاهين ص ١٢٧ .

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٨ /١٥٧ – ١٦٢ ط دار العلم للملايين ، ط ٢، ١٩٧٨م وأصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام بحث للدكتور/ خليل يحيى نامي بحث في مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، مجلد ٣، مايو –١٩٣٥م ، ١/٢.

(٣) أمثال: ابن عبد ربه ت ٣٢٨هـ، والصولي ت ٣٣٥هـ، وابن النديم ت ٣٨٥هـ ، وابن فارس ت ٣٩٥ هـ، والزركشي ت ٧٩٤هـ، والقلقشندي ت ٨٢١ هـ ، والسيوطي ت ٩١١هـ ،والخط عند أصحاب هذا الرأي توقيف لا دخل للبشر فيه . العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ / ٢٣٩، تح/ عبد المجيد الترحيني ط دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٩٨٧م ، وكتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى (أبى عبد اللّٰه محمد) ص ١ تح/ مصطفى السقا وآخرين، مطبعة البابي الحلبي ط ٢ ١٩٨٠ م ، وأدب الكتاب للصولي (محمد بن يحيى) ص٢٨، تعليق : محمد بهجة الأثري، القاهرة : المطبعة السلفية، د. ط، ١٣٤١ هـ، والفهرست لابن النديم ص٨–٧، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ٩ – ١٥ ، تحقيق :السيد أحمد صقر ط الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ، والمحكم في نقط المصاحف للداني ص ٢٦، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ٣/٧ – ٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .

تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم:١] وقوله : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق:١-٥].

ويبدو أن الذي دفع هؤلاء إلى القول بالتوقيف هو الحبُّ العميقُ للغة التي أنزل بها القرآن ، وميلهم إلى إضفاء نوع من القدسيّة للغة العربية والخط العربي وحروفه ، حيث إنه لما كثر الوضع في الحديث حاول أصحاب كل حرفة إعطاء الشرعية لحرفته، وإضفاء القدسيّة عليها سواء بوضع الأخبار أو أخذها من أهل الكتاب، وإن كانت لا تقوم على حقائق علمية، فمرةً ذهبوا إلى أن العربية لغة أهل الجنة، ومرةً أخرى إلى أن الحروف العربية نزلت من السماء، وأن من لم يؤمن بها كاملةً وهي (٢٩) حرفاً يكفر، إلى غير ذلك من الكلام غير المبني على أسس علمية أو أخبار صحيحة[١].

وهذا الرأي ضعيف؛ لأن كل ما يستند إليه من روايات ضعيفة، «ليس لها أصل يعتمد عليه فيها»[٢].

٢- الاختراع : ولهم في ذلك روايتان مشهورتان ، هما:

الرواية الأولى: أن العرب قد أخذت خطَّها عن الحِيْرَة، والحِيرة أخذته عن الأَنْبَار ، والأنبار عن اليمن ثم نقل إلى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه[٣].

---

(١) كتابة القرآن الكريم في العهد المكي تأليف : عبد الرحمن عمر محمد اسبينداري ص ١٥ ، نشر : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

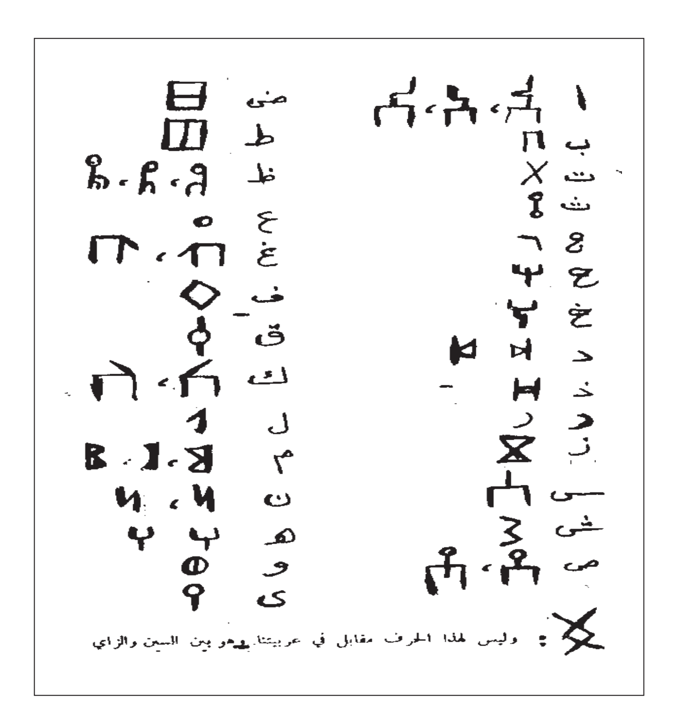
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) ٤/ ٤٢٢ راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

(٣) فتوح البلدان للبلاذري (أحمد بن يحيى) مراجعة : رضوان محمد رضوان، ط دار الكتب العلمية ١٩٨٣م ص٤٥٦ – ٤٥٧، وصبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٨، وكتاب المصاحف ١/١، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٥٢– ٥٥٣ ، تحقيق : ثروت عكاشة، ط دار المعارف، ط ٤ وأدب الكتاب، ص ٣٠، وكتاب الوزراء

ويتلخص هذا الرأي في أن الكتابة العربية اشتقت من الخط المسند الحِمْيَريّ الذي يعرف - أيضاً - بالخط العربي الجنوبي ، وأن هذا الخط وصل إلى موطن المناذرة وبلاد الشام عن طريق القوافل التجارية التي كانت تتنقل بين الجزيرة العربية وشمالها، ثم انتقل عن طريق الحجاز إلى بقية الجزيرة العربية[1].

والكتاب، ص ١، والفهرست، ص ٧ - ٨، والمفصل ٨ / ١٥٨ - ١٥٩، ورسم المصحف دراسة لغوية تاريخية د/غانم قدوري الحمد ص ٣٣، وأصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، ص ٢، ودراسة في تطور الكتابات الكوفية، ط دار الفكر العربي ص١٧، والخط العربي لأميل يعقوب ط طرابلس ط ١، ١٩٨٦م ص ١٨، وسلامة اللغة العربية لعبد العزيز عبد الله محمد ص١١٤، والموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، ط ١، ١٩٩٦م) ١٩ / ١٣٠.

(١) أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام ص ٣، ونشأة اللغة العربية والخط العربي قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب ط مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٨٤م، مجلد ٣٣، ص ١٠١. والموسوعة العربية العالمية، ج ١٢٩/١٩.



أشكال حروف المسند

المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام (٨/٢٢٠)

ورحلة الخط العربي ص ٢٢

وهذا الرأي ضعيف كسابقه من عدة وجوه، منها: أن أهل اليمن كانوا يكتبون بالمسند ، والمسند بعيد عن هذا القلم الذي يسميه أهل الأخبار : القلم العربي أو الكتاب العربي بعداً كبيراً. وقد بقوا يكتبون بقلمهم هذا زمناً في صدر الإسلام[1] .

الرواية الثانية : أن العرب قد أخذت خطَّها من ملوك مَدْيَن الذين كانوا من العرب العاربة[2].

---

(١) كتابة القرآن في العهد المكي ص ١٧ .

(٢) الخط والكتابة في الحضارة العربية د/ يحيى وهيب الجبوري ص ١٨ ط دار الغرب الإسلامي - بيروت ط ١ سنة ١٩٩٤م .

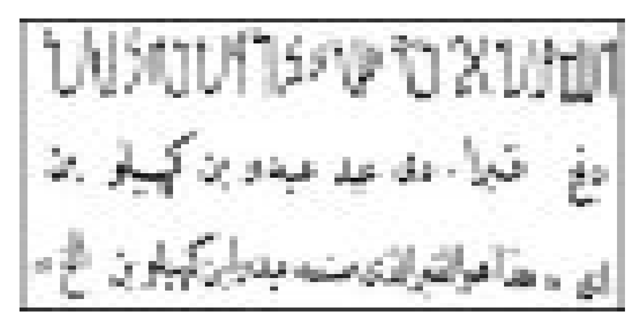
وهذا الرأي وإن بات غير مقبول عند الباحثين المعاصرين، إلا أنه يدلّ على أن العرب قد أخذت خطَّها من الأنحاء الشمالية واقتطعته من كتابة شعب كان يسكن في مَدّين وما يجاورها من الأنحاء الشمالية للبلاد العربية[1] .

وجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أنَّ الترتيب الأبجديَّ كان معروفًا في العصور الأولى من الإسلام، فقد روى أنَّ عمر بن الخطاب لقى أعرابيًا فسأله: لعلك تحسن القراءة، فقال: نعم، قال : فاقرأ أمَّ القرآن فقال الأعرابي : والله ما أحسن البنات فكيف الأم، فضربه عمر - رضى الله عنه - بالدُّرَّة ، وأسلمه إلى الكتاب ليتعلم ، فمكث حينًا ثم هرب ، فلما رجع إلى أهله أنشدهم (الوافر) :

أتيت مهاجرين فعلموني ... ثلاثة أسطر متتابعات

وخطوا لي أبا جاد وقالوا : ... تعلم سعفصًا وقريشات[2]

وهذا الخطُّ العربيُّ الشماليُّ المنحدر من الأنحاء الشمالية هو الذى نكتب به إلى اليوم ، وقد «كان معروفًا منذ قرنين أو ثلاثة قرون قبل الإسلام ، لكن النقوش المعروفة منه من تلك الفترة قليلة ، على عكس المُسْند الذى وجد الباحثون مئات النصوص منه» [3].



شكل من أشكال الخط النبطي

(٣) كتابة القرآن في العهد المكي ص ١٨ .

(٤) أدب الكتاب للصولي ص ٣١ ، وصبح الأعشى للقلقشندي ٣/ ٢٤.

(١) علم الكتابة العربية د / غانم قدوري الحمد ص ٣٤ - ٣٥ .

جدول بالحروف النبطية كما تدل عليها النقوش في المرحلة المبكرة في القرن الثاني قبل الميلاد، فيه شكل الحرف بالنبطي واسم الحرف والمقابل العربي له.

عربي	اسم	نبطي
ا	ألف	
ب	بيت	
گ/ج	گمل	
د	دال	
ه	ها	
و	واو	
ز	زاء أو زاي	
ح	حا	
ط	طا	
ي	يا	
ك	كاف	
ل	لام	
م	ميم	
ن	نون	

س	سين	
ع	عين	
ف	فا	
ص	صاد	
ق	قاف	
ر	را	
ش	شين	
ت	تا	

والقول بأن الكتابة العربية دخلت أرض الحجاز من الشمال مباشرة لا يوجد هناك ما يعارضه أو يرده ، يقول د / غانم قدوري الحمد : «ليس هناك ما ينفي أن تكون الكتابة العربية قد دخلت الحجاز من الأنحاء الشمالية مباشرةً، خاصةً أن العديد من الكتابات النبطية جاءت من الإقليم الشمالي لبلاد الحجاز، من الحجر ـ مدائن صالح ـ والعلا وتيماء، هذا إضافةً إلى الاتصال التجاري المستمر بين أهل الحجاز وبلاد الشام. فارتباط الحجاز بالطرف الجنوبي من بلاد الأنباط، وكون الكثير من النقوش النبطية من ذلك الإقليم، والاتصال المستمر كلها عوامل مشجعة لتطور كتابة عربية في ذلك الإقليم» [١].

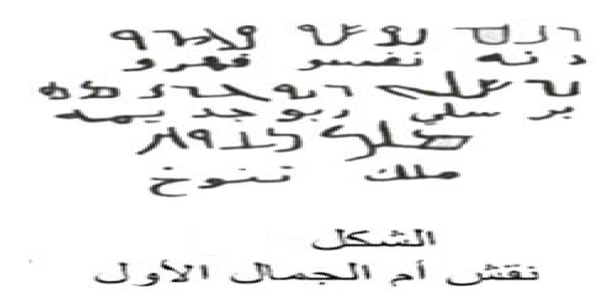
ومن خلال ما سبق يتضح أن الكتابة العربية المستعملة اليوم قد اشتقت من

(١) رسم المصحف، ص ٥٤.

الكتابة النبطية[1]، وأن الأولى استمرار متطور للثانية التي انحدرت من الكتابة الآرامية المتطورة عن الكتابة الفينيقية، اعتماداً على أهم النقوش والمكتشفات الأثرية وهي :

(١) نقش أم الجمال (٢٥٠م):

هذا النقش هو عبارة عن شاهد قبر يرجع إلى منتصف القرن الثالث (٢٥٠م) الميلادي وقيل إلى سنة ٢٧٠م .



الشكل
نقش أم الجمال الأول

النص:

- دنه نفشو فهرو .
- بر سلي جديمة .
- ملك تنوخ .

تفسيره:

- هذا قبر فهر .
- بن سُليّ[م] مربي جذيمة.
- ملك تنوخ .

---

(٢) أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، ص ٢٦ - ٨٤ ، ودراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص ١٧.

(٢) نقش النمَّارة (٣٢٨م):

هذا النقش عثر عليه « المستشرقان : دوسو ، وماكلر سنة ١٩٠١م على بعد كيلو متر واحد من النمَّارة ، القائمة على أنقاض قصر روماني شرقي جبل الدروز، وهو شاهد قبر ملك عربي اسمه امرؤ القيس بن عمرو ، المتوفى سنة ٣٢٨م . وقد عرف هذا النقش بنقش النمارة نسبة إلى اسم الموضع الذى عثر على النقش بالقرب منه» [١].

وهذان النقشان نبطيان لغةً وخطّاً، على أن العرب فضلوا استخدام الحروف النبطية في كتابتهم، وأن العربية فرضت نفسها لغةً للكتابة.

الشكل
نقش النمارة

(٣) نقش أُسيس (٥٢٨م) :

هذا النقش عثرت عليه بعثة ألمانية أثناء تحريها عن الآثار في سوريا سنة ١٩٦٥م ، في منطقة تبعد ١٠٥ كيلومترات جنوب شرقي دمشق عند جبل أُسيس . ويعد هذا النقش آخر نقش عربي جاهلي اكتشافًا – فيما نعلم – .... وكلمات هذا النقش مقروءة بشكل عام، وهى عربية خالية من أي مظهر من مظاهر العجمة، وهو على قصره ذو دلالة كبيرة في تتبع تطور الخط العربي قبل الإسلام» [٢].

(١) علم الكتابة العربية د/ غانم قدوري الحمد ص ٤٤ .

(٢) علم الكتابة العربية د/ غانم قدوري الحمد ص٤٥ – ٤٦ .

الشكل
نقش أسيس

(٤) نقش حرَّان (٥٦٨م) :

هذا النقش عثر عليه «بعض المستشرقين سنة ١٨٦٤م في منطقة حرّان اللجاة، في المنطقة الشمالية من جبل الدروز على كتابة مدونة باليونانية والعربية على حجر موضوع فوق باب كنيسة، وهو مؤرخ بسنة ٤٦٣ [من تقويم بصرى = ٥٦٨م]، ... ونقش حرّان يتميز بالخصائص الكتابية التي لاحظناها في نقش جبل أُسيس، من حيث خلوه من نقاط الإعجام وعلامات الحركات، مثل كل النقوش العربية الجاهلية ...»[1].

B. Copie de Dussaud et Macler, Mission..., 1903

الشكل
نقش حران اللجاة

(١) المرجع السابق ص ٤٧ .

وكلٌّ من نقش أُسيس وحرّان لا تختلف كتابتهما كثيراً عن الكتابة العربية بصورها التي كانت عليها عند ظهور الإسلام[١].

وجدير بالذكر هنا أن هذه النقوش حملت مجموعة العناصر التي تألفت منها الكتابة سواء في رسمها أو إملائها أو اتصال حروفها وانفصالها. وقد رجَّح الباحثون أن تكون الكتابة نشأت ونمت بين عهد نقش النمارة ونقش زبد، واعتبروا أن نقش حران يمثل آخر مراحل الانتقال من الكتابة النبطية إلى الكتابة العربية[٢]. وهذه النقوش النبطيَّة التي عثر عليها ، استخلص الباحثون منها صفات الخط النبطي وخصائصه ، وأهم مزاياه ، وتتلخص في الآتي :

(١) الكتابة تبدأ من اليمين إلى اليسار .

(٢) عدد حروفه : اثنان وعشرون حرفًا .

(٣) فيه الفصل والوصل .

(٤) سقوط حرف الألف من بعض الأسماء مثل : (حرثت) أي : حارث .

(٥) تاء التأنيث لا تكتب بالهاء بل بالتاء المبسوطة مثل (أمت) أي : أمة، و(حبت) أي : حبة ، و (جديمت) أي : جديمة .

(٦) خلو الخط من الإعجام ، وأنَّ بعض أشكال حروفه يمثّل أكثر من حرف، من هذه الحروف:

- **د** : تؤدّى معنى : د ذ ر .
- **س** : تؤدّى معنى : س ش .
- **ص** : تؤدّى معنى : ص ض .
- **ط** : تؤدّى معنى : ط ظ .

---

(٢) الموسوعة العربية العالمية ١٩/ ١٣٠، وعلم الكتابة العربية ص ٤٣ - ٤٩.

(١) الموسوعة العربية العالمية ، ١٩/ ١٣٠ ، وكتابة القرآن في العهد المكي ص ١٩ .

- ع : تؤدّى معنى : ع غ .

(٧) أداة التعريف في الخط النبطي هي الألف الممدودة بنهاية الاسم ، مثل : نفسا ، وتعنى : النفس ، وملكا ، تعنى : الملك .

(٨) أوزان الأفعال النبطية تشبه أوزان الأفعال العربية .

(٩) أسماء الإشارة في الخط النبطي ، هي : ده ، الن ، دنه ، دا (هذا) ومثل العربية يمكن أن يقدم اسم الإشارة على المشار إليه .

يقول الصولي : «من ذلك الصلوة والزكوة والغدوة والحيوة والمشكوة والربو، كتب كل هذا في المصحف بالواو، وكان يجب أن يكتبن بالألف للفظ، وإنما كتبن كذلك على مثل أهل الحجاز لأنهم تعلموا الكتاب من أهل الحيرة»[١] .



مواقع الكتابات العربية قبل الاسلام

وخلاصة ما سبق أن هذه النقوش العربية تدلنا على أن الكتابة كانت موجودة

(١) أدب الكتاب للصولي ص ٢٥٥ .

عند العرب كوسيلة من وسائل التعبير ، وإن لم تكن بدرجة النطق والمشافهة ، فالكتابة لم تكن مغيبةً.

يقول د. شوقي ضيف : «والحق أنه لا يوجد تحت أيدينا وإن لم نملك دليل ماديّ على أن العرب تركوا في العصر الجاهلي مدونات تاريخية أو أدبية، وليس معنى ذلك أن الخط العربي لم يكن قد نشأ، فالنقوش المكتشفة حديثا تؤكد أنه تم تكونه في الحجار منذ القرن السادس الميلادي، ومنها انتشر في بعض البيئات الصحراوية»[1].

وجدير بالبيان هنا أن كون الخط العربي منحدر من القلم النبَطي «لا ينفي احتمال استخدام العرب للقلم الحِمْيَرِيِّ أو المُسْنَد» أشار إلى ذلك الدكتور/ جواد علي ، فقال : "وتبيَّن من دراسة النصوص الجاهلية، أن العرب كانوا يدونون قبل الإسلام بقلم ظهر في اليمن بصورة خاصة، هو القلم الذي أطلق عليه أهل الأخبار «القلم المسند» أو «قلم حمير». وهو قلم يباين القلم الذي نكتب به الآن. ثم تبين أنهم صاروا يكتبون في الميلاد بقلم آخر، أسهل وألين في الكتابة من القلم المسند أخذوه من القلم النبطي المتأخر وذلك قبيل الإسلام على ما يظهر. وكما تبين أن النبط وعرب العراق وعرب بلاد الشام كانوا يكتبون أمورهم بالآرامية وبالنبطية، وذلك لشيوع هذين القلمين بين الناس" [2].

ومن خلال ما سبق اتضح أمامنا أن العرب استخدموا قبل الإسلام نوعين من الخط :

١ - الخط المسند الحِمْيَريّ.

٢ - الخط العربي الشماليّ .



---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف (أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ) ص ١٧ الناشر: دار المعارف - الطبعة: الثالثة عشرة.

(٢) المفصل ١٥٣/٨ .

المبحث الثاني

الخط العربي بعد الإسلام: الفن والجمال

جاء الإسلام وفي قريش سبعة عشر كاتبًا[١]، وفي المدينة أحد عشر[٢]، وكان بين البدو من يعرف الكتابة مثل أكثم بن صيفي حكيم العرب وخطيبها، وكان ابن أخيه حنظلة بن الربيع من كتاب الرسول - ﷺ [٣].

لقد تطوَّر الخط العربي مع تطور الحياة ، وقفز قفزات سريعة بعد الإسلام حتى وصل «إلى درجة الإبداع، حيث تناوله الخطاطون بالتحسين والتزويق، وأضفوا عليه من إبداعهم جماليات لم تخطر على بال فنان سابق»[٤].

ولا نكاد نتجاوز منتصف القرن الأول للهجرة، حتى تتكامل الرغبات للعناية بالكتابة والخط العربي عناية « توفر لها ضروبًا من التجويد والجمال الفني، وكأنما لم تعد الغاية أن تؤدي أغراضها فحسب، بل أضيف إلى ذلك غاية أخرى أن تروع القارئين، والسامعين بتحبيرها وتنميقها، وكأنها قطعة موسيقية أو لوحات تصويرية»[٥].

---

(١) هم : عُمَر بْن الخطاب وعلي بْن أَبي طالب، وعُثْمَان بْن عَفَّان، وأبو عُبَيْدة بْن الجراح، وطلحة ويزيد ابن أَبي سُفْيَان، وأبو حذيفة بْن عتبة بْن ربيعة، وحاطب بْن عَمْرو أخو سهيل بن عمرو العامري عن قريش، وأبو سلمة بْن عَبْد الأسد المخزومي، وأبان بن سعيد بن العاصي بن أمية، وخالد بن سعيد أخوه، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وحويطب بن عبد العزى العامري وأبو سفيان ابن حرب بن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان، وجهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي. فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٥٣ .

(٢) هم من الأوس والخزرج : سَعْد بْن عبادة بْن دليم والمنذر بْن عَمْرو وأبي بْن كعب وزيد بْن ثابت، فكان يكتب العربية والعبرانية ورافع بْن مَالِك وأسيد بْن حضير ومعن بْن عدي البلوى حليف الأنصار وبشير بْن سَعْد وسعد بْن الربيع وأوس بْن خولى وعبد الله بن أبى المنافق. المرجع السابق ص ٤٥٥ .

(٣) الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف ص ١٨ .

(٤) رحلة الخط ص ٤٥ .

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف ص ١٠٦ .

يقول يحيى بن خالد البرمكي: «الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول»[1].

ومع انتشار الفتوحات الإسلامية، ودخول بلاد جديدة في الإسلام « تحسّن الخط، وظهر ما يعرف بالخط المنسوب على يد رواد الخط العربي أمثال: قُطْبَة المحرِّر المتوفى سنة (١٣١هـ)، وأبي علي محمد بن مُقْلَة المتوفى سنة (٣٢٨هـ)، وأبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة (٤١٣هـ). أو(٤٢٠هـ)، وياقوت بن عبد الله المستَعْصِمي المتوفى سنة (٦٩٨هـ) .، وغيرهم»[2].

بل لقد استطاع الخطاط العربي «أن يبتكر خطوطاً جديدة من خطوط أخرى فهذا ابن مقلة يبتكر خط الثلث، لقد اشتقه من خطّي الجليل والطومار، وسمّاه في أول الأمر (خط البديع) ...... واستطاع الخطاط التركي ممتاز بك[3] أن يبتكر خط الرقعة من الخط (الديواني) وخط (سياقت) حيث كان خط الرقعة خليطاً بينهما»[4] .

ومن الجدير بالإشارة هنا أن الخطوط العربية سميت « بأسماء المدن أو الأشخاص أو الأقلام التي كتبت بها، وقد تداخلت هذه الخطوط في بعضها، واشتق بعضها من الآخر، وتعددت رسوم الخط الواحد، فكانت لكثرتها تشكل فناً من الفنون التي أبدعها الخطاطون العظام كالخط الكوفي مثلاً، وقد تطورت هذه الخطوط نتيجة إبداع المهتمين بها والمتخصّصين بكل خط منها، فبلغت ذروتها لدى المتأخرين، وإن كان الأوائل قد نالوا قصب السبق فيها على جدران بغداد

---

(٢) أدب الكتاب للصولي ص ٤١ .

(٣) تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته د. محمد سالم بن شديد العوفي ص ٢ .

(٤) الخطاط التركي ممتاز بك (أبو بكر محمد بن مصطفى افندي) ابتكر خط الرقعة الحديث في عهد السلطان عبد المجيد خان حوالي سنة ١٢٨٠هـ حيث عمل على دراسته وتطويره .

(٥) رحلة الخط ص ٤٥ .

ودمشق والقاهرة والأندلس»[١].

يقول الصولي: «ومن الأعجوبة في الخطوط كثرة اختلافها والأصول واحدة كاختلاف شخوص الناس مع اجتماعهم في الصنعة ، حتى إن خط الإنسان يصير كحليته ونعته في الدلالة عليه، واللزوم له والإضافة إليه، حتى يقضي به الكاتب له وعليه»[٢].

وأخذ العرب يطورون أدوات الكتابة، ويستحدثون أدوات جديدة تساعد على تحسين الخط ، والمحافظة على المكتوب ، وتساير العصر ومتطلباته ، فالكتابة بعد الإسلام كانت « على الجلود، والرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد، وعلى الورق الصيني وغيره نادرًا، إلى آخر عهد الأمويين؛ فلما كان زمان «السفاح» أول الخلفاء العباسيين «توفي سنة ١٣٦هـ» غير وزيره خالد بن برمك «توفي سنة ١٦٣هـ» الدفاتر من الأدراج «لفائف الجلد» إلى الكتب؛ ولكنها كانت كتبًا من الجلد، وبقيت كذلك حتى اتخذ الفضل بن يحيى البرمكي هذا الكاغد «الورق» وأشار بصناعته؛ فشاعت الكتابة فيه مع الجلود والقراطيس وأصناف أخرى من الورق الصيني والتهامي والخراساني؛ واتخذ الناس من ذلك الصحف والدفاتر، ومن ثم تمت لهم أدوات التأليف، ولكن بعد أن استبحرت فنون الرواية ودرج أهلها على الحفظ ورأوا فيه صلاح الأمر وسداد الرأي وبلغوا منه كل مبلغ؛ وإنما كانوا يكتبون قبل ذلك في الرق لكثرة الحفظ وقلة الرسائل السلطانية والصكوك، فلما طما بحر التأليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه ضاق الرق عن ذلك فلم يكن لهم بد من تلك الصناعة»[٣].

كما تجدر الإشارة إلى أنواع الخط العربي ، وهى كالتالي:

---

(١) المرجع السابق ص ٤٥ – ٤٦ .

(٢) أدب الكتاب للصولي ص ٤٣ .

(٣) تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) ص ١٩٧ – الناشر: دار الكتاب العربي.

١ - الخط الكوفي:

هذا الخط «من أقدم الخطوط، وهو مشتق من الخط النبطي (نسبة للأنباط) الذي كان متداولاً في شمال الجزيرة العربية وجبال حوران، وقد اشتقه أهل الحيرة والأنبار عن أهل العراق، وسمي فيما بعد بـ(الخط الكوفي) حيث انتشر منها إلى سائر أنحاء الوطن العربي، ولأن الكوفة قد تبنّته ورعته في البدء. وقد كتبت به المصاحف خمسة قرون حتى القرن الخامس الهجري، حين نافسته الخطوط الأخرى كالثلث والنسخ وغيرهما»[١].

ويتميز هذا الخط بأنه جاف ، مستقيم الحروف ، حاد الزوايا ، وهذا قد أعطاه طابعًا هندسيًا .. وقد تطور هذا الخط منذ نهاية القرن الثامن فزينت نهايات حروفه بزخارف نباتية ، وهنالك الخط الكوفي المضفر ذو الحروف المترابطة . وقد قلَّ استخدام الخط الكوفي منذ أواخر القرن الحادي عشر ، وحلَّ محله الخط النسخي[٢].

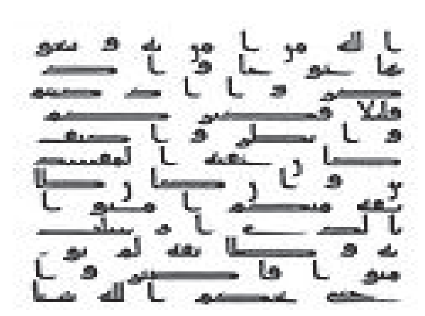
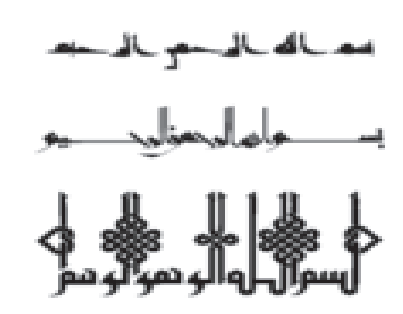
ويشمل الخط الكوفي أكثر من ٣٠ نوعا، منها:الكوفي المائل، والكوفي المزهّر، الكوفي المعقّد، الكوفي المورّق، الكوفي المنحصر، الكوفي المعشّق، الكوفي المضفّر، الكوفي الموشّح، الكوفي المشجّر، الكوفي المحرّر، الكوفي المربّع، الكوفي المدوّر، الكوفي المتداخل، الكوفي المنشعب، الكوفي الشطرنجي، الكوفي الفاطمي، الكوفي المشرقي، الكوفي المغربي[٣]،

---

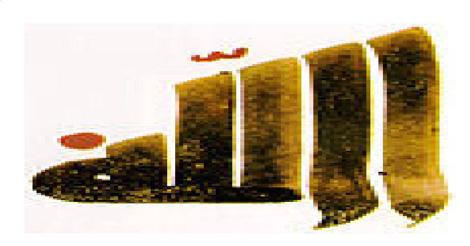
(١) رحلة الخط ص ٤٦.

(٢) ينظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٥٩ .

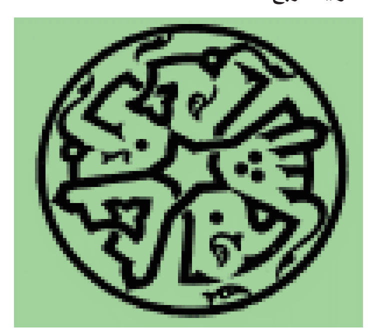
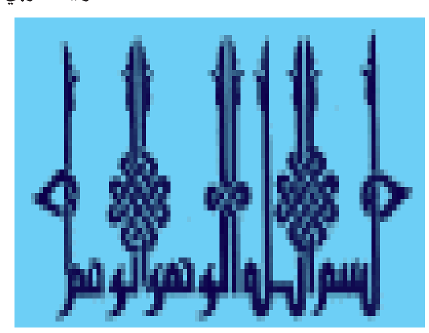
(٣) ينظر الموسوعة الحرة ويكبيديا .

ثلاثة خطوط كوفية (من الأعلى إلى الأسفل): مصحف في القرن السابع بالخط الكوفي
كوفي قديم، كوفي مشرقي، كوفي مضفّر

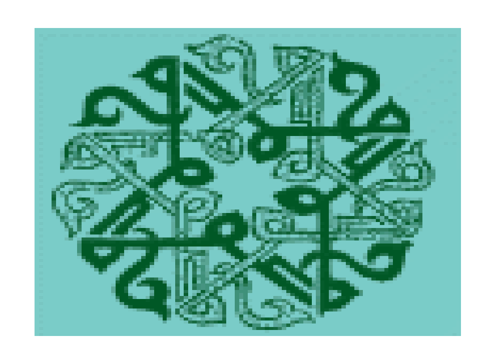



الخط الكوفي المغربي الخط الكوفي المربّع

بسملة كوفية زخرفية متشابكة معقودة الألفات واللامات وخط كوفي زخرفي
في دائرة تتوسطها نجمة خماسية
نصها: » العلم نعم الشرف « من كتابات يوسف أحمد المصري

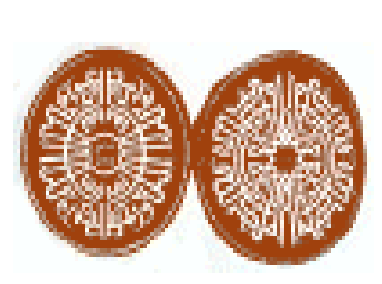


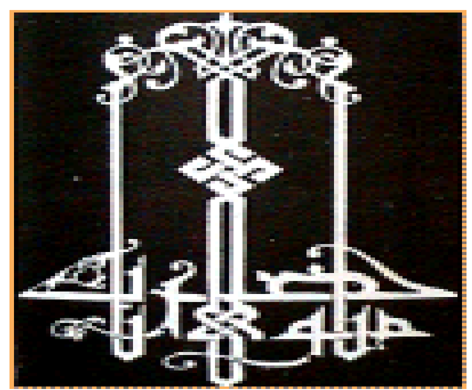


كتابة حكمة بخط كوفي متأخر نصها :

«رأس الحكمة مخافة الله»

كتابة كوفية زخرفية على هيئة دائرية في مركزها نجمة مثمنة تضم ثمانية أسماء للنبي محمد -ﷺ- تبدأ قراءتها من محيط الدائرة .





كتابات كوفية زخرفية بوسط دائرتين مختلفتي النصوص،

وهي: العدل أساس الملك ، رأس الحكمة مخافة الله ،

كتبها الخطاط العراقي هاشم محمد البغدادي

كتابة خط كوفي زخرفي على هيئة ثريا نصها :

يا حضرت مولانا، في متحف جلال الدين الرومي في تركيا



• قرآن كريم - كوفي مغربي على الرقّ - ١٣×١٤سم - العمر حوالي خمسمائة سنة

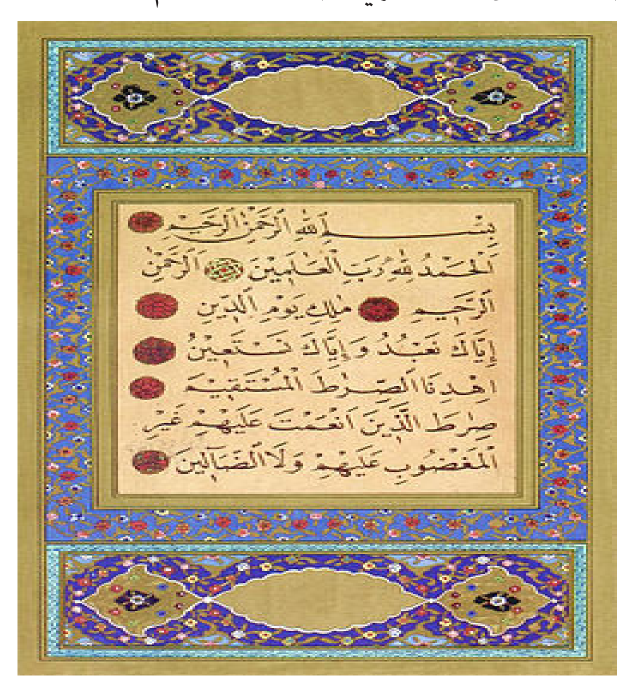
٢- خط النسخ :

ظهر هذا النوع من الخطوط العربية على يد ابن مقلة في القرن الرابع الهجري وأُطلق عليه اسم خط النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب ونقلها، لأنه يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة أكثر من غيره .

ثم كتبت به المصاحف منذ العصور الإسلامية الأولى، وامتاز بإيضاح الحروف وإظهار جمالها وروعتها. وقد اعتنى الخطاطون المسلمون بهذا الخط كونه استخدم في كتابة القرآن الكريم.

وتستعمل الصحف والمجلات هذا الخط في مطبوعاتها، فهو خط الكتب المطبوعة اليوم في جميع البلاد العربية. وقد طوّر المحدثون خط النسخ للمطابع والآلات الكاتبة، ولأجهزة التنضيد الضوئي في الحاسوب، وسمّوه (الخط الصحفي) لكتابة الصحف اليومية به.

ومن أشهر خطوط النسخ المستخدمة حديثا في طباعة الكتب العربية هما: خط (البيان) وخط (اللوتس) على نظامي الماكنتوش والويندوز لما يمتازان به من وضوح الأحرف ومطابقتها لقواعد خط النسخ ووضوح علامات التشكيل وتزامنها مع الأحرف الأساسية للخط. أما بالنسبة للمجلات فيشتهر خط (منى) المبني أيضا على قواعد خط النسخ ويمتاز بوضوح تراكيبه، وسهولة قراءته مما جعله المفضل لدى ناشري المجلات لاستخدام هذا الخط[1].



وهذا الخط يعد أقرب الخطوط إلى خط الثلث «وقد امتاز هذا الخط في خطوط القرآن الكريم، إذ نجد أكثر المصاحف بهذا الخط الواضح في حروفه وقراءته، كما أن الحكم والأمثال واللوحات في المساجد والمتاحف كتبت به»[2].

---

(١) ينظر الموسوعة الحرة ويكبيديا .

(٢) رحلة الخط ص ٤٩ .

ويتميز بأنه خط ليّن ذو حروف مدورة استعمل منذ القرن السابع، مع الخط الكوفى وبخاصة في المكاتبات المختلفة وأعمال التدوين العادية [١].

٣- خط الرقعة :

هو أصل الخطوط العربية « وأسهلها، يمتاز بجماله واستقامته، وسهولة قراءته وكتابته، وبعده عن التعقيد، ويعتمد على النقطة، فهي تكتب أو ترسم بالقلم بشكل معروف ... كان فضل ابتكاره للأتراك قديمًا، إذ ابتكروه حوالي عام ٨٥٠هـ» [٢].

وهو من الخطوط المعتادة التي تكتب في معظم الدول العربية. وجميع حروفه مطموسة عدا الفاء والقاف الوسطية.

وتكتب جميع حروف الرقعة فوق السطر ما عدا الهاء الوسطية والجيم والحاء والخاء والعين والغين المنفصلات وميم آخر الكلمة أو الميم المنفصلة.بشكل عام يميل القلم إلى الأسفل عند التحرك من اليمين إلى اليسار في الكتابة.

والخط العربي المكتوب من العامة هذه الأيام يكون غالبا مزيجا بين النسخ والرقعة.

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٥٩.

(٢) المرجع السابق ص ٤٨.



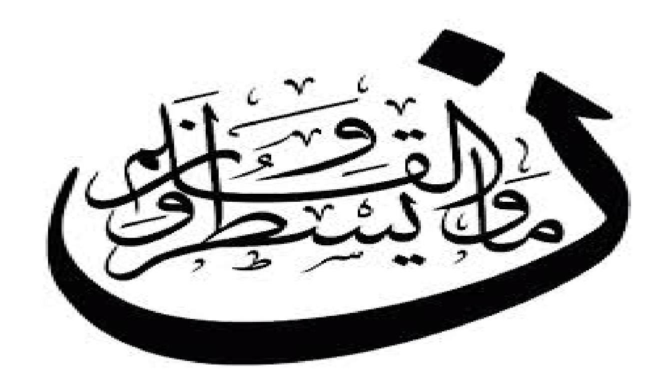
٤- خط الثلث :

كان العرب يكتبون بخط الطومار، والطومار ورق محدد حجمه وكبير، فيقتضي أن تكون قصبة الخطاط تتناسب وحجم الورقة. إذ كان عرض القصبة ١٨ شعرة من شعر الحصان التركماني. لكنهم رأوا أن الخط أعرض ممّا يلزم، فاختصروا ثلثه وأبقوا على ١٢ شعرة وسموه خط الثلثين، بعده اختصروا الثلث الثاني إلى ٨ شعرات وسمي خط الثلث.

ويعد خط الثلث من أجمل الخطوط العربية، وأصعبها كتابة، كما أنه أصل الخطوط العربية، وواضع قواعد هذا الخط من نقط ومقاييس وأبعاد هو ابن مقلة المتوفى سنة (٣٢٨هـ)[1].

---

(١) ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٠ ، ٥١ .



نموذج ١ من خط الثلث



نموذج ٢ من خط الثلث

كما تجدر الإشارة إلى «أن انتشار الخط العربي قبل ظهور الإسلام كان محدوداً جداً لم يتجاوز شبه الجزيرة العربية وما يحاذي أطرافها المطلة على العراق وبلاد الشام، وكان استخدامه قليلاً حيث لم تكن الحاجة تدعو إليه إلا في مجالات محدودة، ولاسيما في المدن أما في البوادي فقد كانت البداوة هي الغالبة على حياة العرب»[١].

فالخط العربي والكتابة به «انتشرا في العالم وخرجا من الجزيرة العربية بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم بلغة العرب، فلولا نزول القرآن الكريم وكتابته به لما كانت للعربية تلك الشهرة وذاك الانتشار في الآفاق، حتى غدا كثير من الشعوب الإسلامية يكتبون لغاتهم بالحرف العربي تبركاً بلغة القرآن الكريم

(١) كتابة القرآن في العهد المكي ص ١٢ .

التي أصبحت لغة العلم والثقافة لقرون عدة، ومن تلك الشعوب : الكرد والفرس والأفغان والملايو والترك إلى عهد قريب وغيرهم»[١].

وبفضل القرآن الكريم انتشر الخط العربي انتشارًا واسعًا وعمَّ كثيرًا من البقاع والأصقاع ، فقد استخدمه «الفرس لكتابة لغتهم الياميرية ، واستعمله الهنود لكتابة لغتهم الأوردية الهندوستانية ، واستخدمه أرْخبيل الملايو في كتابة لغتهم الخاصة ، واستعملته الأمم التركية والتترية ، كما استعمله أهل المناطق الواقعة بين سيحون وجيحون والممتدة حول بحر قزوين وشمال البحر الأسود وجنوبي الأورال وجنوبي روسيا ، وكذلك شبه جزيرة الأناضول لكتابة اللغة التركية العثمانية ، وفى أسبانيا بعد خروج العرب منها ، كتب به القشتاليون ولا تزال تحتفظ بعض المجموعات الخطية الأثرية بنماذج من هذا النوع وهذا انتصار هائل للعربية على اللاتينية» [٢].

وكان الغالب في كتابة المصاحف الخط الكوفي حتى القرن الخامس الهجري، ثم كُتبت بخط الثلث حتى القرن التاسع الهجري، ثم كتبت بخط النسخ حتى وقتنا الحاضر[٣].

وهكذا انتقل الخطُّ العربي وتطور من مرحلة إلى أخرى حتى صار «واحدًا من أهم إنجازات الحضارة الإسلامية في مجال الفنون الجميلة التي قدمتها البشرية. إذ تجلت فيها عبقرية الفنان المسلم، فاستطاع توظيفه في أبدع صورة على جدران المساجد والمدارس وعلى المشكاوات والأواني النحاسية والسجاد،

---

(١) كتابة القرآن في العهد المكي ص ١٢.

(٢) اللغة العربية – جذورها – انتشارها – تأثيرها في الشرق والغرب لماجد خير بك ص ٨٩ – ٩٠ ، ط دار سعد الدين – دمشق ط١ سنة ١٩٩٢ م .

(٣) تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته د. محمد سالم بن شديد العوفي ص ٢ .

وتشهد الآثار التي وصلت إلينا حاملة هذا الفن البديع، على ما وصل إليه من رقي وإبداع»[١].



نموذج من الخطوط التركية في عصر الخلافة العثمانية .



هذه لوحة من المصحف الشريف مكتوب بخط **حامد آيتاش الآمدي** (١٨٩١ - ١٩٨٢)م
آخر عباقرة الخط العربي في تركية، وقف حياته لكتابة المصحف الشريف. مجلة التراث العربى ص ١١ .

وهكذا انتقل الخط العربي من مرحلة التعبير عن المنطوق وتسجيله إلى مرحلة الإبداع والفن والجمال ، فأصبحت تنظر إلى بعض لوحات المكتوب وكأنك تنظر إلى أشكال ورسوم ، وفكر وحسن تصميم .

---

(١) ينظر « وديعة التراث العربي في تركية المخوط والخطوط » مقال للدكتور/ محمد الريداوى في مجلة التراث العربي العدد ٩٩ سنة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥ م ص ١٠ .

وقد وصف أحمد بن إسماعيل خطاً حسناً، فقال: «لو كان نباتاً لكان زهراً، ولو كان معدناً لكان تبراً، أو مذاقاً لكان حلواً، أو شراباً لكان صفواً». وقالوا: «القلم قسيم الحكمة»[1].

فالحروف في نسقها وجمالها ، ورسمها وشكلها بينها «نسبٌ وقرابةٌ ورحمٌ ماسةٌ ووسيلةٌ، وهي أس الملك، وعماد المملكة، وأغصانٌ متفرعةٌ من شجرةٍ واحدة، وهي قطب الأدب، وفلك الحكمة، ولسانٌ ناطقٌ، وهي نور العلم، وتزكية العقولٍ، وميدان الفضل والعدل، وهي زينةٌ وحليةٌ، ولبوسٌ وجمالٌ وهيئةٌ وروحٌ جارٍ في أجسامٍ متفرقةٍ، وبها ومن جهل حقها رسم برسم الغواة والجهلة»[2].

فالحرف العربي بما له من خصائص كتابية - حيث إن أكثره يُكتَبُ متصلًا - ساعد كثيرًا على التشكيل الإبداعي في كتابته إلى درجة رأينا فيها كتابة حروف العربية صارت فنًّا دقيقًا أصيلاً يعبر بصورته عن المشاعر الكامنة في النفوس، وقد عبر عن ذلك سهل بن هارون، فقال : «القلم أنف الضمير، إذا رعف أعلن أسراره، وأبان آثاره»[3]، وقال ابن أبي داود: «القلم سفير العقل، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول وترجمانه الأفضل»[4].



---

(٢) أدب الكتاب للصولي ص ٤٥ .

(١) عمدة الكتاب لأبي جعفر النَّحَّاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) ص ٣٦٣ - ٣٦٤ المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي - الناشر: دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر - الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

(٢) أدب الكتاب للصولي ص ٦٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٨ .

المبحث الثالث

الإبداع الدلالي[١] للحرف العربي

إنَّ صلة الحرف بالدلالة فكرة ضاربة في أعماق التاريخ ، جذورها تمتد إلى عصر الخليل وسيبويه ، وابن جني ، وغيرهم .

وهذا الجانب من الدراسة مهم ؛ لأنه يكشف عن جماليات اللغة وإبداعاتها وأسرارها الكامنة فيها، ويعين على الدقة في صياغة القوالب اللفظية الدقيقة والتراكيب المحكمة ، وبخاصة عند الحاجة إلى ابتكار أو إيجاد ألفاظ جديدة لمخترعات جديدة، كما أنه يؤصل فكرة «التأصيل الدلالي» أو المعنى المحوري، تلك التي تشبع بها ونافح عنها ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة ، وتعود أهمية هذا الجانب أيضاً في أنه يردّ تلك السهام التي يصوبها أعداء الفصحى نحوها تقليلاً من شأنها، ومحاولة لاستبدال العامية بها .

(١) الدَّلالة ـ بفتح الدال وكسرها ـ في اللغة مصدر للفعل الثلاثي (دَلَّ) ، يقول الجوهري مشيراً إلى ذلك:» الدَّلالة فى اللغة مصدر دَلَّه على الطريق دَلالةً ودلالةً – في معنى أرشده إليه « أهالصحاح للجوهرى٢/١٢٧٤م(دلل) . ويقال:» دلَّه على الشيء يدُلُّه دَلًّا ودَلالةً فاندَلّ: سدَّده إليه» أهـ لسان العرب لابن منظور م(دلل) . ويقال أيضاً:» دلَلتُ على الشيء وإليه من باب قَتَلَ .. والاسم الدَّلالة بكسر الدال وفتحها، وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه» المصباح المنير للفيومي ص١٢١.

فالمعنى اللغوي للدلالة إذاً هو:« الهداية والتوصيل إلى طريق أو شيء هداية أو توصيلاً قوياً، أي موثوقاً به » الموجز فى علم الدلالة د. محمد حسن حسن جبل ص ٥ .

ومصطلح الدلالة عند علماء العربية يراد به:» العلمُ الذى يدرس كلَّ ما أَعطَى معنى، أو علمُ دراسة المعنى الذى يتحقق من الرموز الصوتية واللفظية والكتابية والإشارية والجسدية وغيرها من رموز المعاني « الدلالة اللفظية للدكتور/محمود أبو المعاطي أحمد عكاشة، ص٨ الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ويراجع أيضاً علم الدلالة، د/أحمد مختار عمر، ص١١، ط٢ سنة١٩٨١م، الناشر عالم الكتب القاهرة، وعلم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية للدكتور/فايز الدّاية ص٦–٧ ط٢ سنة١٤١٧هـ=١٩٩٦م، دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر– بيروت، ودراسات في دلالة الألفاظ والمعاجم اللغوية د. عبد الفتاح البركاوي، ص٢٢ وما بعدها ط٢ سنة١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م، ط الجريبي– القاهرة.

فالحرف العربي له دلالته سواء من حيث شكله وكتابته أو من حيث منطوقه ، وفيما يلي بيان ذلك على النحو التالي :

المطلب الأول

الحرف العربي والقيمة الدلالية

شغلت الدلالة التعبيرية للحرف في كلمات العربية أذهان كثير من علمائنا القدامى كالخليل وسيبويه ، وابن جني ، وغيرهم، فالخليل يقول: «كأنَّهم توهّموا في صَوت الجُندَب استطالةً ومدًّا، فقالوا: صَرّ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا : صَرْصَرَ»[1].

ويقول- أيضًا -: «وأما الحكايةُ المُضاعفَة فإنها بمنزلة الصَّلْصَلة والزَّلْزلَة وما أشبهها يتوهمون في حُسن الحركة ما يتوهمون في جَرْس الصوت يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف، والمضاعف في البيان في الحكايات وغيرها ما كان حرفا عجزه مثل حَرْفي صدره وذلك بناء يستحسنُه العَرَبُ فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتلّ ومن الذُّلَق والطُّلَق والصُّتْم ويُنسب إلى الثنائي لأنه يضاعفه ألا تَرى الحكاية أنَّ الحاكي يَحكي صَلْصَلَة اللجام فيقول صَلْصَلَ اللَّجَامُ وإن شاء قال : صَلَّ يُخَفِّف مرَّة اكتفاء بها وإنْ شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فيقول : صل صَلصَل يتكلّف من ذلك ما بدا له»[2]

وقال – أيضًا -: «ألا ترى أنَّهم يقولون: صلَّ اللَّجَامُ يَصلُّ صليلاً فلو حَكَيتَ ذلك قُلْتَ: صَلَّ تَمُدُّ اللام وتثقّلها وقد خَففْتَها في الصَّلْصَلَة وهما جميعاً صوت اللّجَام فالثِّقَل مدٌّ والتضاعُف ترجيعٌ»[3].

---

(١) الخصائص لابن جنى ٢/ ١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) معجم العين للخليل (مقدمة المؤلف) ١/ ٥٥ .

(٣) المرجع السابق ١/ ٥٦ .

وبتأمل أقوال الخليل – المذكورة آنفًا – يتضح أمامنا أن الخليل يدرك تمام الإدراك العلاقة الطبيعية الماثلة بين اللفظ ومدلوله ، بل هو أول من تنبه إلى ذلك.

فالخليلُ هو « منبع الاتجاه الذى تولَّى دراسة القيمة التعبيرية للأصوات ، ومدى اتّفاق دقة المعنى مع جَرْس الحرف المختار؛ فقد شغلته الألفاظ المعبِّرة عن أصوات المسموعات، ورأى فيها أصواتًا محاكية للطبيعة، وحاول إثبات نوع من الصلة الطبيعية بين أجراس الحروف ودلالتها من جهة ، ثم بين أنغام الألفاظ ومعانيها الكلية من جهة أخرى، وفى ذلك النظر تبدو الأصوات والصيغ مترابطة مع الدلالة»[١].

ويفطن سيبويه إلى القيمة التعبيرية التي ساقها أستاذه الخليل فيحاول تأصيل فكرته من خلال عرضه لملح تعبيري آخر، فيقول: « ومن المصادر التي جاءت على مثال واحدٍ حين تقاربت المعانيٍ، قولك: النَّزَوَان والنَّقَزَان والقَفَزَان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله العَسَلان والرَّتَكان ... ومثل هذا الغَلَيَان؛ لأنَّه زَعْزَعَةٌ وتحرُّكٌ، ومثله الغَثَيَان لأنَّه تجيُّشُ نفسِه وتثُّورٌ، ومثله الخَطَران واللَّمَعَان، لأنَّ هذا اضطرابٌ وتحرُّك .. »[٢].

ويعقد ابن جنى عدَّة أبوابٍ يؤصِّل فيها قيمة الحرف الدلالية ، من ذلك (باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) ، قال فيه: « هذا غَوْر من العربية لا يُنتصَف منه ولا يكاد يُحاط به . وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غُفْلا مسهوًّا عنه ... من ذلك قول الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم:٨٣]

أي تزعجهم وتقلقهم . فهذا في معنى تهزُّهم هَزّا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين . وكأنهم خَصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء

(١) دلالات الظاهرة الصوتية فى القرآن الكريم د/ خالد قاسم بنى دومى ص ١٨ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/ ١٤ .

وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ لأنك قد تهزّ ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك . ومنه العَسْف والأسَف والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفْس وينال منها والهمزة أقوى من العين كما أن أسَف النفس أغلظ من التردّد بالعسْف. فقد ترى تصاقُب اللفظين لتصاقب المعنيين»[1].

وعقد أيضًا بابًا وثيق الصلة بدلالة الحرف أسماه (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، قال فيه: «اعلم أن هذا موضعٌ شريفٌ لطيفٌ. وقد نبّه عليه الخليلُ وسيبويه وتلقَّته الجماعةُ بالقبول له والاعتراف بصحّته . قال الخليل : كأنهم توهّموا في صوت الجُنْدُب استطالة ومدّا فقالوا : صَرَّ وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر .وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان : إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النَقَزان والغليان والغثيان . فقابلوا بتوالي حركات المثال توالى حركات الأفعال . ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سَمْت ما حدّاه ومنهاج ما مثَّلاه . وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعَّفة تأتى للتكرير نحو الزَّعْزَعَة والقَلْقَلَة والصَّلْصَلَة والقَعْقعة والصَّعْصَعَة والجَرْجَرة والقَرْقرة . ووجدتُ أيضًا (الفَعَلى) في المصادر والصفات إنما تأتى للسرعة نحو البَشَكَى والجَمَزَى والوَلَقَى ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرَّر – أعنى باب القلقة – والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها»[2].

وذكر ابن جنى في هذا الباب أيضًا ما يدل على أثر طبيعة الصوت في جانب الدلالة ، ذلك أن العرب تقابل الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ، وأشار إلى أن ذلك باب « عظيم واسع ونَهْج مُتْلَئِب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْت الأحداث المعبرَّ بها عنها فيعدلونها بها ويحتذُونها عليها . وذلك أكثر ممّا نقدّره وأضعاف ما نستشعره . من ذلك قولهم : خَضِم وقَضِم . فالخَضْم لأكل الرَّطْب كالبِطّيخ والقِثَّاء وما كان نحوهما

---

(١) الخصائص لابن جنى ٢/ ١٤٧ – ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٥٤ وما بعدها.

من المأكول الرَطْب . والقَضْم للصُلْب اليابس نحو قضِمتِ الدابَّة شعيرها ونحو ذلك . وفي الخبر قد يُدْرَك الخَضْم بالقَضْم أي قد يدرك الرخاء بالشدّة واللين بالشَظَف . وعليه قول أبي الدرداء : يخضَمون ونقضم والموعد اللّه فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطْب والقافَ لصلابتها لليابس حَذْواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»[١] .

ويذكر ابن جنى في هذا الباب أيضًا أن الأمرَ لا يقف عند حدّ مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فحَسْب ، وإنما « من وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع. وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبهَا وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سَوْقا للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب وذلك قولهم : بحث . فالباء لغلظها تُشبه بصوتها خَفقة الكفّ على الأرض والحاء لَصحلها[٢] تشبه مخالب الأسد وبراثِن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض والثاء للنفثِ والبث للتراب . وهذا أمر تراه محسوسا محصَّلا فأيُّ شبهةٍ تبقى بعده أم أيّ شك يعرض على مثله . وقد ذكرت هذا في موضع آخر من كتبي لأمرٍ دعا إليه هناك . فأمّا هذا الموضع فإنه أهله وحقيق به لأنه موضوع له ولأمثاله . ومن ذلك قولهم : شدّ الحبل ونحوه . فالشين بما فيها من التفشيّ تشبَّه بالصوت أوّل انجذاب الحبل قبل استحكام العَقْد ثم يليه إحكام الشدّ والجذب وتأريب العَقْد فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين لا سيما وهي مدّغمة فهو أقوى لصنعتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها»[٣] .

وقد أدرك عددٌ غير قليل من المحدثين هذا الذي فطن إليه علماؤنا القدامى وألمحوا إليه ، فهذا أحمد فارس الشدياق – وهو من أوائل المؤيدين لفكرة وجود

(١) الخصائص لابن جني ٢/ ١٥٩.

(٢) المراد بالصَّحل هنا: بحة الصوت. يقول الخليل: « ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين « أ هـ العين ١/ ٦٤ .

(٣) الخصائص لابن جنى ٢/ ١٦٤ .

علاقة بين الصوت ودلالته[١]- ، يقول : فمن خصائص حرف الحاء - على سبيل المثال - : السّعة والانبساط، نحو: الابتحاح والبداح والبراح والأبطح ... والسّاحة والسّطح ..»[٢].

ومن المؤيِّدين للعلاقة القوية الكامنة بين الصوت ودلالته د. صبحى الصالح ، حيث يقول : « وأما الذى نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها ، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية ... فكل حرف منها يستقلّ ببيان معنى خاصّ ما دام يستقلّ بإحداث صوت معيّن ، وكل حرف له ظل وإشعاع ، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع»[٣].

ويذهب أ. عباس محمود العقاد إلى أن الحكاية الصوتية «واضحة في الدلالة على السَّعة حين يلفظ الفم بكلمات: الارتياح والسَّماح، والفلاح، والنَّجاح، والفصاحة .... وما جرى مجراها في دلالة نطقه على الرَّاحة ... ولكن يجوز أن يكون البدء بهما مقصودًا به عند وضع الكلمات الأولى أن تتبعه الحركة التي تناقض معنى السعة، لتدل على الحجر والتقيّد، فإن الجيم الساكنة بعد الحاء أشبه شيء بعلامة الإلغاء التي توضع على صورة الرجل الماشي على قدميه، ليستفاد منها أن المشي ممنوع في هذا المكان ... وكذلك الباء الساكنة بعد الحاء في اسم «الحَبْس» فإنها تنفى السعة بعد الإشارة في أول الكلمة»[٤].

وما سبق على الرُّغم من أهميته فهو محدودٌ غير مكتمل بجانب جهود ومحاولات كل من الشيخ عبد الله العلايلي ، والشيخ محمود محمد شاكر ، ود. محمد حسن جبل [٥].

(١) دلالات الظاهرة الصوتية ص ٦٠ .

(٢) الساق على الساق في ما هو الفارياق لأحمد فارس الشدياق ١/٦٥ .

(٣) دراسات في فقه اللغة د/ صبحى الصالح ص ١٤٢ .

(٤) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب للأستاذ/ عباس محمود العقاد ص ٤٥-٤٦ .

(٥) تحديد معان لحروف العربية محاولات ومناهج ثلاثة د. المواف الرفاعي البيلي ص ٢ وما بعدها ط ١ سنة ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.

فالشيخ العلايلي حاول من خلال قراءاته لمعاجم العربية استنباط «معان لحروف العربية المفردة ، وقد كان وراء ذلك دوافع ، منها : إحياء المهمل من الصيغ بإعطائه معاني جديدة ثم استعماله»[١] .

وفيما يلي عرض للحروف العربية ودلالتها عند العلايلي ، وذلك على النحو التالي[٢]:

م	الحرف	دلالته
١	أ	تدل على الجوفية ، وعلى ما هو وعاء للمعنى ، ويدل على الصفة تصير طبعاً
٢	ب	يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تامّاً ، ويدل على القوام الصلب بالتفعل.
٣	ت	يدل على الاضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً
٤	ث	يدل على التعلق بالشيء تعلقاً له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى .
٥	ج	يدل على العظم مطلقاً .
٦	ح	يدل على التماسك البالغ وبالأخص في الخفيات ، ويدل على المائية .
٧	خ	يدل على المطاوعة والانتشار وعلى التلاشي مطلقاً
٨	د	يدل على التصلب وعلى التغير المتوزع
٩	ذ	يدل على التفرد .

---

(١) تحديد معانٍ لحروف العربية ص ٢٧.

(٢) مقدمة لدرس اللغة وكيف نضع المعجم الجديد ؟ للشيخ عبد الله العلايلي هامش ص ٢١٠ - ٢١١ المطبعة العصرية بمصر سنة ٢٠٠٣م.

١٠	ر	يدل على الملكة ، ويدل على شيوع الوصف .
١١	ز	يدل على التقلع القوي .
١٢	س	يدل على السَّعَة والبسطة من غير تخصيص .
١٣	ش	يدل على التفشي بغير نظام .
١٤	ص	يدل على المعالجة الشديدة .
١٥	ض	يدل على الغلبة تحت الثقل .
١٦	ط	يدل على الملكة في الصفة ، وعلى الالتواء والانكسار .
١٧	ظ	يدل على التمكن في الغزور .
١٨	ع	يدل على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقاً .
١٩	غ	يدل على كمال المعنى في الشيء .
٢٠	ف	يدل على لازم المعنى ، أي على الوضع في المعنى الكنائي .
٢١	ق	يدل على المفاجأة التي تحدث صوتاً .
٢٢	ك	يدل على الشيء ينتج عن الشيء في احتكام .
٢٣	ل	يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه .
٢٤	م	يدل على الانجماع .
٢٥	ن	يدل على البطون في الشيء .
٢٦	ه	يدل على التلاشي .
٢٧	و	يدل على الانفعال المؤثر في الظاهر .
٢٨	ي	يدل على الانفعال المؤثر في الباطن .

فكلمة : شجر مثلاً عند العلايلي :

ش= التفشي، نبات؛ ج = العظم ،ارتفاع ؛ ر = الملكة ،رأس، أي: نبات عظيم له رأس.

والحق يقال إنه على الرغم من سمو الهدف الذي من أجله حاول العلايلي أن يضع دلالات لحروف العربية فهو لم يُبن لنا عن الأساس الذي بني عليه محاولته تلك غير أنه اعتمد على النظر في الثنائي ومعناه، ثم معنى ثلاثيه الناتج عنه - بناءً على رأيه - من خلال حشوه بحرف ، ويكون الفرق بين المعنيين هو معنى حرف الحشو[١].

فضلاً عن أن منهجه هذا لم يقم على الاستقراء التام لجذور العربية ، ومن هنا تصادم مع بعض الجذور التي استعصت على فكرته ، ومن ذلك ما عرضه د. المواقي البيلي للجذر (جلس) وتقليباته[٢].

ومع هذا كله يكفي الرجل تفهمه للفكرة ، وشرف المحاولة .

أما المحاولة الثانية فهي للشيخ المحقق/ محمود محمد شاكر ، وقد بنى استخلاصه على أمرين:

الأول: الجرس الصوتي للحرف وما يحسه من صفات.

الثاني : المعاني الفطرية الساذجة للإنسان.

ومن الأحرف التي ذكر الشيخ / شاكر معانٍ لها :

- الكاف :

«تمثل في النطق شيئين لينين بين بين ، يزحم أحدهما زحماً شديداً ، والأكة في اللغة: الزحمة والضيق، وأكه: زاحمه.... وحك وعك وهك الشيء: سحقه.... وتك الشيء اللين الرطب : وطئه فشدخه، ودك وزك في مشيه: قارب خطوه وحرك جسده»[٣].

---

(١) تحديد معان لحروف العربية محاولات ومناهج ثلاثة د. المواقي الرفاعي البيلي ص ٤٨.

(٢) المرجع السابق .

(٣) مقال بعنوان : « سر من أسرار العربية - نرجو أن نصل إلى حقيقته في السليقة العربية » للشيخ المحقق

- **الشين :**

«يمثل صوت الحركة الخفيفة التي تكون كأنها من احتكاك الثوب القشيب أو صوت وقوع الرش الخفيف من المطر، أو صوت حفيف الورق الأثيث على أشجاره إذا فيأه النسيم المتروح، ويمثل - أيضاً - صوت الضاحك إذا انقذف نفسه بضحكة خفيفة لا تبلغ القهقهة ... وتجد أكثر هذه المعاني دائرة في : أش وهش وحش وخش وبش ونشت القدر تنش ... ورش الأرض بالماء، وكشت الحية والمرأة -أيضاً- كشيشاً وهو صوت جلدهما ....»[1].

- **الجيم :**

«أجسى وأقسى وأغلظ صوتاً من الشين ، واللسان بها أشدّ ضغطاً للهواء في غار الحنك، وصوتها جاف على السمع ظامئ لا ماء فيه ولا قطر له ولا همس يأتي من قبله - لذلك دخلت مع الشين في بعض معانيها ، ولكنها خرجت من بعضها الآخر بما أخرجها من الميزة التي مازتها عنها في مستقبل السمع.. فإن «أج» هذه وما يليها من: هج وحج وعج بالدعاء، وثج المطر...وهج ولج - الجيم في جميعها دالة حكاية صوت وصفناه بما وصفناه ..»[2].

- **اللام :**

«صوت اللام إذا حققته شبيه بالجرس الذي تسمعه من اصطدام شيء لين بعض اللين بشيء من مثله ، فيفزع سمعك إليه فتصغي له ، وعلى ذلك فمعنى «أل» ابتداء يتضمن الإشارة إلى حركة مقرونة بصوت بين بين ، فلا هو جاس ظامئ ، ولا هو رطب ممتلئ بمائه ، وكذلك هو في اللغة : أل الفرس إذا أسرع فاهتز فسمع من الرمل صوت حافره إذا وقع عليها متتابعاً متردداً ، وكذلك أل

/ محمود محمد شاكر منشور في مجلة المقتطف يونيو ١٩٤٠ م ص ٦٠ .

(١) المرجع السابق ص ٦١ .

(٢) مقال بعنوان : « سر من أسرار العربية - نرجو أن نصل إلى حقيقته في السليقة العربية » للشيخ المحقق / محمود محمد شاكر منشور في مجلة المقتطف يونيو ١٩٤٠ م ص ٦١ .

البرق ، وآلت المرأة : رفعت صوتها بالدعاء أو غيره ... والقول فيه «هل» قريب منه ..»[١] .

: النون -

«وهو» أقرب الحروف للبيان عن المعاني الصافية التي لا تتحامل أصواتها إلى المادة وصوتها ، ولذلك يدور اكثر ما يدور في الألفاظ ذوات المعاني النفسية الصافية التي تذوب فيها آلام النفس وأحزانها وأحلامها وأفكارها التي لا تتكلم إلا لمحاً وإشارة وتلويحاً ، فكذلك هو في معناه إذا قلت: أنَّ أنيناً ، وحنَّ حنيناً وحناناً ، وهنَّ هنيناً – وهو كالحنين والأنين وكذلك خنَّ خنيناً ، وهو الانتحاب والبكاء ... ولكن انظر إلى «خنَّ» وتدبر فعل الخاء في توجيه المعنى إلى الشموخ والاستعلاء ورفع الصوت بالبكاء وخشونة الصوت التي تجدها في البدء بالخاء، ومن أجل هذا يتباين الأنين والحنين من الخنين تبايناً صحيحاً في الدلالة على الأنين المشوب بالصوت الذي وصفناه لك»[٢] .

أما المحاولة الثالثة ، فهي محاولة د. جبل وقد أعرب عنها بقوله : «استخلصتُ المعاني اللغوية للحروف الألفبائية العربية استخلاصاً علميّاً ، اعتبرت فيه الأساسين التاليين :

الأول : هو معاني كلمات التراكيب المكونة من الحروف المراد تحديد معناها، سواء استغرق ذلك التكوين كل أحرف التركيب ، أو غلب عليها ، بأن يتكون التركيب من حرفين مع حرف العلة ...

الأساس الثاني: لتحديد معنى الحرف : هو هياة تكونه في الجهاز الصوتي؛ فإن هيئة التكون هذه يشعر بها الإنسان عن التنبه لذلك ، ويستطيع أن يُحس

---

(١) سر من أسرار العربية ص ٦١.

(٢) المرجع السابق الموضع ذاته .

منها بمذاقٍ للحرف يُسهم مع الاستعمالات اللغوية له في تحديد معناه»[1].

والأساس الثاني عند د. جبل ليس في قوة الأساس الأول ، وإنما استمد الثاني قوته من إقامة الصوتي على الاستعمالي .

ومعاني الحروف الألفبائية عند د. جبل بيانها في التالي [2]:

م	الحرف	معناه	م	الحرف	معناه
١	أ	تعبر عن ضغط .	٢	ب	تعبر عن تجمع تراكمي رخو – مع تلاصق ما .
٣	ت	تعبر عن ضغط دقيق (يؤدي إلى حبس ضعيف أو غير شديد ، وقد يؤدي إلى قطع).	٤	ث	تعبر عن نفاذ دِقاقٍ بكثافة وانتشار ما كالتفشي .
٥	ج	تعبر عن تجمع هشّ له حدة ما .	٦	ح	تعبر عن جفاف في الباطن مع احتكاك بعرَض يُبْرِزُ وجود المرّ الجافّ في الجوف
٧	خ	تعبر عن تخلخلٍ ونحوه في أثناء غِلَظ .	٨	د	تعبر عن امتداد طولي دقيق مع انحصار، أي احتباس عن العرَض .
٨	ذ	تعبر عن ثخين رطب أو غض (محتوىً) ينفذ .	١٠	ر	تعبر عن سيولة الجرم مع استرسالٍ ، أي شيء من التماسك يجعل الاتصال والامتداد واضحين .
١١	ز	تعبر عن شدة اكتناز بازدحام أشياء أو أجزاء بعضها إلى بعض.	١٢	س	تعبرعن امتداد رقيق (حادٍّ أو قويّ) نافذٍ في جرم أو منه .

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للدكتور/ محمد حسن حسن جبل ص ٢٥ ط ١ – الناشر مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ٢٠١٠م .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ – ٣٩ .

١٣	ش	تعبر عن تسيُّب وتفرقٍ أي انتشارٍ وتفشٍ وعدم تجمع أو تعقد.	١٤	ص	تعبر عن كون الشيء غليظاً قويّاً في ذاته خالصاً مما يخالطه – أو نفاذٍ كذلك.
١٥	ض	تعبر عن غِلظ وثقلٍ له حدةٌ ما ، يخالط فيَضغط بغِلَظِه وثقله ما خالطه .	١٦	ط	تعبر عن نوعٍ من الضغط وثقلٍ مع حدة مخالطة .
١٧	ظ	تعبر عن حِدّة تخالط الشيء الكثيف ، أي هي تَسْري في أثنائه .	١٨	ع	تعبر عن رخاوة جرم ملتحم (اتساعاً أو امتداداً) .
١٩	غ	تعبر عما يشبه الغشاء الذي له شيء من كثافة أو قوة وحدّة ، مع تخلخلٍ ما .	٢٠	ف	تعبر عن النفاذ بقوةٍ (كالطرد والإبعاد) إلى ظاهر الشيء مع اتساع النافذ أو انتشاره .
٢١	ق	تعبر عن تجمع (متعقد) ذي حدّة في باطن الشيء أو عمقه (قد ينفذ منه) .	٢٢	ك	تعبر عن ضغط غثوري مع حدّة أو دقة .
٢٣	ل	تعبر عن نوع من الامتداد من شيء كالتعلق مع تميز أو استقلال .	٢٤	م	تعبر عن تضامٍّ أو استواءٍ ظاهريٍّ لشيء أو على شيء.
٢٥	ن	تعبّر عن امتدادٍ لطيف في جوفٍ أو باطن جرمٍ منه .	٢٦	ه	تعبر عن فراغ في الجوف أو إفراغ ما فيه قوة .
٢٧	و	تعبر عن اشتمالٍ واحتواء .	٢٨	ي	تعبر عن اتصال الممتد شيئاً واحداً ، وعدم تفرقه أو تسيبه.

ومحاولة أستاذنا د. جبل محكمة دقيقة نتجت من خلال الفحص والتتبع الدقيق لاستعمالات العرب الحسية فضلاً عن ملاحظة أثر الجانب الصوتي للحرف في المعنى وتوجيهه ، ولكن تبقى نقطة مهمة هنا هي تلك التي أعرب عنها أستاذنا د. المواف حيث ذكر «أن ما طبق عليه الدكتور جبل - وهي جذور القرآن الكريم - يبلغ أقل من خمس جذور العربية ، وهي نسبة قليلة تقتضي التحفظ في التسليم بما توصل إليه من تحديد معاني الحروف»[١] .

المطلب الثاني

الحرف العربي ودلالـــــة الإيحـاء

للحرف ما يتسم به من سمات سواء في المخرج أو الصفة وصدى ذلك كله في النفس في أمورٍ تعبيرية ، هي ما يطلق عليها (الإيحاء) .

ولقد وظف بعض الشعراء ذلك في بعض أبياتهم الشعرية ، يقول د. محمد العبد: «استعان الشاعر الجاهلي بعدد من المؤثرات الصوتية Soundeffects في عرض معناه والإيحاء به وتصويره ، بحيث يمكننا القول - في اطمئنان - بأن الشاعر الجاهلي قد جعل من الصوت .. عنصرًا إبداعيًّا تصويريًّا مهمًّا»[٢] .

فبعض الأصوات لها «قدرة على التكيف والتوافق مع ظلال المشاعر في أدق حالاتها، وترتبط الظلال المختلفة للأصوات باتجاه الشعور، وهنا تثرى اللغة ثراء لا حدود له. ولا تترك تلك الظلال - باعتبارها عناصر ذات قيم أسلوبية في العمل الفني اللغوي - تحت حكم الإلقاء ، وإنما ترتبط ارتباطًا غير مباشر بالمضمون الشعوري المتشكِّل» [٣] .

---

(١) تحديد معان لحروف العربية محاولات ومناهج ثلاثة د. المواف الرفاعي البيلي ص ٨٢.

(٢) إبداع الدلالة د. محمد العبد ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق/ الموضع ذاته .

فالأعشى في قوله:

وَقَد غَدَوتُ إِلى الحانوتِ يَتبَعُني　　　شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلشُلٌ شَوِلُ[١]

يصف «يومًا من أيام لهوه غدا فيه إلى خمار مع رفيق ناشط خفيف الحركة طيب النفس في فتية كسيوف الهند مضاء وقوة ورونقًا»[٢].

والأعشى على الرغم مما وُجِّه إليه من نقد[٣] في جمعه تلك الكلمات التي تكرر فيها حرف (الشين) فهو أبدع في تصوير الحدث ؛ حيث جعل من حرف الشين الذي من صفاته التفشي إيحاء بحالة النشوة والانتشار التي عاشها وقت ذهابه إلى الحانوت .

فالأعشى «كان يؤمِّل نفسه بمجلس لهوٍ وشربٍ هنيء ، ينسيه شواغل الدنيا وهمومها . إنه يتعجل تلك النشوة ، ويسبق إليها الخطو ، وخلفه تابعه الذي يمشي خفيفًا لاهياً هنا وهناك.في إطار هذه الصورة نرى أن الأعشى قد نجح بأصوات الشين الستة .. أن يحكي مشية تابعه المنطلقة المتتابعة المتراقصة، وكأنه يصطنع السكر ويتكلف النشوة قبل وقوعهما»[٤].

ولك أن تفصح عما استشعرته من إيحاءات حرف القاف (الذي من صفاته القلقلة) الوارد في قول المتنبي: فَقَلْقَلْتُ بالهمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الحشَا ... قلاقِلَ عيْسٍ

---

(١) أَي: ذهبت غدْوَة. والحانوت: بَيت الْخمار. والشاوي: الَّذِي يشوي اللَّحْم. والمشل بِكَسْر الْمِيم وَفتح الشين: الْخَفِيف فِي الْحَاجة. والشلشل بِضَم الشينين: المتحرك.والشول بِفَتْح أَوله وَكسر ثَانِيه: الَّذِي يحمل الشَّيْء يُقَال: شلت بِهِ وأشلته. خزانة الأدب للبغدادي (١٠٩٣ه) ١١/ ٣٥٤ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون – الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص ٣٥٦ ط دار المعارف .

(٣) قال القزاز القيرواني : « فهذه الألفاظ كلها بمعنى واحد، وهذا عيب» اهـ ما يجوز للشاعر في الضرورة لمحمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي (المتوفى: ٤١٢هـ) ص ١٣٦ حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي – الناشر: دار العروبة، الكويت – بإشراف دار الفصحى بالقاهرة

(٤) إبداع الدلالة د. محمد العبد ص ١٧ – ١٨ .

كُلهنَّ قلاقلُ[1]

فالمتنبي استخدم صوت القاف استخداماً دقيقًا في التعبير عما يريد أن يبثه من القلق والاضطراب الناتج عن الهم والانشغال به .

وليست دلالة الإيحاء للحرف مقصورة على صورة تكراره في الجملة أو العبارة، وإنما يحدث ذلك الإيحاء بتكرار حرفين أو أكثر يشتركون في المخرج أو بعض الصفات .

وتدبر معي سورة الفلق ، قال الله تعالى :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفَلَق:١-٥].

قال أبو حيان : «الْفَلَقُ: فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُول، وَتَأْتِي أَقْوَالُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فيه إِنْ شَاءَ اللّٰه تَعَالَى. وَقَبَ اللَّيْلُ: أَظْلَمَ وَالشَّمْسُ: غَابَتْ، وَالْعَذَابُ: حَلَّ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَبَ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُمْ ... لَحِقَتْهُمْ نَارُ السَّمُومِ فَأُحْصِدُوا

النَّفْثُ: شِبْهُ النَّفْخِ دُونَ تَفْلِ بريق، قَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَقِيلَ: نَفْخٌ بِرِيقٍ مَعَهُ، قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ. وَقَالَ صَاحِبُ اللَّوَامِحِ: شِبْهُ النَّفْخِ مِنَ الْفَمِ في الرقية وَلَا رِيقَ مَعَهُ، فَإِذَا كَانَ بريق فَهُوَ التَّفْلُ. قَالَ الشَّاعِرُ: فَإِنْ أَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ ... وَإِنْ يُفْقَدْ فَحَقَّ لَهُ الْفُقُودُ»[2].

يقول د. وهبة الزحيلي:» تضمنت السورة الاستعاذة من شر المخلوقات،

(١) قلقلت: حركت. والقلاقل: جمع قلقل. كجعفر: النَّاقة الْخَفِيفَة خزانة الأدب ٣٩٢/٨ .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٥٧٤ المحقق: صدقي محمد جميل - الناشر: دار الفكر - بيروت - ط ١٤٢٠ هـ.

وبخاصة ظلمة الليل، والسواحر والنمامين، والحسدة، وهي درس بليغ وتعليم نافع عظيم لحماية الناس بعضهم من بعض بسبب أمراض النفوس، وحمايتهم من شر ذوات السموم، وشر الليل إذا أظلم، لما فيه من مخاوف ومفاجآت، وبخاصة في البراري والكهوف»[١].

ويقول الشيخ/ القطان: « وخلاصة معنى السورة الكريمة: إن الله – تعالى – طلبَ من الرسول الكريم أن يلجأ الى ربّه، ويعتصمَ به من شرِّ كل مؤذٍ من مخلوقاته، ومن شرِّ الليل إذا أظلمَ لما يصيب النفوسَ فيه من الوحشة، ولما يتعذَّر من دَفع ضرره. ومن شرِّ المفسِدات الساعيات في حَلِّ ما بينَ الناسِ من روابطَ وصِلات، ومن شرِّ الحاسدينَ الذين يتمنّون زوالَ ما أسبغَ الله على عباده من النعم»[٢].

فتلك الأمور والأشياء التي طلب الله -تعالى- الاستعاذة به منها مجلب قلق واضطراب ، وقد جاءت بعض الحروف التي اشتملت عليها السورة، وهي: (القاف، الباء، الدال) معبرة عن ذلك ، فهذه الحروف كلها من أصوات القلقلة .

المطلب الثالث:

الحرف العربيّ والدلالة الصامتة

الأساس الأول الذي تبنى عليه الكتابة هو الأصوات المسموعة للكلمات، ولكن ليست هناك لغة ما يطابق المكتوب فيها المنطوق تطابقاً تامّاً من دون زيادة أو نقصان، وهذا أمرٌ واضح لا يحتاج إلى دليل.

ومن الكتابات التي لوحظ مخالفتها للمنطوق في بعض الكلمات مرسوم كتاب

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د.وهبة بن مصطفى الزحيلي ٣٠/ ٤٧٠ الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

(٢) تيسير التفسير لإبراهيم القطان ٣/ ٤٥٩ .

الله - عَزَّوَجَلَّ - وقد وقف كثيرٌ من العلماء مع هذه الحروف التي وردت في رسم المصحف مخالفة لمنطوقها .

وللهيئة التي كتب عليها الحرف في الرسم المصحفي دلالتها، يقول الإمام الداني: «وليس شيء من الرسم ولا من النقط اصطلح عليه السلف -رضوان الله عليهم - إلّا وقد حاولوا به وجهًا من الصحة والصواب، وقصدوا به طريقًا من اللغة والقياس، لموقعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[1] .

فاختلاف رسم المصحف، له فوائد عديدة، أهمها:

أولًا - أنه يحتمل القراءات القرآنية المتواترة ، ويدل عليها ، ومن أمثلة ذلك كلمة: «الأيكة» وقعت في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحِجر:٧٨].

الثاني: قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الشعراء:١٧٦].

الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ [ص:١٣].

الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ [ق:١٤].

رسمت الكلمة في سورتي الحجر وق هكذا «الأيكة» بألف قبل اللام. ورسمت في سورتي الشعراء وص هكذا «ليكة» بدون ألف كما هو واضح في رسم المصحف. والسبب في ذلك أن موضعي «الشعراء» و«ص» فيهما قراءتان:

<u>الأولى:</u> «ليكة» بلام مفتوحة بلا ألف وصل قبلها، ولا همزة بعدها، وفتح تاء التأنيث غير منصرفة للعلمية والتأنيث، وهي قراءة نافع وابن كثير، وابن عامر،

---

(١) المحكم للداني ص ١٩٦ .

وأبي جعفر. **وقرأ الباقون** بهمزة وصل، وسكون اللام، وبعدها همزة مفتوحة، وكسر التاء «الأيكة». والقراءتان صحيحتان متواترتان.

أما موضعا الحجر وق فرسمتا بالألف قبل اللام ﴿ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ والسبب في ذلك: أن هذين الموضعين ليس فيهما إلا قراءة واحدة: ﴿ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ بهمزة وصل، وسكون اللام، وبعدها همزة مفتوحة، وكسر التاء.

وفي هذا المثال دلالتان:

إحداهما: أن الصحابة - رضي الله عنهم- إنما رسموا هذه الكلمات وما شابهها بهذه الطريقة بناء على قواعد وأسس دقيقة، وأن الله -تعالى- قد اختارهم مع رسوله -صلى الله عليه وسلم- لحفظ دينه وكتابه، فلا يصح نسبة الخطأ إليهم في مثل هذا العمل.

الدلالة الثانية: أن القراءة سنة متبعة. لا اجتهاد فيها ولا قياس، وإلا فلماذا قرئت هذه الكلمة في بعض السور بقراءتين، وفي البعض الآخر بقراءة واحدة؟[١].

ثانيًا - الدلالة على أصل الحركة ككتابة الكسرة ياء، والضمة واوًا في نحو: «إيتائ ذي القربى، وسأوريكم» أو الحرف ككتابة: «الصلاة والزكاة والحياة» بالواو[٢].

ثالثًا- الإشارة إلى بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث بالتاء على لغة طيئ[٣].

---

(١) رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة د. شعبان محمد إسماعيل ص ٥٤ – ٥٥ الناشر: دار السلام للطباعة والنشر – الطبعة: الثانية.

(٢) التجديد في الإتقان والتجويد المؤلف: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان ص ١٩٦ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣ م ، وينظر: تاريخ القرآن الكريما لمؤلف: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي الخطاط (المتوفى: ١٤٠٠هـ) ص ١٧٨ ملتزم طبعه ونشره: مصطفى محمد يغمور بمكة – ط ١ بمطبعة الفتح بجدة – الحجاز عام ١٣٦٥ هـ و ١٩٤٦ م.

(٣) التجديد في الإتقان والتجويد ص ١٩٦ .

رابعًا - الدلالة على المعاني الخفية ، كما ذكر الزركشي أن كلمة ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧]إنما كتبت بياءين فرقًا بين الْأَيْدِ الذي هو القوة، وبين «الأيدي» جمع «يد» ، ولا شكّ أن القوة التي بنى اللّه بها السماء هي أحقّ بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتيّ في الوجود»[١].

ورسم المصحف له خصوصيته ، فلا ننادي بتطبيقه واستعماله في كتاباتنا اليومية الآن ، كما لا ننادي بالتخلي عنه واستبدال الإملاء العادي به، لأنه مأثورٌ، وأجمع الصحابة رضي الله عنهم - ، وما تجتمع أمة النبي -صلى الله عليه وسلم- على ضلالة .

المطلب الرابع

الحرف العربيّ والاختزال اللغوي

الاخْتِزالُ: الحَذْفُ، قال ابنُ سيدَه: ولا أَعْرِفُه عن غيرِ سِيبَويه. وأيضاً: الاقتِطاعُ يقال: اخْتَزَلَ المالَ: إذا اقْتَطَعَهُ[٢] .

يقول د.أحمد مختار عمر: « اختزل النَّصَّ: كتبه بطريقة الاختزال، وهي طريقة سريعة للكتابة، تستخدم فيها الرموزُ بدلاً من الكلمات»[٣].

والاختزال أو الاختصار : عبارة عن اقتطاع حرف أو أكثر من كلمة أو من مجموعة كلمات لتدل على معاني اصطلاحية توفيرًا للجهد والوقت ومواد الكتابة وأدواتها.

---

(١) البرهان في علوم القرآن المؤلف: محمد بن عبد الله الزركشي ٢/ ٢١ الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .

(٢) تاج العروس للزبيدي م خزل .

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عمر ، م خزل الناشر: عالم الكتب- ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م - الناشر: عالم الكتب.

وهو فن قديم استعمله علماء الحديث فورد عندهم :

- ثنا: حدثنا .
- أنا: أخبرنا.
- ح: تحويل السند.

واستخدمت الرموز اختصارًا لأسماء أئمة الحديث، قال الذهبي:

«وَقد رمزت على من لَهُ رِوَايَة فِي كتب الْإِسْلَام السِّتَّة كَمَا تَرَاهُ فَالْبُخَارِي: خَ ، وَمُسلم: م ، وَأَبُو دَاوُد: د ، وَالتِّرْمِذِيّ: ت ، وَالنَّسَائِيّ: س ، وَلابْن مَاجَه: ق وَالْجَمَاعَة كلهم: ع ، وَالسّنَن الْأَرْبَعَة عه»[١] .

وابن حجر العسقلاني جعل : « للستة «ع» وللأربعة «٤» وللبخاري «خ» ولمسلم «م»، ولأبي داود «د» وللترمذي «ت» وللنسائي «س»،ولابن ماجة «ق» وللبخاري في «التعاليق» «خت»، وفي «الأدب المفرد» «بخ»، وفي «جزء رفع اليدين» «ي» وفي «خلق افعال العباد» «عخ»، وفي «جزء القراءة خلف الإمام» «ز»، ولمسلم في «مقدمة كتابه» «مق»، ولأبي داود في «المراسيل» «مد»، وفي «القدر» «قد»، وفي «الناسخ والمنسوخ» «خد»، وفي كتاب «التفرد» «ف»، وفي «فضائل الأنصار» «صد»، وفي «المسائل» «ل»، وفي «مسند مالك» «كد»، وللترمذي في «الشمائل» «تم»، وللنسائي في «اليوم والليلة» «سي»، وفي «مسند مالك» «كن»، وفي «خصائص علي» «ص»، وفي «مسند علي» «عس»، ولابن ماجة في «التفسير» «فق»[٢] .

(١) المغني في الضعفاء المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ص ٥ المحقق: الدكتور نور الدين عتر.

(٢) تهذيب التهذيب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ١/ ٥- ٦ الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند - الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ .

وفي علم الفقه وأصوله نجد استخدامًا للمختصرات ، قال الموصلي الحنفي: «ولما حفظه جماعة من الفقهاء ... طلب مني بعض أولاد بني أخي النجباء أن أرمزه رموزًا يُعرف بها مذاهب بقية الفقهاء لتكثر فائدته ، وتعم عائدته فأجبته إلى طلبه ... وجعلتُ لكل اسم من أسماء الفقهاء حرفاً يدل عليه من حروف الهجاء ، وهي : لأبي يوسف: سٍ ، ولمحمد: م ، ولهما: سم ، ولزُفَر: ز ، وللشافعي: ف»[1].

وورد الاختزال عند أصحاب المعاجم العربية:

فالفيروز أبادي اكتفى بكتَابَة: ع، د، ة، ج، م، عَنْ قَوْله: مَوْضِعٌ، وَبَلَدٌ، وَقَرْيَةٌ، وَالْجَمْعُ، وَمَعْرُوفٌ[2].

واستخدمت المعاجم الحديثة نظام الاختزال والمختصرات ، فالبستاني يقول في مقدمة معجمه: «واعلم أن ج مقطوعة من جمع»[3] .

ومجمع اللغة العربية استعان بالاختزال والاختصار في معجميه، ففي المعجم الوسيط على النحو الآتي:

- (ج) : لبيان الجمع .
- (مو) المولد .
- (مع) : المعرب .
- (د) : الدخيل .
- (مج) : ما أقره مجمع اللغة العربية .

(١) الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي ت ٦٨٣ ١/ ٥ ط دار النشائر بدمشق سنة ١٩٩٦م .

(٢) القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) ص ٢٨ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

(٣) مقدمة محيط المحيط لبطرس البستاني طبعة مكتبة لبنان بيروت سنة ١٩٨٧م.

- (محدثة) : اللفظ المستعمل في العصر الحديث[١].

وفي الوجيز اقتصر على جعل :

- (ج) : للدلالة على الجمع .

- (جج) : للدلالة على جمع الجمع[(٢)] .

وقد جعل معجم اللغة العربية المعاصرة مختصرات لكثير من العلوم ، وفيما يلي بيانها:

اختصارات العلوم والمصطلحات:

(بغ) = البلاغة.

(جب) = الجبر والإحصاء.

(جد) = التجويد.

(جر) = التجارة.

(جغ) = الجغرافيا.

(جو) = البيئة والجيولوجيا.

(حد) = الحديث.

(حس) = الحاسبات والمعلومات.

(حن) = الحيوان.

---

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٣١ ط ٤ سنة ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م مكتبة الشروق الدولية .

(٢) المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ل الناشر : وزاره التربية والتعليم - مصر- تاريخ الطبعة: ١٩٩٤ م .

(حي) = الأحياء.

(دب) = الآداب.

(دن) = الديانات.

(رض) = الرياضة والتربية البدنية

(رع) = الزراعة.

(سة) = السياسة.

(سف) = الفلسفة والتصوُّف.

(سق) = الموسيقى.

(سك) = العلوم العسكرية.

(شر) = التشريح.

(طب) = الطب.

(عر) = العروض.

(فز) = الطبيعة والفيزياء.

(فق) = الفقه.

(فك) = الفلك.

(فن) = الثقافة والفنون.

(قص) = الاقتصاد.

(قن) = القانون.

(كم) = الكيمياء والصيدلة.

(لغ) = العلوم اللغوية.

(مع) = علوم الاجتماع.

(نت) = النبات.

(نح) = النحو والصرف.

(نف) = علوم النفس.

(هس) = الهندسة.

اختصارات المعلومات الصرفية:

ج = الجمع.

جج = جمع الجمع.

ج مؤ = جمع المؤنث.

مؤ = المؤنث.

مث = المثنى.

مذ = المذكر.

مف = المفرد[١].

وجاءت الرموز أو المختصرات عند جبران مسعود على النحو الآتي:

- ج : الجمع .

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عمر ص ٢٩ .

- جج : جمع الجمع .

- م : المؤنث .

- مث : المثنى .

- مص : المصدر .

- فا : اسم الفاعل .

- مف : اسم المفعول .

- ر : راجع[(1)].

وتستخدَم :

إلخ = إلى آخره.

اهـ = انتهى.

وفي العلوم :

ك : كيمياء .

ف: فيزياء .

وفي التاريخ :

ق. م = قبل الميلاد .

م = ميلادي .

هـ = هجري .

---

(١) الرائد معجم لغوي عصري لجبران مسعود طبعة ٧ دار العلم للملايين - بيروت - سنة ١٩٩٢م.

وفي التعليم :

ب = ابتدائي .

ع = إعدادي .

ث = ثانوي .

م = مستوى .

ش = شعبة .

وفي أسماء البلدان والهيئات الحكومية:

ج . م . ع = جمهورية مصر العربية .

واس : وكالة الأنباء السعودية .

ص ب = صندوق بريد .

والحق يُقال إن الاختزال اللغوي أو المختصرات أو الرموز موضوع يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة التأصيلية التحليلية.

فهذه العجالة السريعة التي عرضتُ فيها للاختزال اللغوي في علوم شتى نلحظ فيها عدم وجود منهجية محددة لوضع هذه الرموز أو المختصرات فضلًا عن وجود اختلافٍ واضح بين بعض الكتب في الحرف أو الحروف المستخدمة في الاختزال .

فـ (م) = مؤنث في معجم ، وفي معجم آخر الرمز له (مؤ) ، وفي استعمال آخر خرجت عن هذا المجال.

وفي الاقتطاع من الكلمة المختصرة نلحظ تارة يُؤخذ الحرف الأول والأخير ، وأخرى يقتطع الحرف الأول والثاني .

المطلب الخامس

الحـرف العربيّ والنحـت

النحت وسيلة من وسائل نمو اللغة وتجديدها، ونهج سليم لمسايرة الفصحى في تعريب المصطلحات واختزالها على وزن من أوزان العربية.

والنحتُ في اللغة: من نحت ، يقال: ونحَتَ النجارُ الخشب و نَحَتَ الخشبة ونحوها ، ينحِتها وينحَتها نحتاً .... ونحتَ الجبل ينحِته: قطعه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء:١٤٩]، وأيضاً:﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحِجر:٨٢] [١].

وفي الاصطلاح: استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر[٢].

قال ابن فارس: «العرب تَنْحَتُ من كلمتين كلمةً واحدة، وهو جنس من الاختصار»[٣].

ويشير الثعالبي - أيضًا- إلى أن: العرب «تَنْحتُ من كلمتين وثلاث كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار كقولهم: رجلٌ عبْشَميٌ منسوب إلى عبد شمس وأنشد الخليل: [من الوافر]

أقولُ لَها ودَمْعُ العَينِ جارٍ ... أَلَمْ تَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المُنادي؟

من قولهم: «حَيَّ على الصَّلاة»[٤] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور م نحت .

(٢) من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ٨٦ - ط٧ سنة ١٩٨٥م مكتبة الأنجلو المصرية .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ص ٢١٠ - الناشر: محمد علي بيضون الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

(٤) (فقه اللغة وسر العربية المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)

والنحت «يحتاج إلى ذوق سليم خاصة، فكثيرًا ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة عربية واحدة يمجها الذوق ويستغلق فيها المعنى»[١].

والمحدثون مع أن أكثرهم «يميلون إلى الوقوف من النحت موقفًا معتدلًا، ولا يسمحون به إلا حين تدعو الحاجة الملحة إليه، لم يجدوا بأسًا في أن يقال «درعمي» نسبة إلى دار العلوم و«أنفمي» للصوت الذي يتخذ مجراه من الأنف والفم معًا، ولم يستثقلوا كلمة «لُبْأَرْز» المنحوتة من لبنان وأرز، وهو اسم شجر من فصلية الصنوبريات، .. ولم يستهجنوا نحت كلمة «قبل» بشكل «قب» وحذف حرف التعريف حتى يمكن أن يقال: «قبتاريخ» «Phehistoire» فتقابل «قب» العربية «pre» الإفرنجية. وكلتاهما حينئذ من السوابق المزيدة نحتًا وتصديرًا «Perfixe».

وكان قرار مجمع اللغة العربية في القاهرة حكيمًا حين وافق السادة الأعضاء سنة ١٩٤٨ على جواز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة»[٢].

واشترط العلماء في النحت «انسجام الحروف عند تأليفها في الكلمة المنحوتة، وتنزيل هذه الكلمة على أحكام العربية، وصياغتها على وزن من أوزانها. فبمثل هذه الشروط يكون النحت -كجميع أنواع الاشتقاق- وسيلة رائعة لتنمية هذه اللغة وتجديد أساليبها في التعبير والبيان من غير تحيف لطبيعتها، أو عدوان على نسيجها المحكم المتين»[٣].

ص ٢٦٩ المحقق: عبد الرزاق المهدي – الناشر: إحياء التراث العربي – الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية «محاضرات للأمير مصطفى الشهابي» ص١٥.

(٢) أصدر المجمع في الجلسة الثانية عشر للمؤتمر «في ٢١ من فبراير «شباط» سنة ١٩٤٨م» قراره العلمي بشأن النحت: «انظر مجلة المجمع ٧/ ١٥٨» نقلاً عن: دراسات في فقه اللغة المؤلف: د. صبحي إبراهيم الصالح (المتوفى: ١٤٠٧هـ) ص ٢٧٣ – الناشر: دار العلم للملايين –الطبعة: الأولى ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م.

(٣) دراسات في فقه اللغة ص ٢٧٤.

ومن أمثلة النحت :

النحت	الكلمات المنحوتة	النحت	الكلمات المنحوتة
بسمل	قال بسم الله .	سمعل	قال السلام عليكم.
جعفد	قال جعلت فداك.	فَذْلَكَ	قال فذلك كذا وكذا.
حوقل	قال لا حول ولا قوة إلا بالله.	كبتع	قال كبت الله عدوك .
دمعز	قال أدام الله عزك.	مشأله	قال ما شاء الله .
سبحل	قال سبحان الله .	مشكن	قال ما شاء الله كان .

المطلب السادس :

الحرف وإعجاز القرآن: (الحروف المقطعة أنموذجًا)

الحروف «الْمُتَهَجَّاةَ فِي أَوَّلِ السُّوَرِ[1] ثَمَانِيَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا فَالْكَافُ وَالنُّونُ كُلٌّ وَاحِد فِي مَكَان وَاحِد، وَالْعَيْنُ وَالْيَاءُ وَالْهَاءُ وَالْقَافُ كُلٌّ وَاحِد فِي مَكَانَيْنِ، وَالصَّادُ فِي ثَلَاثَة، وَالطَّاءُ فِي أَرْبَعَة وَالسِّينُ فِي خَمْسَة، وَالرَّاءُ فِي سِتَّة، وَالْحَاءُ فِي سَبْعَة، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَالْمِيمُ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ فِي بَيْتَيْنِ وَهُمَا:

كُنْ وَاحِدٌ عَيْهَقٌ اثنان ثلاثة صا ... دُ الطَّاءُ أَرْبَعَةٌ وَالسِّينُ خَمْسٌ عَلَا

---

(١) البقرة وآل عمران (الم)القلم (ن) ، ق، ص، الأعراف (المص) يس، مريم (كهيعص) طه، الشعراء (طسم) النمل (طس) القصص (طسم) يونس وهود ويوسف والحجر (الر) لقمان (الم) ، غافر وفصلت (حم) الشورى (حم عسق) الزخرف والدخان والجاثية والأحقاف (حم) إبراهيم (الر) السجدة والروم والعنكبوت (الم) والرعد (المر).

وَالرَّاءُ سِتٌّ وَسَبْعُ الْحَاءُ آلُ وَدَجِ ...وَمِيمُهَا سَــبْعَ عَشْـرٍ تَمَّ وَاكْتَمَـلَا

وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ فِي تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ سُورَةً وَجُمْلَتُهَا مِنْ غَيْرِ تَكْرَارٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ: نَصٌّ حَكِيمٌ قَاطِعٌ لَهُ سِرٌّ»[1] .

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْحُرُوفَ الَّتِي افْتَتَحَ اللَّهُ بِهَا السُّوَرَ وَجَدْتَهَا نِصْفَ أَسَامِي حُرُوفِ الْمُعْجَمِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ الْأَلِفَ وَاللَّامَ وَالْمِيمَ وَالصَّادَ وَالرَّاءَ وَالْكَافَ وَالْهَاءَ وَالْيَاءَ وَالْعَيْنَ وَالطَّاءَ وَالسِّينَ وَالْخَاءَ وَالْقَافَ وَالنُّونَ فِي تِسْعٍ وعشرين عَدَدُ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ثُمَّ تَجِدُهَا مُشْتَمِلَةً عَلَى أصناف أجناس الحروف المهموسة والمجهورة والشديدة والمطبقة وَالْمُسْتَعْلِيَة وَالْمُنْخَفِضَة وَحُرُوف الْقَلْقَلَة، ثُمَّ إِذَا اسْتَقْرَيْتَ الْكَلَامَ تَجِدُ هَذِهِ الْحُرُوفَ هِيَ أَكْثَرُ دَوْرًا مِمَّا بَقِيَ، وَدَلِيلُهُ أَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ لَمَّا كَانَتْ أَكْثَرَ تَدَاوُرًا جَاءَتْ فِي مُعْظَمِ هَذِهِ الْفَوَاتِحِ فَسُبْحَانَ الَّذِي دَقَّتْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَتُهُ»[2] .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الباقلاني: «إِنَّمَا جَاءَتْ عَلَى نِصْفِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كَأَنَّهُ قِيلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِآيَةٍ فَلْيَأْخُذِ الشَّطْرَ الْبَاقِيَ وَيُرَكِّبْ عَلَيْهِ لَفْظًا مُعَارَضَةً لِلْقُرْآنِ وَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ بَعْضُ أَرْبَابِ الْحَقَائِقِ»[3].

قال ابن قتيبة : «اختلف المفسرون في الحروف المقطّعة: فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور، تعرف كل سورة بما افتتحت به منها. وكان بعضهم يجعلها أقسامًا. وكان (بعضهم) يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى، يجتمع بها في المفتتح الواحد صفات كثيرة، كقول ابن عباس: ﴿كهيعص ۝١﴾ [مريم:١]: إنّ (الكاف) من كاف، و (الهاء) من هاد، و (الياء) من حكيم، و (العين)

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٦٧ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ١/ ٢٩ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٦٧ .

من عليم، و (الصاد) من صادق. وقال الكلبيّ ، هو: كتاب كاف، هاد، حكيم، عالم، صادق. ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن، ونرجو ألا يكون ما أريد بالحروف خارجا منها، إن شاء اللّه. فإن كانت أسماء للسور، فهي أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء وتفرق بينها. فإذا قال القائل: قرأت المص أو قرأت ص أو ن- دلّ بذاك على ما قرأ ... وإن كانت أقساما، فيجوز أن يكون اللّه، عز وجل، أقسم بالحروف المقطّعة كلّها، واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، فقال: «الم» وهو يريد جميع الحروف المقطعة، كما يقول القائل: تعلمت «اب ت ث» وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنّه لما طال أن يذكرها كلّها، اجتزأ بذكر بعضها»[1].

قال العكبري: « قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ①﴾ [البقرة:١] هَذه الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ كُلُّ وَاحد منْهَا اسْمٌ ؛ فَأَلفٌ: اسْمٌ يُعَبَّرُ به عَنْ مثْل الْحَرْف الَّذي فِي قَالَ. وَلَامٌ يُعَبَّرُ بهَا عَن الْحَرْف الْأَخير مَنْ قَالَ. وَكَذَلكَ مَا أَشْبَهَهَا وَالدَّليلُ عَلَى أَنَّهَا أَسْمَاءٌ أَنَّ كُلًّا منْهَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى فِي نَفْسه وَهيَ مَبْنيَّةٌ ؛ لأَنَّكَ لَا تُريدُ أَنْ تُخْبرَ عَنْهَا بشَيْءٍ وَإنَّمَا يُحْكَى بهَا أَلْفَاظُ الْحُرُوفِ الَّتي جُعلَتْ أَسْمَاءً لَهَا فَهيَ كَالْأَصْوَاتِ نَحْوَ غَاقٍ فِي حكَايَةِ صَوْتِ الْغُرَابِ»[2].

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور عَلَى قولين:

القول الأول: التفويض :

أي أَنَّ هَذَا « علْمٌ مَسْتُورٌ وَسرٌّ مَحْجُوبٌ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ به وَلهَذَا قَالَ الصِّدِّيقُ -رضي الله عنه-: فِي كُلِّ كِتَابٍ سرٌّ وَسِرُّهُ فِي الْقُرْآنِ أَوَائِلُ السُّوَرِ،وقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِنَّهَا مِنَ

(١) تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) ص ١٨٣ المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) ١/ ١٤ المحقق : علي محمد البجاوي الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه .

الْمُتَشَابِهِ نُؤْمِنُ بِظَاهِرِهَا وَنَكِلُ الْعِلْمَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ –» .

قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَقَدْ أَنْكَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ هَذَا الْقَوْلَ وَقَالُوا لَا يَجُوزُ أَنْ يَرِدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا يَفْهَمُهُ الْخَلْقُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِتَدَبُّرِهِ وَالاسْتِنْبَاطِ مِنْهُ وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا مَعَ الْإِحَاطَةِ بِمَعْنَاهُ وَلِأَنَّهُ كَمَا جَازَ التَّعَبُّدُ بِمَا لَا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ فِي الْأَفْعَالِ فَلِمَ لَا يَجُوزُ فِي الْأَقْوَالِ بِأَنْ يَأْمُرَنَا اللَّهُ تَارَةً بِأَنْ نَتَكَلَّمَ بِمَا نَقِفُ عَلَى مَعْنَاهُ وَتَارَةً بِمَا لَا نَقِفُ عَلَى مَعْنَاهُ وَيَكُونُ الْقَصْدُ مِنْهُ ظُهُورَ الانْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: التأويل :

أي أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا مَعْلُومٌ وَذَكَرُوا فِيهِ وجوهًا كثيرة ، منها:

أحدها: وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا مَأْخُوذٌ مِنِ اسْمٍ من أسمائه – سبحانه – فالألف من الله واللام من لطيف والميم من مجيد أو الألف من آلائه واللام من لطفه والميم مَنْ مَجْدِهِ. قَالَ ابْنُ فَارِسٍ وَهَذَا وَجْهٌ جَيِّدٌ وَلَهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ شَاهِدٌ:

قُلْنَا لَهَا قِفِي فَقَالَتْ ق

فَعَبَّرَ عَنْ قَوْلِهَا وقفت بـ ق.

الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ بِأَنَّ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي يَقْرَأُهُ مُحَمَّدٌ هُوَ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ لَا شَكَّ فِيهِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِ هَذِهِ الْحُرُوفِ إِذْ كَانَتْ مَادَّةَ البيان وما فِي كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ بِاللُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَهِيَ أُصُولُ كَلَامِ الْأُمَمِ بِهَا يَتَعَارَفُونَ وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِـ: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ فَكَذَلِكَ شَأْنُ هَذِهِ الْحُرُوفِ فِي الْقَسَمِ بِهَا.

الثَّالِثُ: أَنَّهَا الدَّائِرَةُ مِنَ الْحُرُوفِ التِّسْعَةِ وَالْعِشْرِينَ فَلَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ مِفْتَاحُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ – عَزَّ وَجَلَّ – أَوْ آلَائِهِ أَوْ بَلَائِهِ أَوْ مُدَّةِ أَقْوَامٍ أَوْ آجَالِهِمْ

فَالْأَلِفُ سَنَةٌ وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ سَنَةً وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ رُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ لَطِيفٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْفُرْقَانَ فَلَمْ يَدَعْ نَظْمًا عَجِيبًا وَلَا عِلْمًا نَافِعًا إِلَّا أَوْدَعَهُ إِيَّاهُ عَلِمَ ذَلِكَ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ.

وفي حقيقة الأمر هذا القول ليس له دليل قاطع يدعمه ، وإن صحَّ القول المروي عن ابن عباس» فمراده تفويض علمها إلى الله تعالى؛ لأن أسماء الله تعالى لا نقف عليها إلا بالنصوص الصريحة»[1].

الرَّابِعُ: وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – أَيْضًا – فِي قَوْلِهِ تَعَالَى الم أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ وَفِي المص أنا الله أفصل والر أَنَا اللَّهُ أَرَى وَنَحْوُهُ مِنْ دَلَالَةِ الْحَرْفِ الواحد على الاسم العام وَالصِّفَةِ التَّامَّةِ.

الْخَامِسُ: أَنَّهَا أَسْمَاءٌ لِلسُّوَرِ فَ الم اسم لهذه وحم اسْمٌ لِتِلْكَ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ وُضِعَتْ لِلتَّمْيِيزِ فَهَكَذَا هَذِهِ الْحُرُوفُ وُضِعَتْ لِتَمْيِيزِ هَذِهِ السُّوَرِ مِنْ غَيْرِهَا وَنَقَلَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ عَنِ الْأَكْثَرِينَ وَأَنَّ سِيبَوَيْهِ نَصَّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ..

ولم يرتض د. محمد بكر إسماعيل هذا الرأي ، حيث قال : «وهذا القول في نظري ليس بشيء؛ لأن السور التي افتتحها الله بهذه الحروف لها أسماء أخرى قد اشتهرت بها، وتميَّزت بها عن غيرها، ولم تتميز بهذه الحروف. فإذا قلت: هذه السورة «ألم»، لم تعرف بهذه الحروف على التحديد إلّا إذا قلت: «ألم البقرة» «ألم آل عمران» «ألم لقمان» «ألم السجدة» وهكذا. فكيف تكون بمفردها أسماء للسور؟ وأيضًا: هذه الحروف جزء من السورة، ولا يكون الاسم جزءًا من المسَمَّى»[2].

السَّادِسُ: أَنَّ لِكُلِّ كِتَابٍ سِرًّا، وَسِرُّ الْقُرْآنِ فَوَاتِحُ السُّوَرِ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ وَأَظُنُّ قَائِلَ ذَلِكَ أَرَادَ أَنَّهُ مِنَ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَاخْتَارَهُ

---

(١) دراسات في علوم القرآن د. محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) ص ٢٠٧ الناشر: دار المنار – الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

(٢) دراسات في علوم القرآن د. محمد بكر إسماعيل ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبَّانَ.

السَّابِعُ: أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ لَغَوْا فِيهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا النَّظْمَ الْبَدِيعَ لِيَعْجَبُوا مِنْهُ وَيَكُونُ تَعَجُّبُهُمْ سَبَبًا لِاسْتِمَاعِهِمْ وَاسْتِمَاعُهُمْ لَهُ سَبَبًا لِاسْتِمَاعِ مَا بَعْدَهُ فَتَرِقُّ الْقُلُوبُ وَتَلِينُ الْأَفْئِدَةُ.

الثَّامِنُ: أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ ذُكِرَتْ لِتَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُؤَلَّفٌ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي هِيَ أ ب ت ث فَجَاءَ بَعْضُهَا مُقَطَّعًا وَجَاءَ تَمَامُهَا مُؤَلَّفًا لِيَدُلَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَتِهِمْ أَنَّهُ بِالْحُرُوفِ الَّتِي يَعْقِلُونَهَا وَيَبْنُونَ كَلَامَهُمْ مِنْهَا

التاسع: أَنَّهَا كَالْمُهَيِّجَةِ لِمَنْ سَمِعَهَا مِنَ الْفُصَحَاءِ وَالْمُوقِظَةِ لِلْهِمَمِ الرَّاقِدَةِ مِنَ الْبُلَغَاءِ لِطَلَبِ التَّسَاجُلِ والأخذ في التفاصيل وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ زَمْجَرَةِ الرَّعْدِ قَبْلَ النَّاظِرِ فِي الْأَعْلَامِ لِتَعْرِفَ الْأَرْضُ فَضْلَ الْغَمَامِ وَتَحْفَظَ مَا أُفِيضَ عَلَيْهَا مِنَ الْإِنْعَامِ وَمَا هَذَا شَأْنُهُ خَلِيقٌ بِالنَّظَرِ فِيهِ وَالْوُقُوفِ عَلَى مَعَانِيهِ بَعْدَ حِفْظِ مَبَانِيهِ[1].

ويميل د. محمد بكر إسماعيل إلى أن هذه الفواتح «إنما جاءت في أوائل هذه السور للتنبيه على الأصول الاعتقادية .. ولهذا جاءت على غير ما ألَّف العرب، لتكون أجلب لانتباههم، وأقرع لآذانهم وقلوبهم»[2].

وهكذا تظل الحروف المقطعة سرًّا من الأسرار التي أودعها الله – عَزَّ وَجَلَّ – كتابه المحكم ، وشاهدًا على عجز بني البشر ، وأنهم مهما بلغ شأوهم ، وارتفع شأنهم في مجال العلم سيعيشون في رحاب قوله –سبحانه وتعالى– : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) .

---

(١) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ١/ ١٧٢ – ١٧٧ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي .

(٢) دراسات في علوم القرآن د. محمد بكر إسماعيل ص ٢١٢ .

الخاتمة

- أسألُ الله حسنها -

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، الموفق إلى معالم الخير والسداد، ثم صلاة وسلامًا على سيد العالمين وإمام العاملين سيدنا ونبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد:

فهذه رحلة - على الرغم مما لاقيت فيها من عناء ومشاق - سعدت بها ؛ لأنى عشتها في رحاب لغة القرآن الكريم نطقًا ورسمًا من أجل الوقوف على أهم القضايا المتعلقة بالحرف العربي ومعالجتها ، طوفت خلالها بين العديد من المؤلفات العلمية المعنية بهذا الشأن ، وغيرها من مؤلفات القدامى والمحدثين، وقد وفقني الله - تعالى - في نهاية هذه الرحلة المباركة إلى الوقوف على أهم النتائج والتوصيات التالية:

١ - الكتابة العربية لم تكن بدعًا من الكتابات ، وإنما تأثرت بالكتابة التي كانت معهودة عند غيرها في ذلك الوقت ، سواء كانت الأنحاء الجنوبية المتمثلة في المسند الحميري ، أو من الأنحاء الشمالية المتمثلة في الخط النبَطي الشمالي .

وعلى أية حالة فإن في ذلك إشارةً جدّ مهمة ألا وهي أن ما ورد في مكتوب القرآن الكريم من حذف الألف أو الإبدال ككتابة الهاء المربوطة مبسوطة ليست من خطأ الكتبة كما زعم ذلك بعض العلماء القدامى أو المحدثين، مع الأخذ بعين الاعتبار ما لرسم المصحف من خصوصية .

٢ - كشف البحثُ في النقوش القديمة عن أن الكتابة العربية منحدرةٌ من الخط النبَطي ، وتأثرت بالكتابات الأخرى المعهودة وقتئذاك .

٣ – أفاد البحثُ أن كتابة القرآن الكريم مثَّلت مرحلة جديدة في تاريخ الخط العربي ، فكانت – بحقٍّ – بداية حقيقة لانطلاقه بعد أن كان حبيس استخدامات محدودة إلى الانتشار شرقًا وغربًا . فضلًا عن أنه كان عاملًا من عوامل تطويره وتحسينه .

٤ – كشف البحثُ عن أن الكتابة العربية لم تكن مغيَّبةً ، وإنما على الرغم من قلة استخدامها كانت وسيلة من وسائل التعبير عند العرب .

٥ – توصل البحث إلى أن الخط العربي انتقل من كونه وسيلة تعبير إلى غاية أخرى ترافقها ، وهي التصوير الفني والإبداع الجمالي، حتى بدا المكتوب في صورة تشكيلية معبرة برسمها كما هي معبرة بحروفها .

٦ – كان الخطُّ العربيُّ – ولا يزال – منقوشًا بأشكاله الإبداعية المتنوعة والمتعددة على جدران المساجد ومرتفعاتها، وعلى الأواني النحاسية ، والسجاد وغير ذلك .

وهذا كله دليل على أنه إنجاز من إنجازات الحضارة الإسلامية في مجال الفنون التي قدمتها للبشرية.

٧ – للحرفِ العربيِّ ظلالُه الوارفة، وأصداؤه التعبيريةُ في النفوس ، وهو ما يطلق عليه « دلالة الإيحاء» .

٨ – كشف البحثُ عن أن الحرف حذفًا، وإبدالًا، ووصلًا وقطعًا، وإبقاءً وتركًا، له دلالته المعبرة الصامتة ، خاصة المعهود منه في مكتوب القرآن الكريم .

٩ – للحرفِ العربيِّ أثره في النحت العربي الذي هو وسيلة من وسائل نمو اللغة، وكشف البحثُ عن الخلل والاضطراب الماثلين في استخدام الحرف في الاختزال اللغوي أو المختصرات ، مما يعوز إلى إعادة النظر فيه من المجامع اللغوية وغيرها من أجل توحيده وتقنينه .

وفى الختام أوصى علماءنا الأجلاء وأساتذتنا الكرام وإخواني الباحثين بالاهتمام بأمر الرسم القرآني فما زال - على الرغم من البحوث التي تناولته - خصبًا ، بحاجة إلى مزيدٍ من البحث والتنقيب ، وبخاصة عن الأسرار المودعة فيه ، والله من وراء القصد .

وبعد فقد حاولت - قدر جهدي - أن أجتهد في إبراز الحقائق مدعومة بالأدلة التي تؤيِّدها مريدًا بذلك وجه الله تعالى ، والأجر والمثوبة منه فهو الكريم المنان ، فإن كنتُ قد وُفقتُ فهذا فضل ساقه الله إليّ ألزم به الشكر الواصب لله الواحد الواهب، وإن كنتُ جانبت الصواب فعذري أن هذا البحث حصيلة الضعيف ، وكل مجتهد مأجور . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

ثبت بأهم المراجع والمصادر

الكتب العلمية :

١ - إبراهيم أنيس (دكتور) من أسرار اللغة، ط٧ سنة ١٩٨٥م مكتبة الأنجلو المصرية .

٢ - أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق (المتوفى: ١٣٠٤هـ) الساق على الساق في ما هو الفارياق ، عنى بنشره/ يوسف توما البستاني ، ط مكتبة العرب - بالقاهرة .

٣ - أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان - التجديد في الإتقان والتجويد ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م .

٤ - أحمد مختار عمر (دكتور) :

- علم الدلالة - ط٢ سنة١٩٨١م، الناشر عالم الكتب القاهرة.

- معجم اللغة العربية المعاصرة ،الناشر: عالم الكتب - ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م - الناشر: عالم الكتب.

٥ - وإميل يعقوب الخط العربي ط طرابلس ط ١ ، ١٩٨٦م.

٦ - البغدادي خزانة الأدب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٧ - البلاذري (أحمد بن يحيى) فتوح البلدان مراجعة : رضوان محمد رضوان، ط دار الكتب العلمية ١٩٨٣م.

٨ - بطرس البستاني - محيط المحيط ، طبعة مكتبة لبنان بيروت سنة ١٩٨٧م.

٩ - الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) فقه اللغة وسر العربية، المحقق: عبد الرزاق المهدي - الناشر: إحياء التراث العربي - الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م .

١٠ - جبران مسعود - الرائد معجم لغوي عصري ، طبعة ٧ دار العلم للملايين - بيروت -سنة ١٩٩٢م.

١١ - أبو جعفر النَّحَّاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) - عمدة الكتاب ، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي - الناشر: دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر - الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

١٢ - الجهشياري (أبو عبد اللّه محمد) كتاب الوزراء والكتاب تحقيق/ مصطفى السقا وآخرين، مطبعة البابي الحلبي ط ٢ ١٩٨٠م.

١٣ - ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) :

- الخصائص ، تح/ محمد علي النجار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣ ١٤١٨هـ = ١٩٨٨م

- سر صناعة الإعراب ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

١٤ - جواد على المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - ط دار العلم للملايين ، ط ٢، ١٩٧٨م .

١٥ - ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تهذيب التهذيب الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند - الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ .

١٦ - أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل - الناشر: دار الفكر - بيروت - ط ١٤٢٠ هـ.

١٧ - خالد قاسم بنى دومى (دكتور) دلالات الظاهرة الصوتية فى القرآن الكريم ، ط عالم الكتب الحديث - الأردن ط١ سنة ٢٠٠٦م .

١٨ - الخليل (الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥هـ) العين، تح/ د مهدي المخزومي وآخر ط منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت ط١ ١٤٠٨هـ = ١٩٩٨م.

١٩ - خليل يحيى نامي (دكتور) أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام بحث بحث في مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، مجلد ٣، مايو -١٩٣٥م .

٢٠ - الداني (عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) ، المحكم في نقط المصحف ، تح/ د. عزة حسن الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ .

٢١ - الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق/ علي شيري ط دار الفكر بيروت ١٤١٤ = ١٩٩٤ م .

٢٢ - الزركشي (محمد بن عبد الله) البرهان في علوم القرآن ،الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .

٢٣ - الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المستقصى في أمثال العرب - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م

٢٤ - سيبويه (أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر) كتاب سيبويه، تحقيق وشرح/ عبد السلام محمد هارون ط دار الجيل - بيروت .

٢٥ - شعبان محمد إسماعيل (دكتور) رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر - الطبعة: الثانية.

٢٦ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المغني في الضعفاء ، المحقق: الدكتور نور الدين عتر.

٢٧ - شوقي ضيف (أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ) (دكتور):

- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ط دار المعارف .

- الفن ومذاهبه في النثر العربي - الناشر: دار المعارف - الطبعة: الثالثة عشرة.

٢٨ - صبحي الصالح (دكتور) دراسات في فقه اللغة، ط١٢ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٤م .

٢٩ - الصولي (محمد بن يحيى) أدب الكتاب للصولي ، تعليق : محمد بهجة الأثري، القاهرة : المطبعة السلفية، د. ط، ١٣٤١هـ

٣٠ - ابن عبد ربه العقد الفريد تح/ عبد المجيد الترحيني ط دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٩٨٧م .

٣١ - عباس محمود العقاد (أستاذ) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، ط٣ دار المعارف - مصر ١٩٦٣م.

٣٢ - عبد الرحمن عمر محمد اسبينداري كتابة القرآن الكريم في العهد المكي نشر : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

٣٣ - عبد الصبور شاهين (دكتور) تاريخ القرآن - ط مطبعة السعادة بمصر ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٣٤ - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي (دكتور) دراسات في دلالة الألفاظ والمعاجم اللغوية ط٢ سنة١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م، ط الجريبي-القاهرة .

٣٥ - عبد الله العلايلي (الشيخ) مقدمة لدرس اللغة وكيف نضع المعجم الجديد ؟ المطبعة العصرية بمصر سنة ٢٠٠٣م.

٣٦ - عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي ت ٦٨٣هـ الاختيار لتعليل المختار ، ط دار النشائر بدمشق سنة ١٩٩٦م .

٣٧ - العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) التبيان في إعراب القرآن المحقق : علي محمد البجاوي الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٣٨ - على رواى - الخط العربي نشأته . تطوره . قواعده - توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٩٢م .

٣٩ - على محمد الضباع (الشيخ) سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين ، ط مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .

٤٠ – على المصري بن إسماعيل (الشيخ) القواعد الجليلة والفوائد الجميلة في الكتابة القياسية وتجويد القرآن والرسوم العثمانية مخطوط محفوظ بالمكتبة الأزهرية لوحة .

٤١ – غانم قدوري الحمد (دكتور) :

– رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية – ط الجمهورية العراقية اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ط١ – ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م

– علم الكتابة العربية – دار عمار. .

٤٢ – ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا ت ٣٩٥ ه) :

– الصاحبي في فقه اللغة تحقيق :السيد أحمد صقر ط الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، وطبعة الناشر: محمد علي بيضون الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

– مقاييس اللغة ، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون ط دار الجبل بيروت ط١ ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

٤٣ – فايز الدّاية (دكتور) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية ط٢ سنة١٤١٧هـ=١٩٩٦م، دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر– بيروت.

٤٤ - الفيروز آبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٥ - الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقرئ) المصباح المنير ، ط دار الحديث بالقاهرة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .

٤٦ - ابن قتيبة المعارف تحقيق : ثروت عكاشة، ط دار المعارف، ط ٤.

٤٧ - القلقشندي وصبح الأعشى في صناعة الإنشا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .

٤٨ - الكفوي (أبو البقاء) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت .

٤٩ - ماجد خير بك اللغة العربية - جذورها - انتشارها - تأثيرها في الشرق والغرب ص ٨٩ - ٩٠ ، ط دار سعد الدين - دمشق ط١ سنة ١٩٩٢ م.

٥٠ - محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) (دكتور) دراسات في علوم القرآن الناشر: دار المنار - الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

٥١ - محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي (المتوفى: ٤١٢هـ) ما يجوز للشاعر في الضرورة ، حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي - الناشر: دار العروبة، الكويت - بإشراف دار الفصحى بالقاهرة.

٥٢ - محمد حسن حسن جبل (دكتور) :

- الموجز في علم الدلالة مع تطبيقات قرآنية ولغوية ، ط٢ ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م مطبعة التركي - طنطا .

- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم - الناشر مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ٢٠١٠م .

٥٣ - محمد الريداوى (للدكتور) « وديعة التراث العربي في تركية المخوط والخطوط » مقال منشور في مجلة التراث العربي العدد ٩٩ سنة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥ م.

٥٤ - محمد سالم بن شديد العوفي (دكتور) تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته.

٥٥ - محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي الخطاط (المتوفى: ١٤٠٠هـ) - تاريخ القرآن الكريم ، ملتزم طبعه ونشره: مصطفى محمد يغمور بمكة - ط ١ بمطبعة الفتح بجدة - الحجاز عام ١٣٦٥ هـ و ١٩٤٦ م.

٥٦ - محمد العبد (دكتور) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي (مدخل لغوي أسلوبي) الطبعة الأولى - دار المعارف سنة ١٩٨٨م.

٥٧ - محمد مكى نصر (الشيخ) نهاية القول المفيد في علم التجويد ط١ المطبعة الأميرية العامرة بالقاهرة سنة ١٣٠٨ه.

٥٨ - محمود أبو المعاطي أحمد عكاشة الدلالة اللفظية - الناشر مكتبة الأنجلو المصرية .

٥٩ - محمود محمد شاكر (الشيخ) مقال بعنوان : « سر من أسرار العربية - نرجو أن نصل إلى حقيقته في السليقة العربية « منشور في مجلة المقتطف يونيو ١٩٤٠ م .

٦٠ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

- المعجم الوسيط ط ٤ سنة ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م مكتبة الشروق الدولية .

- المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ل الناشر : وزاره التربية والتعليم - مصر- تاريخ الطبعة: ١٩٩٤م.

٦١ - ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب - طبعة دار صادر بيروت.

٦٢ - الموافي الرفاعي البيلي (دكتور) تحديد معان لحروف العربية محاولات ومناهج ثلاثة ، ط ١ سنة ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.

٦٣ - الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري) ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

٦٤ - وهبة بن مصطفى الزحيلي (دكتور) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٦٥ - يحيى وهيب الجبوري (دكتور) الخط والكتابة في الحضارة العربية ط دار الغرب الإسلامي - بيروت ط ١ سنة ١٩٩٤م .

• المجلات العلمية والموسوعات:

- مجلة كلية الآداب ط مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٨٤م، مجلد ٣٣.

- الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، ط ١، ١٩٩٦م)

- الموسوعة العربية الميسرة ط دار القلم و مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

خصائص العربية وأثرها في التعليم

د سعود بن عبد الله آل حسين
الأستاذ المشارك في قسم النحو
والصرف وفقه اللغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فأتوجه بالشكر الجزيل والثناء العطر إلى القائمين على هذه الجامعة عموما وإلى عميد هذه الكلية خصوصا فضيلة الدكتور أحمد العضيب ووكلائه الكرام كما أثني بالشكر مستداما وبالعرفان معطرا إلى فضيلة الدكتور عبد الله الوشمي مدير مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية وذلك لجهودهم المخلصة في خدمة هذه اللغة الشريفة وفاء لحقها وتعلية لموقعها بين اللغات، أيها الفضلاء تتربع العربية بين اللغات اليوم في منزلة جيدة ومكانة مرموقة فهي من حيث سعة الانتشار تكاد تكون الثانية أو الثالثة عالميا ولا تكاد توجد جامعة أو قطر إلا وللعربية في أقسامها قسم مختص و بين أبنائها طالبون ومهتمون، وهذه المكانة العلية من آثار ارتباطها بالقرآن الكريم وحملها للفكر الإسلامي

لقد وصلت العربية إلى مكانة مرموقة بين اللغات وحملت ثقافة عالمية من أرقى الثقافات، وصاحبها تاريخ طويل لا مجال معه أن نقول هي في خطر زوال أو تحول وتبدل، ولكن هذا لا يعني أن نتوقف عن البحث فيها أو أن نترك التفكير في كل الوسائل التي يمكن أن تخدم مستهدفها بالتعلم، إن العربية كبقية اللغات يعلي التعليم من شأنها ويخفف العبء عن متعلمها إذا استغل الاستغلال الأمثل، وإن الاحتفاء بها في هذا اليوم ينبغي أن يستثمر فيما يعود على اللغة ومكانتها وتدريسها بالعائدة الحميدة والتوصية المفيدة، ولذا فقد آثرت أن يكون حديثي

عن خصائص العربية وأثرها في التعليم قديمًا وحديثًا، وخطر توظيفها سلبا راجيا التوفيق فيما ابتغي وأرجو.

خصائص العربية

كثر استعمال هذا المركب الإضافي في لغة العرب قديما وحديثا وتتابع الدارسون والباحثون على استعماله، وقد حاولت بأن أظفر له بدلالة اصطلاحية فلم أتمكن لأن هذه الكلمة لم تبتعد عند الدارسين عن دلالتها اللفظية المعجمية المذكورة في لسان العرب وفي المعجم الوسيط، فالخصائص جمع خصيصة يقال : خصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية واختصه بكذا أي خصه به فاختص وتفرد والخصيصة : الصفة التي تجمع الشيء وتحدده وجمعها خصائص[1]، ولم تذكر المعجمات العربية معنى حملته الكلمة غير هذا على مر العصور[2]، ويمكن من خلال هذه الدلالة أن أقول إن المراد بخصائص العربية هي الصفات والمزايا التي تفردت بها العربية أو غلبت عليها من بين اللغات. ولا يدخل فيها الأساليب وطرائق التعبير التي استقلت بها العربية عن غيرها فأضحت لغة مستقلة تباين اللغات الأخرى ، إن الأمور المشتركة في اللغات لا توجب تفضيلا ولا تدل على اختصاص فطرائق التعبير متعددة، وكل لغة قد استحوذت على طرائق خاصة، ولا مجال لادعاء الاختصاص والتفاضل في هذا الميدان، لقد تساوت اللغات في كونها أصوات فلا مجال في وجهة نظري أن أقول: إن عدد الأصوات في هذه اللغة أو تلك مزية رفعة أو موجب اختصاص، ولا مجال للقول بأن نظرة العرب إلى ما في الوجود تذكيرا وتأنيثا تستجلب خاصية وتستوجب مزية.

إن الخصائص هي ما امتلكته اللغات جميعا أو أمكن أن تمتلكه فوجدنا في

---

(١) انظر لسان العرب والمعجم الوسيط مادة خص.

(٢) انظر خصائص العربية للدكتور محمد حسن جبل ص٩فقد استعرض استعمال كلمة خصائص عبر تاريخ العربية .

إحداها مزية انفراد ودالة تفضيل، فكل اللغات ارتبطت بثقافات ووجد فيها نصوص ولكن ارتباط العربية بالثقافة الإسلامية شيء مغاير، كما أن ارتباط الانجليزية بالثقافة الحديثة شيء مختلف ،وليس من لغة من اللغات تضاهي العربية أو الإنجليزية في هذا الارتباط

إن الكلام في الخصائص يجب أن ينطلق من هذا المعيار في وجهة نظري وإلا فإنه سيكون دعوى بلا دليل ورواية بلا سند، وهذا هو ما أغرق فيه الباحثون الذين تعرضوا لهذه القضية من العرب لقد ادعوا أن الاشتراك من خصائص العربية وهو موجود في اللغات كلها وادعوا التوليد والتعريب من خصائص العربية(١) وكل اللغات تتبدل فيها الدلالات وتقترض من اللغات الأخرى وادعوا الشعر والحكمة وكل هذا في اللغات موجود حتى لقد صار الحديث في الخصائص عند الكثيرين حديث تغن بذكر محاسن محبوب لا مجال للقول فيه بدليل ولا مطالبة ببرهان لأن حديث العاشق والمعشوق أشد الأحاديث استغناء عن ذكر العلل والبراهين وحجج العقل وإقناعات المنطق.

لقد تضاءل عند اللغويين المحدثين القول بتفاضل اللغات فلم يعد يلفت أنظار الباحثين البحث في عناصر التفاضل والتمايز بين اللغات وهذا في وجهة نظري مقبول في الخصائص والسمات الداخلية للأنظمة اللغوية، ولكن القول بالتفاضل بين اللغات بالنظر للأمور الخارجية مقبول بل لابد منه ما الذي يجعل لغة من اللغات محل الاهتمام والعناية ولغة أخرى في موضع هجر واطراح ؟ إذا تساوت اللغات في إمكانية أمور خارجية وفضلت لغة لغة فلا بد من القول بالتفاضل وقد ذكر ابن تيمية قاعدة عامة في التفاضل يقول : يجب أن يعلم أولا أن التفضيل إنما يكون إذا ثبت من الخصائص مالا يوجد مثله للمفضول فإذا استويا وانفرد

(١) انظر كلام السيوطي في المزهر١/١٨٦و خصائص اللغة العربية لمحمد حسن جبل ٢١ ومن خصائص اللغة العربية للدكتور العصيلي ٣٥ وما بعدها وكذلك فعل من تحدثوا عن خصائص العربية دون إفرادها بكتاب مثل محمد المبارك وصبحي الصالح وحاتم الضامن وكاصد الزيدي وغيرهم .

أحدهما بخصائص كان أفضل أما الأمور المشتركة فلا توجب تفضيله على غيره»[1] فالأمور الخارجية ممكنة لجميع اللغات موجودة فيها ولكن بعض اللغات فاقت غيرها في هذا الجانب ومن فلا بد من القول بالتفاضل يقول د عبدالعزيز العصيلي : فاللغات لا تتفاضل من حيث هي لغات ووسائل تواصل وإنما تتفاضل بما تحمله من فكر وثقافة»

خصائص العربية عند الباحثين

ظهر هذا التركيب وشهر عندما ألف الإمام أبو الفتح ابن جني كتابه الخصائص ولكون موضوع كتابه العام يرتبط باللغة العربية فقد تصور الباحث نينيت ابراهيم خضور أن غاية ابن جني الاحتشاد لذكر ما تختص به العربية فكتب رسالة عن خصائص العربية في خصائص ابن جني[2] وابن جني رحمه الله في كتابه استهدف موضوعات متفرقة يجمعها الشأن اللغوي، ولم يظهر في كتابه ما يدل على استهداف مقارنة بين اللغات فيما يبدو لي ولا تحديد لما تختص به العربية من بين اللغات، وقد ظهرت كتب أخرى في الثقافة الإسلامية بعنوان الخصائص والمقصود بها المناقب والمآثر والمزايا كما في كتاب النسائي، وكما هو الحال في كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي، أما استهداف مزايا العربية بالتأليف وذكر خصائصها فقد ظهر في فترة مبكرة مرتبطا بالحديث عن شرف العربية من بين اللغات كما فعل أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي[3] وكما هو ظاهر في مقدمات كثير من الكتب اللغوية والمعاجم وكما فعل عباس محمود العقاد في كتابه اللغة الشاعرة ود لطفي عبد البديع في كتابه عبقرية العربية فقد ذكر حديثا عن بعض أساليب العربية في تسمية الأشياء ويفهم من كلامه القول

---

(١) مجموع الفتاوى٤١/٤

(٢) الدراسة من منشورات الجامعة الأردنية وقد اطلعت على ما عرض من بعض أجزائها في الشبكة .

(٣) انظر ١٦

بمنطقية العربية وحكمة أهلها[(١)] وكتب فيه باستقلال السيوطي في المزهر فوضع بابا بعنوان خصائص العربية كما كتب فيه فصولا خاصة د صبحي الصالح في كتابه دراسات في فقه اللغة ود كاصد ياسر الزيدي في كتابه فقه اللغة،ومحمد المبارك في كتاب فقه اللغة وخصائص العربية، ود حاتم الضامن في كتابه فقه اللغة ، وقد ألف د إميل بديع يعقوب كتابا بعنوان فقه اللغة وخصائصها فظهرت كلمة خصائص في عنوان الكتاب ولكنها لم تظهر في مباحث الكتاب لكنه أورد في أول الفصل التاسع قولا لابن فارس عن إبانة العرب يدل على أنه ينحو نحو غيره في هذه الخصائص وممن أفردوها بالتأليف د اسماعيل أحمد عمايرة في كتابه خصائص العربية في الأفعال والأسماء، ود محمد حسن جبل في كتابه خصائص العربية تفصيل وتحقيق ود عبد العزيز العصيلي في كتابه من خصائص اللغة العربية ، وقد ذكر لي بحث بعنوان : خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد لمحمد المبارك ولم يتسن لي الاطلاع عليه وأما كتابا د جبل ود عصيلي فهما أبرز البحوث التي ظهرت فيما اطلعت عليه في خصائص العربية ،

إن موضوع البحث في الخصائص ليس من نافلة القول ولا من ترف البحث والرغبة في الاستطلاع، إن البحث فيه له ما يستدعيه ويستوجبه لأن اللغات وإن تشابهت في كثير من مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية وانطبقت عليها قوانين عامة في تبدلها وتغيرها وفي انحسارها وانتشارها وإن تلاقت في وسائل تعليمها وطرائق تدريسها، إلا أنها تفترق في خصائصها وسماتها المميزة وطرق تعبيرها عن ما في الكون والحياة والتصور، وليس من شك أن ذلك التباين في الخصائص والتنوع في السمات وطرائق التعبير سيتبعه تباين واختلاف في تدريس اللغات وتعليمها، إنني لست ممن ينفي الخصوصية اللغوية كما انني لست ممن يعممها، توجد خصوصية لبعض اللغات لكنها في إطار ليس بالواسع .

إن تعليم اللغات وتدريسها على مقدار قربه من طبيعتها وانطلاقه من مزاياه

---

(١) انظر التمهيد والفصل الأول من الكتاب .

وانبثاقه من خصائصها سيكون قربه من النجاح ووصوله لتحقيق الأهداف ولأجل هذا فقد سعى الباحثون قبل وضع مناهج تعليم اللغات إلى دراسة اللغات نفسها ووصف أنظمتها والتعرف على خصائصها الداخلية والخارجية ،لأنها هي المنطلق والاعتداد بها هو أيسر الطرق للنجاح

إن تحديد سمات اللغات ومزاياها سيعطي تصورا عن اللغة وموقعها بين اللغات وسيرسم مخططا يسيرا لطرائق التعبير فيها وسيصور باختصار أسلوب أهلها في التعبير عن الأشياء ،ولأجل هذا بادر الدارسون إلى الحرص على حشد الطاقات في تحديد المزايا وحصر الخصائص، ولقد كان نصيب العربية من هذه البحوث وافرا كثيرا إلا أن البحوث التي استهدفت خصائص العربية فيها أمور معيبة هي :

١/ انطلاقها من حب العربية والتغني بتراثها مما جعلها أقرب إلى حديث العاطفة منها إلى حديث العلم .

٢/ أن من تحدثوا عن خصائص العربية غيبوا عنهم استشعار أو تصور ما في اللغات الأخرى فصارت أشبه بحديث من يصف نفسه غير ناظر في المرآة .

٣/ أن غالبية من تحدثوا عن الخصائص استولى عليهم ما قرره القدماء في خصائص العربية فصاروا مكررين ومفصلين لما قيل، غير ناظرين إلى ما خلص إليه علم اللغة في العصر الحاضر بشأن اللغات، لقد بقي كلام الجاحظ في البيان والتبيين حاضرا في أذهان من كتبوا في الخصائص دون مراجعة حين قال : ولا بد أن نذكر ... الدليل على أن العرب أنطق، وأن لغتها أوسع، وأن لفظها أدل، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر، والأمثال التي ضربت فيها أسير، وأن نذكر الدليل على أن البديهة مقصورة عليها، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها»[1] وكذلك ابن قتيبة في تأويل مشكل

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٣٨٤

القرآن فقد ذكر أن من خصائص العربية البيان وزيادة حروف المباني والإعراب والشعر والعروض .....إلخ[١] لقد راح أغلب الباحثين يفصلون ما أجمل في هذين النصين وأضرابهما، وهذان النصان مع تقديري لقائليهما كتبا بروح عاشقة للعربية ناظرة إليها من خلال النص القرآني الكريم، غير مفرقة بين ما هو نظام وبين ما هو كلام

وقد أثر هذا الوضع في موقع ما حشد من الخصائص للعربية عند المختصين في العربية، فجعلها في موقع قصي من الاهتمام كما سلبها التأثير الايجابي في المناهج وطرق التعليم على مستويات مراحل التعليم كلها،كما أن المبالغة فيها جعلها في موضع تساؤل من حيث الحقيقة ، إن المبالغة في وصف الشيء تجعله في نظر السامع مستحيلا كذبا يقول ابن عاشور : وقد زعم بعض العلماء أن خصائص العربية لا تنحصر »[٢]هذا الزعم في نظري إفراط في ادعاء خصوصية لا وجود لها بحجم غير متناه كما يقول هذا الزاعم ، وكم سيكون له من الأثر السلبي الذي سينأى بما يدعيه عن الحقيقة،فتصير خصائص العربية الواقعة عرضة للنفي وضحية للشك جراء تلك المبالغة، ولقد وجدت تساهلا في إعطاء القلم لعنانه في هذا الموضوع بصورة ليس عليها الأمر في موضوع آخر حسب اطلاعي حتى لقد ادعوا الإبدال والقلب والإدغام من خصائص العربية[٣] وأدخلوا ألوانا من الفنون مثل الشعر وبعض أنواع البيان في خصائص العربية بل إنهم أدخلوا التجويد وهو خاص بأداء النص الكريم[٤] وتجاوزوا ذلك فقال د. محمد نديم فاضل : ومن خصائص العربية في أفعالها وما تميز به بعضها أنه يتعدى بحرف مخصوص لا يتحول عنه »[٥]

---

(١) تأويل مشكل القرآن ١٢

(٢) التحرير والتنوير ٩/١٩٤

(٣) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١/٢٧٠

(٤) انظر فتاوى الشبكة الإسلامية ضمن المكتبة الشاملة رقم ٥٤٠

(٥) التضمين النحوي في القرآن الكريم ٦٧ وانظر الموسوعة القرآنية ٣/٤١ و٤/١٥٢فقد أورد خصائص لم يقل بها سواه .

إخال أننا بحاجة عند الحديث عن خصائص العربية إلى حصر أمرين :

١/ ما تنفرد به لغتنا وليس في سواها منه شيء.

٢/ ما اشتركت فيه مع غيرها ولها فيه زيادة مزية .

٣/ أن تناقش الخصائص الداخلية في دائرة النظام اللغوي، وليس في دائرة الكلام والنصوص لأن النصوص أمر خاص تعود مزاياه وعلو شأنه إلى من قاله، وليس إلى النظام العام الذي يمتلكه جميع أفراد متكلمي اللغة، وهذا الأمر قد غفل عنه كثيرون ،وإخال نص الجاحظ وابن قتيبة في هذا السياق فالجاحظ عينه على البيان القرآني ،وابن قتيبة كذلك كان في معرض الدفاع عن القرآن، وما في القرآن الكريم من بيان وإعجاز فهو عائد إلى الله سبحانه وتعالى لا إلى النظام اللغوي وكذلك شأن كلام المصطفى ﷺ.

إن وجود ثروة من النصوص النثرية والشعرية تتسم برقي النظم وجمال الأسلوب واكتمال وجوه الإبداع تعطي اللغات رقيا وتمنحها رفعة وتجعل لها خصائص لكنها خصائص خارجية وليست داخلية ،ومن الخطأ في المنهج أن تختلط الأمور فلا نفرق بين الخصائص اللغوية الداخلية ذات الصبغة النظامية، والخصائص اللغوية الخارجية ذات الصبغة الثقافية.

هذه الأمور هي عندي بمثابة المعيار الذي يمكن أن نزن به ما أورده الباحثون وما حشدوه من قوائم تتضمن مزايا العربية وخصائصها، وذلك طلبا للتحديد الدقيق الذي سيكفل لنا جانبا من الحقيقة فيما نتصور أنه مؤثر في مناهج العربية وتدريسها من الخصائص والمزايا .

خصائـص العربيـة المؤثرة في تعليمها

إن للعربية مزايا وخصائص بعضها داخلي يعود إلى طبيعة أنظمتها ، وبعضها خارجي يعود إلى ما يتصل بها من ثقافة وتاريخ واستعمال، والنوعان يتمثلان في كثير من الأمور سأكتفي في هذا البحث منها بما أراه وثيق الصلة بما يمكن أن نجعله ضمن خصائص العربية وهي :

أولا : مما يعود إلى أنظمتها الداخلية في الجانب الصوتي ذلك الانضباط في الصور المقطعية للعربية فهي ثلاثة تصل إلى ستة في حال الوقف والإدغام. ولا عبرة بما قاله د تمام حسان في كتابه مناهج البحث اللغوي[١] من وجود مقطع سابع. وتلك الثلاثة ذات تركيب متسق منتظم منضبط يقوم بعضه على بعض فيه من السمات:

١/ الوضوح

٢/ القلة وعدم التعدد الزائد

٣/ الانتظام والتتابع

٤/ لا تقل عناصرها عن اثنين، ولا يتكون مقطع فيها من صامت واحد

وأشكال عناصرها هي :

١/ س ح مثل بَ بِ بُ

٢/ س ح س مثل بح من بحرٌ

٣/ س ح س س مثل شعب عند الوقوف عليها

٤/ س ح ح مثل نا من ناصر

---

(١) ٦٩

٥/ س ح ح س مثل باع عند الوقوف عليها

٦/ س ح ح س س مثل راد المشددة عند الوقوف عليها.

إن تنوعات المقاطع في اللغات الأخرى تصل إلى ست عشرة صورة كما قال د أحمد مختار عمر في دراسة الصوت اللغوي[١]، ليس في العربية منها إلا ما وضحت مع يسر و انتظام وتتابع

ومع هذا لم تستثمر هذه المزايا في التعليم فخريج أقسام البكالوريوس ومن يتولى تعليم العربية بل والمنهج الموضوع لتدريسها لا يراعي هذا، فقد قرر على الطلاب في معظم البلدان العربية مقطعا يوجد في اللغات الأخرى ولا يوجد في اللغة العربية وقد وضحت هذا في بحث كتبته عن المقاطع الصوتية في مراحل التعليم الأولية منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[٢] وذلك المقطع هو المكون من صامت ساكن فهو في الانجليزية مثلا في مثل STY وقد يضاعف في مثل STRONG وفي البهاسا في اندونيسيا وماليزيا في مثل KNAPA بمعنى لماذا

إن هذا المقطع لا يوجد في العربية، فأقل ما فيها يكون من عنصرين ساكن ومتحرك فلماذا يعرض على الطلاب؟ ولماذا يجبرون على نطق ما ليس من لغتهم ولا من عادتهم ؟ أليس من الخطأ أن نقول للطالب انطق الباء ساكنة كما نطقتها محركة ؟ إنه سوء المعرفة بما للعربية من خصائص ،وسوء و ضعف ما يقدم للطلاب المتخرجين في الأقسام العلمية، إن الباء المتحركة تمثل مقطعا قصيرا في العربية لكنها ساكنة لا تمثل مقطعا منفصلا، وإنما تكون عنصرا من مقطع لا ينفرد وحده .

ولم يقف الأمر عند هذا بل إن المقطع القصير يكاد يستولي على صيغة الماضي

---

(١) ص ٢٦٢

(٢) العدد الحادي والثلاثون ربيع الآخر ١٤٣٥هـ

في صورتها الأصلية دونما إسناد أو اتصال بضمائر، ومع هذا استبعد استثمار هذه المزية في التعليم وكثر التمثيل بالاسم والفعل المضارع وفعل الأمر، والحال مع هذه ليست على الحال التي عليها الماضي .

ثانيا : مما يتصل بالنظام الصوتي قلة تنوع الصوائت، وإن تنوعت فبشكل يسير في الإمالة والتفخيم والترقيق والإشمام إلا أن ذلك لا يؤثر في توجيه المعنى ولا يمثل عقبة أمام الدارسين في حين أن تنوعات الصوائت في اللغات العالمية تصل إلى أكثر من خمسين تنوعا منها في الانجليزية اثنان وعشرون تنوعا كما يذكر الباحثون(١) وهي توجه المعنى وتؤثر فيه فالإمالة مثلا لا توجه المعنى في العربية ،ها نحن نقول بيت بفتح الباء ونقولها بإمالة الفتحة ولكنك في الانجليزية تجد فرقا في المعنى بين ، care، car

وتضاؤل تنوع الصوائت في العربية وقلته يمنح العربية مزية من بين اللغات ذات التنوعات الكثيرة للصوائت ، ويسهم في تسهيل تعلم نظامها الصوتي فيكون الطالب في إطار غير متشعب .

ثالثا : مما يتصل بنظامها الكتابي ذلك الاطراد والانقياس الذي يقل معه الاضطراب بين المسموع والمكتوب فالكتابة في العربية فيها اطراد واضح يقل معه التقسيم وقياس منضبط يند معه الخروج عن القاعدة وذلك لقيامها على أسس ثلاثة :

١/ مطابقة المكتوب للمنطوق إلا في أحوال يسيرة .

٢/ مراعاة حال الوقف .

٣/ اعتبار حالة الهمز والتسهيل بين لهجة الحجاز ونجد.

---

(١) انظر دراسة الصوت اللغوي ٢٥٧و الدرس الصوتي بين القدامى والمحدثين ١١٧و علم الأصوات للبهنساوي ١١٢.

كما قال ابن مالك في باب الهجاء في كتاب التسهيل[1]، وكما أفصح عنه ابن عقيل في المساعد على تسهيل الفوائد[2] ،على حين أنك تجد النظام الكتابي في كثير من اللغات قائما على عادة وإلف لا على قاعدة ونظام

ولكن هذا الانطلاق من هذه الأصول قد اعتراه الخلل، وذلك أن هذه الأصول لم تعد تراعى في تعليم مهارة الكتابة والسبب في ذلك هو عرض قواعد الإملاء عند المتأخرين في كتب خاصة دون الإشارة إلى تلك الأصول التي كانت مرعية عند النحاة ،وبسببها صار الهجاء أحد موضوعات النحو العربي، فصعب التعرف على الصواب في النظام الكتابي، واتسعت دائرة المنطوق الذي يخالف المسموع، و نقلنا مهارة تعليم الكتابة من دائرة ما يعلم بقاعدة إلى دائرة ما يعلم بقائمة ،وتبصر في تعليم كتابة ضمير الغائب في عليه ومنه وإليه وأمثالها، واقرأ تعليل القدماء وتعليل المحدثين إنه عند القدماء معلل بما يفرضه المسموع من الكلمة عند الوقف، وعند المحدثين معلل بمخالفة المكتوب للمنطوق، لأنهم تصوروا أن شأن الكتابة هو شأن القراءة في مراعاة الوصل وانظر ما اعترى التعرف على التاء المفتوحة والمربوطة من صعوبة في جميع مراحل التعليم بسبب نقلها من دائرة ما يعلم بقاعدة إلى دائرة ما يعلم بقائمة.

رابعا : تعد العربية من اللغات الاشتقاقية وإن شاركتها أخواتها الساميات في هذا[3] إلا أن قانون الاشتقاق في العربية أمر يلفت الانتباه فمفرداتها المعجمية التي تجاوزت اثني عشر مليون تعود في أكبر المعجمات إلى مائة وعشرين ألف مادة، وانضواء المشتقات الكثيرة تحت الجذور في العربية يدل على اتساع دائرة الاشتقاق وهذا يستتبعه أمران :

١/ سهولة تزود طلابها بالألفاظ ،لأن إثراء المعجم الذهني سيكون عن طريق

(١) انظر كتاب التسهيل٣٣٢

(٢) المساعد على تسهيل الفوائد٤/ ٣٣٥

(٣) انظر الساميون ولغاتهم ٢١

تفهم قواعد صياغة المشتقات في الاشتقاق الصرفي، فالطالب يتعرف المصدر أو الفعل ثم يستثمر القاعدة الاشتقاقية في التعرف على بقية الألفاظ المشتقة، وهذا سيمنح الطالب سهولة في التحصيل لا يجدها في اللغات التي يمثل كل لفظ فيها وضعا منفردا ، إن تحصيل كثير من الألفاظ المشتقة لن يكون عن طريق قوائم تحدد ثم يزود بها الطالب بإحدى الطرق المفضلة في علم اللغة فحسن ، بل سيكون من خلال استثمار القاعة والقياس .

٢/ فرضت هذه الخاصية على التدوين المعجمي اطراح الترتيب النطقي لأنه لا يناسب العربية بل سيبعثر المادة المعجمية في حين أن الترتيب النطقي مناسب للغات الأخرى، ومن ثم فالمحاولات المعجمية التي رامت تقليد المعجمات الغربية في الترتيب النطقي باءت بالفشل الذريع وبقيت محاولات فردية غير ناجحة[١]

إن هذا النوع من الاشتقاق هو الذي يصح أن يكون من خصائص العربية أما الاشتقاق الكبار (النحت) والاشتقاق الكبير فقد عدهما كثير من الباحثين من خصائص العربية[٢] وليس هذا بصحيح في نظري، لأن النحت موجود في جميع اللغات بل إن نصيب لغتنا منه ليس بأوفر مما في غيرها، وأما الاشتقاق الكبير وهو إدارة تقليبات المادة حول معنى واحد كما قال ابن جني[٣] فهو محصلة تفكير واستنتاج لغوي وليس من عمل المتكلمين، إنه قول من يتكلم عن اللغة وليس بقول من يتكلم اللغة فهو كالعلة النحوية وليس من صميم النظام اللغوي ، وليس من الصواب أن يجعل ما نتج عن تصور اللغويين وتعليلاتهم من خصائص العربية بل يجب أن يستبعد لكيلا نخلط بيم ما هو من طبيعة اللغة وبين ما هو من استنتاج الباحثين وتصوراتهم العقلية

(١) انظر ما قيل عن الترتيب النطقي المعجم العربي د حسين نصار ٢/١٨٤

(٢) انظر مثلا من خصائص العربية ص٣٥

(٣) انظر الخصائص٢/١٣٣

خامسا : اللغات الإنسانية يتكلم بها في حالة تركيب وتقسيمها إلى مفردات أمر يعود لعمل اللغويين، أما الناطق الفطري فلا يعرف سوى الجمل أما تحليل الجمل إلى كلمات والكلمات إلى مورفيمات وفونيمات وألفونات ثم فونات كما هو معروف عند اللغويين فهو ليس بفطري[١] .

إن اللغات ينطق بها مركبة وتتساوى في مسألة التركيب ولكنها تختلف في كيفية التركيب وتختص العربية بمحافظتها على عنصر الإعراب المتغير بتغير العوامل من بين اللغات السامية بل من بين اللغات العالمية، يقول د حسن ظاظا رحمه الله عند كلامه عن خصائص اللغات السامية : هذه الصفات العامة التي انطلق بها الساميون من موطنهم الأصلي كل في جهته، يضاف إليها شيء آخر بقي في بعض هذه اللغات واندثر من بعض فهناك تغيير في الحركات الواقعة على أواخر الألفاظ لتحديد وظيفتها في الجملة « [٢]

إن انفراد العربية بوجود هذا العنصر الزائد على تركيب الجملة يكلف متعلمها بضرورة تعلم نظام عنصر نحوي ليس بمألوف في اللغات، وهذا وإن شكل عنصرا جديدا إلا أن هذه هي طبيعة العربية وطبيعة نظامها ولا يمكن التفلت من هذا، وليست المشكلة الكبرى في وجود هذا العنصر فهو ظاهرة يمكن أن يألفها الطالب بسهولة ويسهر إذا صلح منهج التعليم والتدريب والتطبيق لكن المشكلة تكمن في تحول ذلك العنصر إلى قضية اتسع الكلام فيها وتشعب وصارت تأخذ من الطلاب وقتا وجهدا هو أضعاف ما يبذله الطالب في تعلم الإعراب ذاته، فالأمر لم يقف عند حدود الظاهرة بل أضحى قضية استنفدت من متعلمي العربية طاقة وجهدا كبيرين، وذلك لدخول عناصر ليست مما يتصل بتعليم التراكيب في شيء ولا الإعراب بل هي متصلة بالجهود المبذولة

---

(١) تحليل اللغة إلى جزئيات بعيدة عن ما هو فطري موضع إشكال واختلاف بين اللغويين وانظر دراسة الصوت اللغوي ٢٢٧

(٢) الساميون ولغاتهم ٢٣

في التقعيد ووجهات النظر في الاستدلال والتعليل والتأصيل، وحسب المطلع أن يعود إلى بعض الكتب النحوية وسيجد عناصر في كل موضوع لا علاقة لها بتعليم التراكيب النحوية.

سادسا : طول عمر هذه اللغة فقد عاشت قرونا طويلة في الجاهلية لا يعلم عنها شيء ، ولكن إشارات المتأخرين من الجاهليين في أشعارهم تومئ إلى ذلك يقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معادا   أو معارا من قولنا مكرورا

فزهير يشير إلى أن ما يقوله هو ومعاصروه مكرر معاد وذلك المعار المعاد المكرر مفقود غير حاضر في كتب الأدب والشعر فهو يشير إلى نصوص مفقودة ويومئ إلى مقول وافر .

وامرؤ القيس قد أشار في قصيده إلى شاعر اسمه ابن خذام أو حذام ولا معرفة لذلك الشاعر ولا لجيله، فقد قال :

لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ويقول عنترة بن شداد :

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعد توهم

إن عنترة يسائل نفسه ما الذي حملها على القول وأغراها به، بقاء موضوع لم يعبر عنه أم معرفتها بدار قد أقفرت ؟ والمعنى الأول يوحي بأن مواضع القول قد استأثر بها من تقدم ، فهو يشير إلى من لم يحفظ تعبيره و لم يبق قوله . إننا أمام لغة قديمة وتاريخ عريق موغل في القدم عرف منه ما قيل في الجاهلية المتأخرة قبل الإسلام وجهل الكثير، وهذا العمر الطويل والتاريخ المديد قد احتفظت فيه العربية ببقائها حية غير ميتة وليس هذا إلا للعربية فجميع اللغات قد تبدلت وتحولت أو ماتت ثم رجعت للحياة كما في العبرية بصورة ليست هي الأولى .

إن هذا العمر الطويل الذي عاشته العربية حية غير ميتة وبقيت فيه متماسكة غير متحولة قد جلب لها أشياء قد عدها الباحثون من الخصائص، وليس الأمر كذلك فهي نتيجة طبيعية لطول العمر والبقاء فقد عدوا سعة المعجم وكثرة الألفاظ وزيادة المترادف والمشترك من خصائص العربية يقول د كاصد ياسر الزيدي: تتجلى هذه الخصائص في ظاهرة الإعراب والاشتراك والترادف والتضاد »[1] وقد قال هذا غيره أيضا من القدماء[2] وأضحى محل تجاذب بعضهم يدعيه مزية وآخرون يرونه تشويها تقول د عائشة عبد الرحمن : وما أكثر من يباهون بهذه الثروة اللغوية ويعدونها ميزة من مزايا العربية الشريفة، وإن كان تقدم الدراسات اللغوية قد جاوز بنا مرحلة المفاضلة الساذجة بين لغتنا وغيرها من اللغات ووجهنا إلى البحث في خصائص العربية منتفعين بما هدت إليه البحوث العلمية في اللغويات والصوتيات فلم تعد كثرة الألفاظ الدالة على المعنى الواحد مدعاة فخر ومباهاة وإنما أصبحت قضية تلتمس حلا «[3] إن المشترك اللفظي في العربية والمترادف أغلبه من النوع الميت فلا وجود له إلا في المعجم ولا وجود له في ذاكرة المتكلمين ولذا فهو يتصل بالزمن وتاريخ اللغة ، ويتوافر في ذاكرة الأمة (المعجم) ولا يوجد في ذاكرة كل جيل منه إلا القليل .

إنني لست مع من يدعي أن هذا الأمر من خصائص العربية كما أنني لست مع من يتصوره معضلة تستدعي حلا ، لأن الأمر في تصوري متصل بل عائد إلى طول عمر اللغة وكثرة مستعمليها وكل لغة طال عمرها وكثر مستعملوها فإن معجمها سيزداد مع الزمن، فليست زيادة المعجم بالاستعمال خاصة بالعربية لكن الذي من خصائصها ولما يتح لغيرها هو طول حياتها وبقائها خالدة مع هذه الدهور المتعاقبة، هذا هو الذي تفردت به العربية ، وليس ثراء المعجم ، لأن ثراء المعجم ناتج عن طول عمر اللغة وكثرة متكلميها وتعدد بيآتهم.

(١) فقه اللغة العربية ١٢٩

(٢) استعرض د جبل ذلك في كتابه خصائص العربية ٢١

(٣) الإعجاز البياني للقرآن ٢١٠

سابعا : إن طول عمر اللغة وبقاء نظامها الأصيل حيا لا يعني أنني أرى أن التطور والتبدل ممتنع عليها البتة فكل اللغات تتبدل وتتحول غير أن اللغات تطورت وتبدلت وتحولت إلى لغات أخرى، في حين أن التبدل اللغوي والتطور في العربية لم يحولها إلى لغة أخرى، لكنه صنع بجانب المستوى الفصيح مستوى آخر بجانب ذلك الفصيح ، مستوى عامي ليس ببعيد عن الفصيح وليس بقريب منه يختلف قربه وبعده من بلد إلى بلد ومن مستوى إلى مستوى فهو في الجانب اللفظي المعجمي أقرب للفصيح منه في المستوى الصوتي والنحوي، وقد أوجد هذا ازدواجية واضحة في العربية إخالها أعظم مما عليه الحال في اللغات الأخرى ، وقد بقي المستويان متعايشين منذ فترة مبكرة تبدو بوضوح في بعض مؤلفات القرن الرابع الهجري على نحو ما نرى في الرسالة البغدادية لأبي حيان التوحيدي رحمه الله [١]. وقد أضحت هذه الازدواجية تمثل عقبة عند متعلمي العربية مع أن الإعلام قد خفف من ذلك التباعد بين العامية والفصحى في هذا العصر وعمل على إيجاد مستوى لغوي بين المستويين أما ذلك النقاش الفكري حول تبني العامية فقد خفت لأنه مبني على دعاوى هدم باطلة لم يعد في عالمنا العربي من يتحمس لها ولله الحمد .

ثامنا : ارتبطت لغة العرب بنصوص مقدسة هي القرآن والسنة المطهرة وذلك التراث الأدبي الضخم الذي لا يدانيه تراث وتلك الثقافة العظيمة التي تمثل ثقافة لربع سكان المعمورة وقد جعل هذا لها من الخصائص ما ليس للغات الأخرى وهذه الخصائص تمثل خصائص خارجة عن النظام اللغوي ، وكثيرون ممن تحدثوا عن خصائص العربية قديما وحديثا قد خلطوا بين الخصائص الداخلية والخارجية فترتب على هذا أن جعلوا مزايا القرآن الكريم ومزايا البيان النبوي من خصائص اللغة ونظامها وارتباط العربية بهذين النصين والعائدة المحمودة لهذا الارتباط شيء وتحويل خصائص هذين النصين وتعميمهما على

---

(١) انظر الرسالة البغدادية ٢٦٠عن إيراده لشعر غلام الأمراء .

النظام اللغوي شيء آخر ، وعلم اللغة في أمر من البدهيات المقررة الآن يفرق بين النظام اللغوي والكلام[١] ومن الخطأ الخلط بين معطيات تطبيق النظام اللغوي عند فرد وبين النظام في هيئته العامة والشاملة ، إن هذا الخلط هو السبب في أن الكثيرين قدماء ومحدثين جعلوا من خصائص العربية ما ليس من خصائصها فانطلقوا من البيان القرآني والنبوي وادعوا أن البيان للعرب وليس الأمر كذلك فليس كل عربي بمبين ولا ببليغ ولو كانت الإبانة والبلاغة عائدة للنظام لكانت البلاغة والبيان متحققة في كل ناطق بالعربية وانطلقوا من النصوص الشعرية وادعوا أن الشعر والحكمة من خصائص العربية وما كل عربي بشاعر، والشعر فن تعرفه حميع الشعوب باختلاف فيما يطرب له كل شعب وأمة من الإيقاعات، إن هذا الخلط في نظري هو المسؤول عن التزيد في الخصائص بما ليس منها ، ومن ثم صار المحدثون ممن تكلموا عن الخصائص اللغوية للغة العربية أسارى لتلك النصوص المأثورة عن الجاحظ وابن قتيبة وابن فارس رحمهم الله وأضحى الكلام في الخصائص اللغوية هو مجرد تفصيل وشرح لما في تلك النصوص، وحسبك أن تنظر إلى الكتب الموضوعة في خصائص العربية التي قد ذكرت وسيتضح لك هذا بجلاء.

إن الخصائص التي استدعاها ذلك الارتباط بين العربية وبين النصوص المقدسة وما تفرع عنها من ثقافة إسلامية منح العربية الخصائص الآتية :

أولا / في العالم اليوم ما يربو عل ثلاثة آلاف لغة[٢] وهذه اللغات تتفاوت في عالميتها فلا تكاد تتسم بالعالمية منها إلا لغات جد قليلة، لا تكاد تمثل نسبة من حيث المجموع العام واللغات التي يمكن أن نطلق عليها العالمية هي ما توافر لناطقيها عنصر سعة الانتشار وكثرة الراغبين المقبلين على تعلمها نتيجة لعظم

(١) انظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة د نايف خرما سلسلة عالم المعرفة ١٠٨

(٢) انظر اللسان ةالإنسان ١٣٤ وعدد اللغات مختلف فيه نظرا لاختلاف المعيار بين ما يعد لغة وبين ما يعد لهجة .

أثرها الحضاري ومخزونها الفكري، واللغة العربية في منزلة متقدمة بين اللغات اليوم فهي بلا شك من اللغات العالمية المعدودة والعناصر التي جعلتها عالمية راجعة إلى ذلك الارتباط بالنصوص المقدسة العظيمة ومن ثم فعالميتها لا ترتبط بماديات قابلة للزوال والتحول ولكنها عالمية خالدة باقية بقاء تلك النصوص المقدسة ، وهذا هو الأمر الذي حفظ للعربية مكانتها بين اللغات وإن كان متكلموها الآن ليسوا في المقام الحضاري المبتغى والمؤمل .

ثانيا / استعصاؤها على التبدل والتحول ولا أقول التطور والتغير، إن لغة العرب استمرت في تاريخ طويل قد أشرت إليه سابقا وبقيت حية واضحة النصوص عبر تاريخ طويل ولم تتطور تطورا يبعدها عما كانت عليه ويحيلها إلى لغة أو لغات أخرى فبقيت نصوصها متداولة غير غريبة، وهذا الاستمرار في البقاء والتخليد منح لها بقوة ذلك الارتباط.

ثالثا / ينبني على ذلك الارتباط عند تعليمها أن نستهدف بالتعليم مستوى ليس هو المستوى المتداول المنطوق اليوم، بل المستوى المنطوق الذي جاءت به تلك النصوص المقدسة، وهذا ليس بموجود عند تعليم اللغات الأخرى فالمستهدف عند تعليمها هو المستوى المنطوق الحاضر و انبنى على هذا :

١/ أن نعلم من قواعدها و أساليبها ما ينبني على تلك النصوص حتى ولو كانت بعيدة عن لغة الخطاب، ومن هنا فقد ازدادت الأساليب والقواعد التي تعرض على متعلم العربية لأنه واقع بين نصوص من تراث قديم ونصوص من لغة العصر الحاضر، ولو استعرضت أي باب في النحو لوجدت أن كثيرا من الأساليب فيه إنما تعرض للطالب عند القراءة التراثية، وليس عند المسموع اليوم ولا المقروء اليوم ، وليس من غضاضة في هذا لأن خصائص لغتنا هي التي فرضت هذا واستوجبته ويخطئ في نظري من يطالب بتعليم المنطوق اليوم فقط ، وهذا نداء

رأيته عند كثيرين ومنهم د نايف خرما حين قال متحدثا عن اللغة المستهدفة بالتعليم : إن اللغة هي لغة الحياة اليومية التي يستعملها الناس فعلا لا تلك اللغة التي يوصي بعض النحويين باستعمالها على أنها هي اللغة الصحيحة وهنا نلاحظ الاتجاه إلى المنهج الوصفي والابتعاد عن المنهج المعياري في البحث اللغوي[١] « إن هذا الكلام الذي قاله د نايف قد ردده كل المتحمسين للمنهج اللغوي الوصفي ولم يلحظوا خصوصية ارتباط العربية بتلك النصوص فراحوا يرددون ما يمكن أن ينطبق على غير العربية متجاهلين خصائص العربية وما تفرضه تلك الخصائص، وقد تحمس لهذا كثيرون وتوسط البعض وممن توسط د كمال بشر رحمه الله فقد قال : ومع ذلك ينبغي أن نشير هنا إلى حقيقة مهمة هي أن الطريقة المعيارية هي الأنسب للمراحل الأولى من تعليم اللغة القومية وقواعدها حيث عن الهدف حينئذ هو محاولة المحافظة على اللغة المعينة والتمكن من قواعدها وربط الأمة بلسان واحد ولا يكون ذلك بالطبع إلا بتلقين الناشئة مجموعة منضبطة من القواعد »[٢] ومع توسطه في نظرته إلا أن المنهج المعياري في تعليم العربية في وجهة نظري أمر مفروض استوجبته خصائص العربية وارتباطها بنصوص مقدسة لا يمكن أن تروى بالمعنى.

٢/أن يظل تعليم العربية عموما في إطار خدمة تلك النصوص المقدسة وقراءتها وهذا أمر طبيعي ،لأن غالبية من يتعلمونها إنما تعلموها لفهم الإسلام ليس معنى هذا أن العربية لا يمكن أن نستهدف مستوى محددا فيها بالتعليم كلغة التجارة أو العلاقات ونحوها، هي

---

(١) أضواء على الدراسات اللغوية ٥١

(٢) علم الغة ٢١٧

في هذا مثل بقية اللغات ولا خصوصية في هذا فكل اللغات يمكن أن يستهدف حقل لغوي منها بالتعليم لكن الغالب الأعم عند تعليم لغة العرب هو ذاك .

رابعا : إن اللغات تخضع عند الدرس والبحث لمناهج بحثية وتلك المناهج لا يجب التزام شيء منها فاللغات تدرس بالمنهج الوصفي والتاريخي والمعياري وتوضع قواعدها وتعلم بعد البحث فيها باستخدام تلك المناهج[١]، وتستمر تلك المناهج في متابعة اللغة حينما تتحول وتتبدل من غير فرض مستوى معياري عند التعليم حتى قيل في علم اللغة: إن اللغوي يصف ولا يختار وقد نقدوا المنهج المعياري فقالوا :إن اللغة عند أصحاب هذا المنهج هما ملا يقال بل هي ما يجب أن يقال، وكل اللغات لا تستهدف مستوى محددا بالتعليم ولا يفرض الباحثون معيارا فيها ، فما وافقه فهو صواب وما خالفه فهو خطأ ،هذا لا يكون غالبا أما في لغة العرب فقد فرض ذلك الارتباط على مناهج البحث عند الوصف والتقعيد اختيار مستوى محددا يجب أن يكون هو المعيار فما وافقه فهو صواب وما خالفه فهو خطأ ولحن، وهذا الأمر استوجبه تقديس المستوى اللغوي الذي استمد قداسته من تلك النصوص الواردة به وهذا الذي يحدث في العربية موضع نقد من قبل كثيرين وقد أوردت آنفا قول د نايف خرما ، ولكن من يتدبر خصائص العربية سيظهر له بجلاء ضعف هذا المذهب .

تاسعا : امتازت العربية عن بقية اللغات بأن وصف أنظمتها وتدوين معجماتها ودراسة أساليبها قد حدث منذ ألف وثلاثمائة عام، ويوم أن حدث كان بصورة شاملة وعميقة فهل من كتاب يشبه كتاب سيبويه في زمن سيبويه في اللغات الأخرى؟ وهل من معجم يشبه معجم العين في زمن الخليل في اللغات الأخرى ؟ ثم تتابع ذلك الجهد وتعددت مشاربه وأضحت المكتبة العربية تشتمل على نتاج

---

(١) انظر عنها مناهج البحث للدكتور تمام حسان

علمي في دراسة العربية لا يدانيه تراث، وقد أثر ذلك في تعليمها اليوم بصورة سلبية للأسف فلقد نظر إلى ذلك التراث بعين الإكبار والإعجاب وهو يستحق ذلك لكن الاشتغال به وحده ونسيان تلك النصوص التي جعلت للعربية هذه المكانة هو الأمر السلبي

أليس من الخطأ أن ينصرف التعليم إلى ما قيل عن اللغة وينشغل به عن نصوص اللغة ؟ في أهداف كل الكليات والأقسام يبرز استهداف خدمة القرآن وفي التعليم تتصاغر تلك الخدمة ولا تظهر إلا بشكل عارض لا بشكل مستهدف، في كل الأقسام يبطل شيء اسمه رفع حصيلة الطالب المعجمية ويبرز النقاش في القضايا التي دارت حول كلام العرب والاختلاف في شأن بعض الظواهر مثل الأضداد والمشترك والمترادف مثلا ، ألم تتحول دراسة النص إلى دراسة نظريات قيلت عن النص؟ ألم تتحول دراسة تاريخ الأدب وتحولات نصوصه إلى دراسة السياق الاجتماعي الذي قيل فيه الأدب؟ ألم تتحول المحاضرات في جميع علوم اللغة إلى حديث عن مناقشة قضايا دارت بين من خدموا اللغة وليس فيها شيء من نصوص اللغة ، إن ضخامة تلك الأعمال وعظم محتويات المكتبة العربية المتعلقة بعلوم اللغة عموما، واختصاص العربية بضخامة تلك الجهود وكثرتها قد جعلنا نخلط بين أمرين لا بد من التفريق بينهما وهما من وجهة نظري ما كان ظاهرة في كلام العرب، وما كان قضية انبنت على تلك الظاهرة من جدل فكري وعلل وأدلة عقلية وحجاج وتاريخ فكر وتأثر وتأثير ومعطيات اختلاف في مناهج البحث، إن هذه لا يجوز بحال أن تشغلنا عن تلك لكن الواقع المشاهد والموجود اليوم في الجامعات العربية هو أن أكثر ما تصرف فيه ساعات التعليم هو الأول وحسبك أن تطلع على خطط كليات الآداب واللغة العربية في عالمنا العربي، وتزن ما استهدف الظواهر اللغوية وما استهدف ما قيل عن تلك الظواهر، ثم ستجد الميزان طائشا والكفة راجحة لصالح الكلام عن اللغة، وليس لصالح الكلام باللغة .

الخاتمة

في هذا اليوم العالمي للغتنا التي وإن تقادم عهدها فستظل جديدة، وإن مات غيرها فستظل حية، وإن تبدل غيرها فستبقى خالدة بإذن الله يسعدني تسجيل هذه النتائج لهذا البحث :

١/ أن خصائص العربية قسمان قسم يعود إلى النظام اللغوي وقسم يعود إلى خارج النظام وما اتصل باللغة من نصوص وثقافة .

٢/ بالغ القدماء في خصائص العربية فأدخلوا فيها ما ليس منها .

٣/ خلط القدماء خصائص النصوص الخاصة بالنظام اللغوي فتزيدوا بخصائص ليست للغة .

٤/ تكلم في خصائص اللغة كثير من المحدثين ولكنهم ظلوا في سياق ما قال القدماء ووقفوا عند حدود شرح كلام المتقدمين .

٥/ للعربية خصائص إيجابية ينبغي أن تستثمر في تعليمها .

٦/ الجهل ببعض الخصائص اللغوية قد استجلب أخطاء علمية عند تعليم المقاطع والكتابة ، وعند الحديث عن تعليم اللغات .

٧/ إن ضخامة التراث الذي استهدف العربية ونصوصها بالبحث والتقعيد قد وظف توظيفا سلبيا في الجامعات العربية فطغى الكلام في القضايا على الكلام في الظواهر في الكليات المعنية بتعليم العربية .

٨/ استمر التساهل في حشد الخصائص للعربية في العصر الحاضر دون استناد إلى معيار واضح أو انطلاق من منهج قويم فكل باحث وجد في لغة العرب ما يلفت النظر سارع بجعله من خصائص العربية، حتى

قارب أن يرادف مصطلح خصائص اللغة مصطلح فقه اللغة .

٩/ أدعو إلى مراجعة تعليم العربية والانطلاق فيه من خصائصها مستثمرين الخصائص الايجابية في تعليمها متنبهين إلى عدم توظيف بعض الخصائص توظيفا سلبيا.

والحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين.

سعود بن عبد الله آل حسين

المصادر والمراجع

أضواء على الدراسات اللغوية الحديثة د نايف خرما سلسلة عالم المعرفة شوال ١٣٩٨هـ

الإعجاز البياني للقرآن د عائشة عبد الرحمن دار المعارف ط٣

أمالي ابن الشجري تحقيق د محمود الطناحي مكتبة الخانجي القاهرة ط١ ١٤١٣هـ

البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون البابي الحلبي ١٩٦٥م

التحرير والتنوير لابن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م

التضمين النحوي في القرآن الكريم د محمد نديم فاضل دار الزمان المدينة المنورة ط١ ١٤٢٦هـ

الخصائص لابن جني ت النجار دار الكتاب العربي بيروت

خصائص العربية في الأفعال والأسماء دار حنين ١٩٩٢م

خصائص العربية تفصيل وتحقيق د محمد حسن جبل دا الفكر العربي

دراسات في فقه اللغة د صبحي الصالح دار النهضة العربية ١٩٧٦م

دراسة الصوت اللغوي د أحمد مختار عمر ط٢ عالم الكتب ١٩٨١م

الرسالة البغدادية لأبي حيان التوحيدي تحقيق عبود الشالجي منشورات الجمل

الساميون ولغاتهم د حسن ظاظا دار القلم دمشق ط٢ ١٤١٠هـ

الصاحبي لابن فارس تحقيق أحمد صقر عيسى البابي الحلبي

الصوت اللغوي عند القدامى والمحدثين د عبد المنعم النجار ط١ دار الطباعة المحمدية

عبقرية العربية د لطفي عبد البديع الشركة المصرية ط١ ١٤٢٧هـ

علم الأصوات د حسام البهنساوي مكتبة الثقافة الدينية ط١ ١٤٢٥ هـ

علم اللغة د كمال بشر

فقه اللغة د حاتم الضامن دار الآفاق ط١ ٢٠٠٧م

فقه اللغة د كاصد ياسر الزيدي جامعة الموصل ١٤٠٧هـ

فقه اللغة العربية وخصائصها د إميل بديع يعقوب دار العلم للملايين ط٢ ١٩٨٦م

فقه اللغة وخصائص العربية د محمد المبارك دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ

لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت

اللسان والإنسان د حسن ظاظا دار القلم ط٢ ١٤١٠هـ

اللغة الشاعرة عباس العقاد المكتبة العصرية بيروت

مجموع فتاوى ابن تيمية جمع القاسم نشر الرئاسة العامة الرياض

المزهر للسيوطي تحقيق محمد جاد المولى وزملاؤه دار الجيل بيروت

المعجم العربي د حسين نصار مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٦م

المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د جواد علي دار الساقي ط٤ ١٤٢٢هـ

المقاطع الصوتية في مراحل التعليم الأولية د سعود آل حسين مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية اعدد ٣١ عام ١٤٣٥هـ

مناهج البحث اللغوي د تمام حسان دار الثقافة ١٤٠٠هـ

من خصائص اللغة العربية أ د عبد العزيز العصيلي الجمعية العلمية السعودية للغة العربية ط١ ١٤٢٩

الموسوعة القرآنية جعفر شرف الدين دار التقريب ط١ ١٤٢٠هـ

المستشرقون وقضايا الحرف العربي

أ.د. محمد بن إبراهيم القاضي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية
قسم الأدب

المقدمة

يختلف الباحثون في تقويم دراسات المستشرقين الأوروبيين منذ أواخر القرن الثامن عشر حول الثقافة العربية والإسلامية بشتى فروعها ومجالاتها، بين منوّه بها مقدّر لجهود أصحابها، ومشكك في غاياتها متّهم القائمين بها بأنّهم لم يكونوا إلا أداة للاستعمار ومعولا لهدم الإسلام وحضارته.

وبعيدا عن هذا المنظور الإيديولوجي الذي التي له أحيانا - والحق يقال- ما يسوّغه، رأينا في هذه الإطلالة أن نقف على الرصيد العلمي الذي أنجزه عدد من المستشرقين في موضوع الحرف العربي لنتبين المناحي التي اهتموا بها والأسئلة التي طرحوها، محاولين رسم الخط البياني لمشاغلهم، ساعين إلى فهم التحولات الطارئة على أفكارهم ونظرتهم إلى الموضوع. فمما يجافي طبائع الأشياء أن نتحدث عن ظاهرة ثقافية متحولة كما لو كانت جوهرا ثابتا لا يريم. وإلى قريب من هذا المعنى ذهب محمد بن عبود إذ قال: «إن التطور الذي أحدثه المستشرقون - أو ربما الثورة - وكتاباتِهم التاريخية في مجال التاريخ الإسلامي قد تعرضت لتغييرات ثورية لأن الخلفية البيئية الفكرية التي نشأت فيها قد طرأ عليها تغيير كبير ولا سيما إبان فترة ما بعد الحرب العالمية [الثانية] فقد تأثر تطور المستشرقين بالاتجاهات الجديدة التي نشأت في العلوم الاجتماعية، كما تأثرت بها كذلك كتاباتهم التاريخية بصورة ملحوظة إلى حد كبير»[١].

(١) محمد بن عبود: منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، ضمن كتاب - مناهج المستشرقين

ونظرا إلى حدود المداخلة، لم نجعل وكدنا أن نقوم بمسح شامل لجهود المستشرقين في هذا المجال، وإنما اقتصرنا على عينات رأينا أنها يمكن أن تكون ممثلة لاهتماماتهم، عاكسة لتطور المعرفة في الغرب ولنظرة الغربيين إلى الفضاء العربي الإسلامي، راجين أن يقودنا ذلك إلى فهم أوسع وأشمل لحركة الاستشراق، وتقويم أكثر موضوعية للرصيد المعرفي الذي أنجزته.

إن المتأمل في كتابات المستشرقين عن الخط العربي يمكنه أن يتبين فيها ثلاثة اتجاهات كبرى غلبت على كل منها اهتمامات مخصوصة انعكست على الموضوع المدروس وعلى زاوية النظر إليه. فالاتجاه الأول كانت غاية الدراسات فيه تاريخية تأثيلية تطرح سؤال التشكل والبدايات. وكان الاتجاه الثاني مسكونا بهاجس الوظيفة أو قل بالبعد الجمالي التزويقي للحرف العربي. أما الاتجاه الثالث فقد اندرج في سياق ثورة وسائل الاتصال الحديثة وما ترتب عليها من غزو الثقافة الحاسوبية لكل القطاعات المعرفية والثقافية، ومن هنا تحولت المشاغل وأقطاب الاهتمام إلى الجانب التقني الإعلامي بالنظر في الحرف العربي وطرائق مواكبته لتلك التحولات.

١ - الاتجاه التاريخي التأثيلي:

لفتت خصوصية الحرف العربي أنظار المستشرقين الأوائل، فانبروا يبحثون عن أصله ونشأته وكيفية تشكل ملامحه، وتساءلوا عن الزمن الذي أخذت فيه الكتابة العربية تقترب من صورتها الحالية المتداولة.

وقد حاول عدد من المستشرقين أن يكتشفوا جذور اللغة العربية اعتمادا على

في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس، ١٩٨٥، ج١، ص ٣٤٤-٣٤٥.

ما عثروا عليه من نقوش في شبه الجزيرة العربية، وهي نقوش أضاءت لهم عددا من المسائل المتعلقة بنشأة الحرف العربي. فمن الناحية المعجمية يرى «كريستيان روبين»(Christian Robin) في دراسة له بعنوان: «أقدم آثار اللغة العربية»[1] أنه توجد كلمات كثيرة تعرّفنا عليها من الكتابات السابقة للإسلام في شبه الجزيرة العربية يبدو أنها قريبة جدا من العربية الفصحى. وذكر أن المستشرق الإنجليزي «فيلبي» (Philby) تحدث منذ سنة ١٩٣٩ عن موقع أثري هو قرية الفاو التي تقع على بعد ٢٨٠ كلم شمال شرقي نجران. وتعود أقدم الكتابات فيها إلى القرن الثالث وخاصة القرن الثاني ق م. وقد استخدمت فيها اللغتان العربية والسبئية. وترجع أقدم النصوص العربية فيها إلى مائتي عام قبل الميلاد.

وقبل اكتشاف قرية الفاو كانت أقدم الكتابات العربية المعروفة تعود إلى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين. وقد وجدت في سوريا الوسطى وكتبت بالحرف النبطي أو السرياني، أقدمها شاهدة قبر امرئ القيس بن عمرو التي اكتشفها المستشرق «دوسو» (Dussaud) منذ سنة ١٩٠١ في النمارة جنوب شرق دمشق، وتوجد اليوم بمتحف اللوفر بباريس. وأكثر الحروف التي تذكّر بالعربية أداة التعريف «الـ»، وإدغام اللام أمام الحروف الشمسية.

وكما كان بين الدارسين إجماع على أن اللغة العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية، فإن بينهم ما يشبه الاتفاق على أن الحرف العربي سليل الحرف النبطي. فهذا النقش الموجود على قبر امرئ القيس في النمارة بحوران يبدو أنه أنجز في طور انتقالي من الحروف النبطية إلى الحروف العربية. وقد توصل المستشرقون إلى عدد من النقوش لعل أكثرها أهمية ما يعرف بنقش حران، وهو نقش على حجر بباب إحدى الكنائس كتب باليونانية والعربية، يعود تاريخه إلى سنة ٥٦٨م. يقول عنه «ولفنسون»: «ونقش حرّان هو أول نص جاهلي عربي كامل

(1) Christian Robin: Les plus anciens monuments de la langue arabe, in Revue du monde musulman et de la Méditerranée, n 68, 1991, pp 113-125.

في كل كلماته، [وهو] يُعتبَر، حسب رأينا، أقرب إلى الخطوط العربية في القرن الأول للهجرة من جميع النقوش العربية التي اكتشفت إلى الآن»[١].

وقد كان للمستشرق الفرنسي البارون «سيلفاستر دي ساسي» (Silvestre De Sacy) اهتمام بهذا الموضوع تجلى في بحث له موسوم بـ«نظرات جديدة في تاريخ الكتابة عند عرب الحجاز» نشره بباريس سنة [٢]١٨٢٧. وهو يرى فيه أن الكتابة لم تدخل الحجاز بين العرب الوثنيين، وفي قبيلة قريش الشهيرة إلا سنوات قليلة قبل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنها جاءت من بلاد ما بين النهرين حيث نشرها السوريون في أوساط القبائل العربية التي اعتنقت النصرانية. ويتساءل «دي ساسي» عما إذا كانت تلك الكتابة هي التي ما زال يستخدمها اليوم أبناء أولئك الأعراب والأمم التي دخلت الإسلام.

لذلك يثير الباحث مسألة الخطوط، فيرى أن الخط الكوفي كان إلى حدود القرن الثالث الهجري هو السائد، وأن الأمور لم تتغير إلا مع ابن مقلة (ت٣٢٨هـ) وزير المقتدر والقاهر والراضي العباسيين، وإليه ينسب خط النسخ المستخدم إلى اليوم.

إن الخط الكوفي وجد في مخطوطات القرآن وعلى السكة ابتداء من سنة ٧٥هـ، وإن لم يظهر الإعجام ولا الحركات إلا أواخر القرن الهجري الأول. يقول «دي ساسي: «شهد الحرف العربي تغييرات وتحويرات تختلف حجما في كثير من البلدان المفتوحة كبلاد فارس والهند وإفريقية والأندلس. ويبدو أن الخط الإفريقي كان بالخط الكوفي القديم أَشْبَهَ منه بالحروف التي يعزى اختراعها إلى ابن مقلة»[٣]. ويرى المؤلف أن الخط الكوفي – على قدمه – لا يمكن أن يُعدّ

---

(١) اسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م، ص ١٩٣-١٩٤.

(2) Le Baron Silvestre De Sacy: Nouveaux aperçus sur l'histoire de l'écriture chez les arabes du Hedjaz, Librairie Orientale, Paris, 1927.

(٣) م.ن. ص ١٠.

الخطّ العربي الأول، وإنما هو على الحقيقة الرابع في الترتيب بعد الخط المكي والخط المدني والخط البصري.

ومهما يكن من أمر، فإن دراسات المستشرقين للحرف العربي أثبتت، اعتمادا على النقوش الباقية، وأن له صلة وثيقة بالخط النبطي الذي تطور مبتعدا عن الخط الآرامي ومقتربا من المسند الحميري الذي ظهر في جنوب شبه الجزيرة العربية. ولهذا تحدث المستشرقون عن كتابة عربية شمالية ترتبط بالنبطية الآرامية، وكتابة عربية جنوبية ترتبط بخط المسند الحميري.

ويرى عدد من المستشرقين من قبيل «نولدكه» و«فوجيه» و«كرباسك» وهم يعتمدون على دراسة الخطوط دراسة موضوعية ومقارنتها، انطلاقا من النقوش والمخطوطات أن «الحروف العربية استقت من الحروف الآرامية المتطورة وبخاصة من الكتابة اللينة بالذات. ويتفرع القائلون بهذا الرأي إلى منحيين الأول نحو الخط السرياني بأنواعه، والثاني نحو الخط النبطي. ونحن نرى أن لكل منهما بعض الحق، فالكتابة العربية الشمالية تمت في وسط حجازي - شامي حضري بينما الوسط الصحراوي المجاور، الثمودي واللحياني والصفائي، قد تأثر بالكتابة العربية الجنوبية في اليمن (المعينية - السبئية - الحميرية - التي تعرف بالخط أو القلم المسند)»[١].

وقد عمد عدد من المستشرقين ومنهم خاصة «ميليك» (Milik) و«ستاركي» (Starcky) إلى توجيه الدراسات في هذا المجال وجهة جديدة في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين، فذهبا إلى أن أصل الخط العربي إنما هو الخط السرياني، وذلك اعتمادا على ما ذكره المؤلفون العرب القدامى كهشام الكلبي والبلاذري وابن النديم وياقوت، واستئناسا بالنقوش الموجودة في مدينة البتراء.

وقد جمعت آراء المستشرقين في هذه المسألة في كتاب أصدرته سنة ١٩٩٣

---

(١) عدنان البني: العرب والكتابة، مجلة «التراث العربي»، ع ٨١-٨٢، ٢٠٠٣، ص ١٠٧.

«بياتريس غروبندلر» (Beatrice Gruendler) «تاريخ الخطوط والكتابة العربية من الأنباط إلى بدايات الإسلام» طبعت ترجمته العربية سنة [1] ٢٠٠٤.

ولئن كان الاهتمام بجذور الحرف العربي وبداياته من المواضيع الأولى التي صرف إليها المستشرقون اهتمامهم، فإن أهمية القضية وتجدد الاكتشافات والحفريات جعلها تمثل شاغلا مستمرا من مشاغل المستشرقين.

٢ - الاتجاه الجمالي التزويقي:

لم يقف اهتمام المستشرقين بالحرف العربي عند المسائل المتصلة بأصله وتشكل ملامحه عبر العصور، وإنما أولوا بعده الجمالي قسطا من عنايتهم منذ بدايات عصر الاستشراق. وهنا ينتقل الانشغال بالحرف من المجال التاريخي التأثيلي إلى المجال الجمالي، فينظر إليه بوصفه أداة فنية لا تقصد إلى الإبلاغ بقدر ما تستهدف الذائقة وترمي إلى إحداث أثر جمالي يحقق المتعة الفنية.

ومما دفع إلى ظهور هذا البعد الجمالي ما يتميز به الحرف العربي من تنوع ومرونة وتناسق وانسجام، وهو ما جعله يستخدم في مواضع شتى في المساجد والمدارس والقبور والمقامات والأدوات المستعملة في الحياة اليومية.

لقد اضطلع الحرف العربي منذ بدايات الإسلام بمهمة مزدوجة: هي من جهة تثبيت كلام الله المنزل في القرآن، ومن جهة أخرى الدلالة على عظمة الخالق. لذلك تعايش في تاريخ الحرف العربي بعدان: أحدهما إيماني هدفه حفظ كلام الله وتنزيله منزلة مخصوصة من الذاكرة الجمعية، والثاني جمالي غايته إحداث شعور بالانبهار والدهشة أمام هذا الحرف الذي يضطلع بدور الوسيط بين عالم الأحياء الفاني وعالم الخلود الأبدي.

---

(١) عنوان الكتاب الأصلي هو:

Beatrice Gruendler: The Development of the Arabic Scripts: From the Nabathean era to the first Islamic century according to dated texts.

وقد نقله إلى العربية سلطان المعاني وفردوس العجلوني، مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر، عمان، ٢٠٠٤.

ومما ساعد على قيام الحرف العربي بهذه المهمة الجمالية أن التمثيل كان محرما في الشريعة الإسلامية، وهو ما جعل الحرف سبيلا من سبل الارتقاء بالكائن البشري والعروج به من مناطق التجسيم إلى مناطق التجريد.

ولئن غلبت على الحرف العربي في بدايات الإسلام المسحة التوثيقية التقعيدية التي تهدف أولا إلى الحفاظ على الذاكرة الشفوية وإنقاذها من الضياع، فإنه مع نجوم حركة التدوين في العصر الأموي شهد تطورا في أساليبه ووسمه بسمة الانتظام والتوازن، فأصبح ميالا إلى التقنين والتوحد حتى يكون أداة يشترك في فهمها واستخدامها العرب وغيرهم من الأمم التي دخلها الإسلام. أما الطور الثالث فقد ترافق وظهور الخط الكوفي في العراق في عهد الدولة العباسية ووسم تلك الحقبة التاريخية، فتعددت وجوه استخدامه من رسم القرآن إلى تزويق البنايات وأدوات الحياة اليومية، وصارت الغاية الجمالية غالبة فيه على الغاية التبليغية.

وليس من الخطإ أن نربط بين هذا الاتجاه وما شهدته الثقافة الغربية منذ أواخر القرن الثامن عشر من اتجاه إلى المشرق وسعي إلى الاندماج فيه والتخلص من الغرب وحضارته المرهقة للجسد والروح. هنا ظهر ما يعرف بالتغريب (exotisme) وهي نزعة إلى تصوير كل ما يحويه الشرق باعتباره غريبا ومختلفا عما يوجد في الغرب. ومن هنا جاء الإعجاب المفرط بكل ما هو شرقي مرتبطا برفض الغرب وقيمه المادية. غير أن صورة الشرق كانت في هذه الحساسية مغرقة في المثالية بعيدة عن فهم الواقع. في هذه الفترة بدأ اهتمام المستشرقين بالخط العربي باعتباره جزءا لا يتجزأ من التعبير الفني عن حقيقة الشرق الروحانية والعاطفية والحالمة.

على أن حضور الحرف العربي في الحضارة الغربية يعود إلى فترة سابقة للقرن الثامن عشر وخاصة القرن التاسع عشر الذي ظهرت فيه حركة الاستشراق

وانتشرت في مختلف بلدان أوروبا واشتد عودها. وقد اهتم بأصول ذلك الحضور وأشكاله وصوره «أدريان دي لون بيرييه» (Adrien de Longpérier) في بحث له عنوانه»: «حول استخدام الحروف العربية في التزويق عند شعوب الغرب المسيحية»[1].

انطلق «دي لون بيرييه» من فكرة مؤداها أن دراسة الفن الأوروبي والفرنسي خاصة لا يمكن أن تتم دون معرفة سابقة بفنون سائر البلدان. وأقر منذ بداية بحثه أن المنهج الذي يدعو إليه صعب المرتقى وأنه يتطلب من صاحبه سنوات طوالا من البحث والتنقيب، ولكن نتائجه أفضل. ومن هنا رأى أن يقوم بتقصي عدد من صور حضور الفن الشرقي في الفن الفرنسي بوصفه عينة من الفن الأوروبي بإجمال.

لاحظ صاحب البحث أن معرفة أهل الغرب بالخط العربي كانت في القرن الثامن عشر محدودة للغاية. نعم، كان الفارس «شاردان» (Chardin) صاحب «الرحلة إلى فارس وبلاد شرقية أخرى» الصادر سنة ١٧٤٠ أحضر من الشرق نسخا من الكتابات العربية، ولكنها لم تلق من الدارسين عناية تذكر. كما أورد العالمان البينيدكتيان «رينيه بروسبير تاسان» (René Prosper Tassin) و«شارل فرانسوا توستان» (Charles François Toustain) في كتابهما «مصنف جديد في الدبلوماسية» الصادر سنة ١٧٦٥ صورة من كتابة لا يخفى على المرء مهما كان حظه ضئيلا من المعرفة أنها كتابة عربية. ومع ذلك، فإن جهل صاحبي الكتاب بأن تلك اللوحة تستخدم حروفا عربية جعلهما يذهبان مذاهب شتى في تأويلها والتساؤل عما تعنيه، في بحث لا يخلو من التمحل والتزيد.

ويذكر «دي لون بربيه» أن الأمر بدأ يتغير شيئا فشيئا حين أخذ عدد من

---

(1) Adrien de Longpérier: De l'emploi des caractères arabes dans l'ornementation chez les peuples chrétiens de l'Occident, in Revue Archéologique, 2e Année, Revue Archéologique, 2e Année, No. 2, 15 Octobre 1845- 15 Mars 1846, pp. 696-706.

المستشرقين والمؤرخين وعلماء الآثار الغربيين يبدون اهتماما بالحرف العربي وما ينطوي عليه من أبعاد جمالية. ومن هؤلاء «نيبور» (Neibuhr) الذي أحضر من رحلاته نسخا جيدة من الكتابات العربية، و«كوندي» (Condé) الذي ضمّن كتابه عن «تاريخ سيادة العرب على إسبانيا» رسوما لحجارة أثرية عليها كتابة كوفية، و«دولا بورد» (de La Borde) الذي أورد عددا لا بأس به من العبارات الدينية التي تزين الأفاريز وتيجان السواري في قصر الحمراء. وفي هذا السياق يندرج العمل الذي قام به «غريغوريو» (Grégorio) الذي حلّى «مجموع الوثائق المتصلة بعرب صقلية» بصور من الكتابات العربية استمدها مما بقي من التراث العربي بصقلية في العمارة والمنحوتات والجواهر والثياب.

إن هذه الوثائق التي نقلت من بلاد الإسلام إلى أوروبا ربما يسرت لنا أن نفهم ظاهرة ظلت سنوات بل قرونا متطاولة مجهولة لا يُلتفت إليها ولا تبلغها الأفهام، هي تسلل الحرف العربي إلى أوروبا وظهوره في حالات كانت وظيفته فيها التزويق والتزيين دون أن يشار إلى أصله. ويورد «دي لون بيرييه» أمثلة على ذلك منها:

مخطوط من الإنجيل باللغة اللاتينية تضمه المكتبة الملكية، في صدره صورة رسمت على حواشيها أشكال على غير نظام، إحداها في شكل معين داخل مربع مكون من شريط أزرق لازوردي عليه رسوم باللون الأخضر لم تلفت نظر أحد. وتلك الرسوم ليست إلا نسخا لكتابات أندلسية تعود إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وبالتأمل يتبين أن هذا المخطوط كتب في دير من أديرة الرهبان يسمى «دير سان سيفير» بمقاطعة «غاسكونيا» بجنوب فرنسا. وحين نقارن ذلك الرسم بما بقي من شاهدة ضريح المنصور عبد الله بن محمد بن مسلمة أول حكام بطليوس من بني الأفطس من ملوك الطوائف المتوفى سنة ٤٣٧ هـ/ ١٠٤٥م نلاحظ تماثلا غريبا بينهما. فعلى الشاهدة شريط أخضر عليه رسوم باللون الأصفر متكررة ما زالت عليها آثار من حروف عربية كاد الزمن

يعفي عليها. والظاهر أن الخطاط المسيحي الذي زوق مخطوط الإنجيل قد وقع في هوى الحرف العربي الذي يتقبل على نحو رائع نزوات الخيال، فنقل إلى كتابه توليفات من أسطر يرجَّح أنه لم يكن يرى فيها إلا أنها زخارف. ولعل ذلك الخطاط لو علم أنه كان يضع حروفا عربية على إنجيل المسيحيين لما فعل ذلك.

إن هذا الاستغلال للحرف العربي في نص مسيحي كتب بفرنسا لذو دلالة على وجود الخط العربي في تلك الديار في زمن متقدم، ذلك أن المخطوط المذكور تعود كتابته إلى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري. وهو قرن كانت تتداول فيه في فرنسا ضروب من الأدوات والأوعية المنزلية والمواعين والقماش والأردية والأغطية العربية.

ولم يقتصر الأمر على المناطق القريبة من بلاد الأندلس بل وجد حتى في باريس. إذ اكتشف في كنيسة «سان جرمان دي بري» جثمان راهب يرجح أنه عاش في القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري عليه أردية شرقية محلاة بكتابة عربية.

إن تقليد الحروف العربية في ديار الغرب جاوز المجال الدنيوي إلى المجال الديني. فعلى حواف أبواب كنيسة «نوتردام دي بوي» بمدينة «فيلاي» (Velay) بجنوب شرقي فرنسا رسوم فيها محاكاة للحروف العربية. وهذا النوع من التزويق للأبواب المطلية كان مشتركا بين المسيحيين والمسلمين في القرون الوسطى. ولكن الظاهر أن المسلمين برعوا فيه براعة أدت بالمسيحيين إلى محاكاتهم في تلك الكتابات التي كانوا يزينون بها الأبواب دون أن يفقهوا المعنى أو المعاني التي تشير إليها. ولئن كان من العسير علينا أن نجد لتلك الحروف العربية التي تزين أبواب الكنيسة معنى واضحا فإن الظاهر أنها كانت في مجملها مستمدة من شهادة أن «لا إله إلا الله» التي تفنن المسلمون في تزويقها وحرصوا على استحضارها في مختلف المجالات التي كانوا يبدعون فيها.

والطريف أن هذا النوع من تزويق الأبواب بالحروف العربية لم يقف عند جنوبي فرنسا بل انتقل إلى وسطها. ففي مدينة «بورج» (Bourges) الواقعة إلى الجنوب من باريس بيت مقابل للكنيسة سقفه هرمي منحوت عليه صورة شخص يحيط به إطار تزينه حروف عربية ظاهرة. ويرجح أن هذا البيت شيد في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري.

وبإمكاننا أن نعثر على الحروف العربية في الأواني. من ذلك مزهرية مذهبة وجدت في ضريح أحد الرهبان توفي في القرن الثالث عشر الميلادي عليها كتابة عربية. والمزهرية في شكلها شبيهة بما كان يصنع في بلاد الأندلس، مما قد يبعث على الظن بأنها أندلسية. ولكن بداخل المزهرية كتابة تثبت أنها من صنع حِرَفي في مدينة «ليموج» (Limoges). وهذه الحروف نفسها موجودة على صندوق مصنوع في تلك المدينة في فترة قريبة من تلك التي تعود إليها المزهرية، مما يقوم شاهدا على أن الحروف العربية صارت عنصرا من عناصر التزويق في الأواني المصنوعة في فرنسا في القرون الوسطى.

إن هذه الإطلالة على الحرف العربي لم تهتم إلا بجانبه التزويقي الذي تسرب إلى مختلف مظاهر العيش في فرنسا، لا بل إنه جاوز ذلك إلى المجال الديني إذ يذكر «دي لون بيربيه» أن أحد الباحثين اكتشف في كنيسة «سان جوليان» بمدينة «مانس» (Le Mans) الواقعة جنوب غرب باريس زجاجا معشقا كبيرا فيه حروف عربية إن تأملناها وجدناها ترسم عبارة «الحمد لله».

ولقد تزايد اهتمام المستشرقين في الفترات الاحقة بالبعد الجمالي للخط العربي وأخذوا في جمع عينات منه والتعريف بها ودراستها وعرضها لبيان ما تنطوي عليه من دلالات تجاوز الجمال الهندسي إلى رؤية العالم عند المسلمين.

٣ - الاتجاه التقني الإعلامي:

شهد العصر الحديث ثورة من أعظم الثورات التي أنجزها الإنسان في مسيرته التاريخية وهي الثورة الإعلامية أو ثورة تقنيات الإعلام والاتصال الحديثة. ويقصد بها أساسا تقنيات الإعلامية أو علوم الحاسب الآلي والسمعي البصري وتعدد الوسائط والأنترنت والوسائل التي تيسر على الناس التواصل في ما بينهم والوصول إلى مصادر المعلومات وتخزينها واستخدامها وإنتاجها وتبادلها في مختلف أشكالها: سواء كانت نصوصا أو صورا أو وثائق صوتية أو واجهات رسومية تفاعلية.

إن الحوسبة لا تقتصر على العمليات الرياضية، وإنما تمتد إلى ما يسمى بالذكاء الاصطناعي الذي مداره على اللغات الطبيعية[١]. ومن أبرز النواحي التي يهتم بها الذكاء الاصطناعي الكتابة. وفي هذا السياق ظهرت الجهود الهادفة إلى تقنين ترميز الحرف العربي على الحاسوب وصولا إلى إنشاء الرمز العالمي الموحد (Unicode).

إن انفتاح الحرف العربي على العالم الافتراضي غدا ضرورة ملحة لتزايد عدد مستخدمي وسائل الإعلام والاتصال العرب يوما بعد يوم. ومن هنا انصرف اهتمام عدد من الباحثين الغربيين والعرب إلى إيجاد الحلول الكفيلة بجعل الحرف العربي واللغة العربية يحتلان موقعا جديرا بهما في هذه الممارسات.

يعسر علينا في هذه الحالة أن نتحدث عن التقليد الاستشراقي، لأن حركة الاستشراق في ذاتها قد تقلصت أو اتجهت وجهات جديدة. فاختلفت الآراء بين قائل بنهاية الاستشراق وقائل بولادة استشراق جديد. ومهما يكن من أمر، فإن تطور وسائل الاعلام والاتصال فرض ظهور فئة من الباحثين الذين يجمعون

---

(١) أفدنا في هذا التقديم من محاضرة ألقاها بعنوان: «الحرف العربي والعولمة»، مجمع اللغة العربية، عمان، الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠١م.

بين حقلي العربية والإعلامية، ويسعون إلى المواءمة بينهما وإثارة قضايا الزواج المعرفي بين علوم العربية وعلوم الحاسب.

في هذا السياق تسارعت الدراسات والأبحاث وبرزت وحدات بحثية ومخابر دراسية في صلب الجامعات ومراكز البحوث الغربية للإسهام في إيجاد الحلول الكفيلة بدخول العربية والحرف العربي خضم المعالجة الإعلامية.

ويمكننا أن نشير في هذه العجالة إلى بحث يتصل بهذا الموضوع ويعالج قضية من قضايا الحرف العربي في صلته بعلوم الحاسب الآلي، هي التحول من المخطوط إلى الآلي. عنوان هذا البحث هو: **منهج سريع لتقطيع الحروف العربية المخطوطة والتعرف عليها**(١)، وقد اشترك في إعداده باحثان إحداهما غربية هي «كاترين روميو- باكر» (Katerin Romeo-Pakker). والآخر عربي هو «عبد الرحيم عامر». ومداره على وصف طريقة بنائية للتعرف على الكتابة العربية المخطوطة.

ولما كان المشكل الأكبر بالنسبة إلى القراءة الآلية للحروف المخطوطة المترابطة يكمن في تقطيع المفردة إلى عناصرها التأسيسية، فقد رأى الباحثان أن يقطّعا النص إلى أسطر، والأسطر إلى كلمات، والكلمات إلى حروف. ويقوم هذا التقطيع على المميزات السياقية الخاصة بالكتابة العربية. أما مرحلة التعرف فهي متصلة اتصالا وثيقا بالتقطيع لأنها تستخدم المعطيات المحسوبة مسبقا لإجراء تصنيف أولي. ولبلوغ تلك الغاية عمّق الباحثان وصف الحروف في مجموع أصغر حجما باعتماد التحليل التراتبي الذي يسمح بالعودة إلى الشكل لطرح بعض أوجه الغموض التي تواجه النظام في محاولته التعرف على الحروف العربية المخطوطة.

(1) K. Romeo-Pakker et A. Ameur: Une méthode rapide de segmentation et de reconnaissance de caractères manuscrits arabes, GRETSI, Groupe d’Etudes du Traitement du Signal et de l’Image, 1993.

وقد جرب الباحثان طريقتهما على مائة نص عربي مخطوط اشترك في كتابتها ستة عشر كاتبا، وشمل المسح ٣٤٤٨ حرفًا، وكانت نسبة النجاح في التقطيع عالية إذ بلغت ٩٨،٩٪. أما التعرف فقد بلغت نسبة نجاحه الإجمالية ٨٣٪ ، وأخفق في ٩،٧ ٪ من الحالات، وبلغت نسبة الخلط بين الحروف ٧،٣ ٪. ولعل اللجوء إلى تحليل سياقي في مستوى اللفظ كفيل بتجاوز أغلب حالات اللبس.

إن هذا البحث وما جرى مجراه يعد اليوم من أكثر المباحث التي تحظى بعناية الباحثين سواء لتسهيل ترقيم الحروف العربية والإفادة حاسوبيا من آلاف المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات العالم المختلفة، أو لتعزيز كفاءة الأنظمة الحاسوبية وإيجاد أسواق جديدة لها في البلدان العربية.

الخاتمة

لقد مكنتنا هذه الإطلالة السريعة على عدد من مقاربات المستشرقين للحرف العربي من أن نتبين فيها اتجاهات ثلاثة: اتجاه تاريخي تأثيلي كان السؤال الأبرز الذي طرح فيه هو ما أصل الحرف العربي؟ وتفرعت عنه أسئلة ثانوية تتصل بمراحل تطور الخط العربي وأنواعه والخصائص التي تميز بها في مساره التاريخي. واتجاه جمالي تزويقي كان هم أصحابه أن ينظروا في الحرف العربي من جهة الأبعاد الجمالية التي ينضح بها ومن جهة الوظائف التزويقية التي ينهض بها. وقد وقفنا هنا عند ظاهرة فذة تمثلت في تسرب الحرف العربي إلى المجال الأوروبي، ودخوله في المجالين الديني والدنيوي باعتباره عنصرا تزويقيا، وجزءا لا يتجزأ من الممارسات اليومية في الغرب. أما ثالث الاتجاهات فهو الذي اصطلحنا عليه بالاتجاه التقني الإعلامي، وهو وليد الثورة في وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، وما ترتب عليها من دراسات تهدف إلى تمكين الحرف العربي من اقتحام هذا المجال الذي اكتسح اللغات كلها ولم يعد بإمكان العربية أن تبقى بمعزل عنه.

ويحسن بنا أن ننهي هذه الجولة السريعة بملاحظتين ربما تفتحان باب التوسع في معالجة هذه المسألة: الملاحظة الأولى مدارها على العلاقة بين تلك الاتجاهات الثلاثة المذكورة. فالترتيب المعتمد في هذا البحث يشي بأن اهتمامات المستشرقين بالحرف العربي مرت من التاريخ إلى الجمالية ومنها إلى الإعلامية. وهذه الفرضية صحيحة إجمالا، إلا أنها لا ينبغي أن تحجب عنا تداخل تلك المشاغل وتضافرها وتفاعلها في الكشف عن خصائص الحرف العربي وميزاته. أما الملاحظة الثانية فهي تتولد من الاستقراء الأولي الذي ينبئنا عن الدور المتزايد الذي أخذ يضطلع به أهل اللسان العربي في خدمة الحرف العربي والكشف عن أسراره وإدراجه في حركية المعرفة الإنسانية. وربما أيد هذه الفكرة ما صرنا نلاحظه في السنوات الأخيرة من ظهور عدد من الباحثين العرب يتصدون لدراسة الحرف العربي بالتعاون مع الباحثين الغربيين. وفي هذا ما يفتح للحرف العربي أبواب المستقبل، ويثبت خطأ الزعم بأنه عاجز عن مواكبة التطور، والدعوة إلى الاستغناء عنه واستبدال الحرف اللاتيني به.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أ.د. محمد بن إبراهيم القاضي

الرياض، ٢٥ صفر ١٤٣٦هـ/ ١٧ ديسمبر ٢٠١٤م

حفظ العربية من حفظ الدين

د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين
عضو هيئة التدريس في قسم
البلاغة والنقد ومنهج الأدب
الإسلامي
بكلية اللغة العربية بالرياض
العام الجامعي: ١٤٣٥-١٤٣٦هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛

أما بعد:

فقد تفضل الله عز وجل على لغة العرب بفضل عظيم، وشريف كريم؛ بأن اصطفاها من بين لغات البشر أجمعين، لتكون لسان كتابه المبين، واصطفى خاتم النبيين ﷺ؛ النبي العربي الأمي ليكون رسوله للثقلين؛ وجعل سنته مبيّنة لكتابه العزيز؛ فأصبحت لغة الدين المرتضى إلى قيام الساعة هي اللغة العربية؛ فترقّت من كونها لسان قوم معينين إلى كونها لغة الإسلام؛ الذي لا يستقيم إسلام امرئ إلا بأن تجري على لسانه، ليلاً ونهاراً، في صلواته وأذكاره، وتلاواته وتكبيراته، ولمّا كان لهذه اللغة المبينة هذه المنزلة المكينة في الدين؛ ولما رأيته من ضعف إدراك هذه المنزلة العجيبة من قبل فئة غير قليلة من طلاب العربية، والمنتسبين إليها ؛ بل ومن قبل بعض المشتغلين في حقولها؛ لذلك ولغيره انتهزت مناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية؛ الذي يوافق اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر من كل عام ؛ فتقدمت ببحث إلى «مركز الملك عبدالله بن عبد

العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية» وجعلت عنوانه: «**حفظ العربية من حفظ الدين**»[1]؛ وذلك لأهداف سامية أرمي إليها؛ منها: تذكير إخواني المتخصصين في مجالات اللغة العربية بعظم أهمية تخصصهم، وشرف رسالتهم، وأنهم من حفّاظ هذا الدين ؛ وذلك لمكانة هذه اللغة الشريعة في الذكر الحكيم، ولمقام أثرها في فهم الإسلام، وشدّة الاحتياج إليها بين المسلمين ؛ ليستشعروا الثواب الجزيل؛ فيضاعفوا الجهد والاجتهاد ؛ لتنطلق طاقاتهم وتتبارى قدراتهم: تعليماً وتأليفاً، وتعاوناً وتسديداً.

ومن الأهداف بثّ الوعي الشرعي في نفوس الطلاب والطالبات المقبلين على اللغة العربية أو الذين غابت عنهم منزلة درجتها في الدين بأن عملهم هذا عمل علمي شريف؛ مثاب عليه صاحبه شرعاً، فهو قيام بواجب شرعي؛ إذ هو جهاد بياني ؛ فإذا صحت نية صاحبه، مع الجد والمثابرة ؛ كان على ثغر من ثغور الإسلام حارسا ؛ ولأصل من أصوله محرزا ؛ كما نص على ذلك غير واحد من أهل العلم.

ومن أهداف هذا البحث - أيضاً- إثارة الهمم، وتحريك المشاعر نحو لغة القرآن والسنة، ولملمة الجهود حولها، ودفع عجلة الاهتمام بها، لتأخذ منحى مؤسسياً محليا وعالمياً ؛ فيعلو صوتها، ويرتفع شأنها في عصر تيسّرت فيه سبل المعارف، وتكاثرت صور النشر المعرفي، والبثّ العالمي؛ حتى غدت في الجيوب والبيوت، عبر مواقع التواصل العامة والخاصة؛ فلعل النيات الخالصة، والجهود المباركة تُوظّف ذلك كلَّه أو بعضه في سبيل التبصير بلغة القرآن والسنة ؛ ليعلو شأن الإسلام ويرتفع ذكر أهله؛ فيكون هؤلاء وأولئك ممن هيّأهم الله لحفظ لغة كتابه، وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام- جنوداً مجنّدين؛ مندرجين

---

(١) ألقيت خلاصة هذا البحث في الندوة العلمية الكبرى التي أقيمت في القاعة الكبرى بكلية اللغة العربية ؛ ضحى الإثنين : ١٨/١٢/٢٠١٤ م .

في عموم مَن سخّرهم الله في هذا المقام السامي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحِجر:٩].

هذا وقد جعلت البحث في خمسة مطالب؛ تسهيلاً لعرضه، وتقرير مقاصده، وذلك على النحو الآتي:

١ – فضل اللغة العربية على سائر اللغات العالمية.

٢ – اللغة العربية محفوظة بحفظ الله تعالى لها، دون غيرها من اللغات.

٣ – ارتباط دلالات الأحكام الشرعية بدلالات معاني ألفاظها.

٤ – اللَّحن في اللغة العربية يحرّف المعنى المراد.

٥ – حقوق لغة القرآن والسنة على كل مسلم ومسلمة.

وجعلت كل مطلب من مطالب هذا البحث أشبه بمقال بياني، معزّزٍ بما يجذّره ويحرّر المراد منه؛ من أقوال بعض العلماء والباحثين؛ مما له عُلْقة به؛ وذلك في إطار موضوع البحث، مع مراعاة الوجازة الدالة، واللَّمْحة العابرة؛ ثم ذيلته بخاتمة؛ سجلت فيها أبرز نتائج البحث، وختمتها بتوصيات عامة، تفتح الباب عملياً لمقاصد البحث، وتوسّع فكرته، وتقرّب الغايات المنشودة منه.

هذا ولا يفوت الباحث أن يشكر مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية؛ الذي أنشئ لغاية جليلة؛ واجتهد القائمون عليه ؛ وعلى رأسهم الأديب الأريب : د. عبد الله بن صالح الوشمي ؛ فقد بذل ويبذل هو وزملاؤه الكرام جهوداً في سبيل تحقيق غاياته النبيلة، والنهوض برسالته العالمية السامية، ومن جملتها العناية باليوم العالمي للغة العربية، واستكتاب بعض المتخصصين فيها؛ من أجل إثراء مجالاتها، والعناية بمقاماتها؛ احتفاء بذلكم

اليوم المتميز الذي مكّن لها لتكون لغة عالمية في هيئة الأمم المتحدة؛ سائلاً الله تعالى أن يمكّن لهذا المركز تمكيناً علمياً وإعلامياً وعالميّاً، وأن يجعل بلادنا سبّاقة للمكارم؛ عزيزةً بالإسلام وبلغته، واحة أمن وأمان وإيمان؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

المطلب الأول

فضل اللغة العربية على سائر اللغات العالمية

لقد انفردت اللغة العربية من بين سائر لغات العالم بشرف أعلاها على سار اللغات؛ فصارت هي علماً عليه، وصار هو علماً عليها؛ ذلكم هو اصطفاء الله تعالى لها دون غيرها من سائر الألسنة؛ لتكون لسان كتابه العزيز؛ فنزل بها، فأصبحت علماً على دين الإسلام؛ فإذا ذُكر الإسلام ذكرت العربية، وإذا ورد ذكر العربية قفز إلى الأذهان اسم الإسلام؛ فلقد بيَّن الله تعالى حالَ القرآن وذكر صفته، بعد أن أسند فعل إنزاله إليه قائلاً: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[يوسف:٢] وفي تفسير معنى هذه الآية يقول العلامة ابن كثير: «لغة العرب أفصحُ اللغات وأبينُها، وأوسعُها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرفُ الكتب بأشرف اللغات؛ على أشرف الرسل؛ بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان؛ فكمُلَ من كل الوجوه»[١] .

وبهذا جمعت اللغة العربية شرفاً بكونها لغة القرآن الكريم، كلام رب العرب والأعجمين، وبكونها لسانَ أفصحِ من نطق بالضّاد؛ المبلِّغ للدين؛ محمد بن

(١) تفسير القرآن العظيم: ٨/٦.

عبدالله سيّد البشر أجمعين؛ وصارت هي اللغة التي تُعرف بها أحكام الدين، ويتوجه العبادُ بلسانها إلى ربّهم في الصلاة التي هي أعظم أركان الدين بعد الشهادتين، اللتين لا تصحان إلا باللسان العربي المبين؛ فانتصبت العربية شعاراً من شعائر الإسلام، وغدت دثاراً لهذا الدين؛ وعلماً على المسلمين؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن اللسانَ العربيَّ شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون»[١]. ويقول الطوفي: «وفي إنزال القرآن عربيّاً من أعلى المراتب العليّة أسنى المناقب لعلم العربية»[٢].

إن تشرّف العربية بوحي الله المنزَّل بها جعلها لغةً عالميةً، وليست لغةً قومية؛ فهفت قلوبُ المسلمين لها، وأقبلت عليها، وصارت لغة حضارة المسلمين في سائر أقطار المعمورة؛ يقول الأستاذ محمد الأوراغي: «تحولت العربية إلى لغة حضارية، ولم تبقَ لغةً قومية؛ مذ اختارها الله عَزَّ وَجَلَّ وعاءً لكلامه، وأداةً لتبليغ رسالته إلى الخلق؛ بهذا الاختيار صارت العربية تتبع الإسلام في الانتشار؛ مَنْ دخل في دين الإسلام تعلَّم لغةَ الرسول ﷺ؛ لأن قسماً كبيراً من العبادة لا يؤدَّى بغير العربية، ولأنه لا سبيل إلى معرفة شرع الله- كما نص عليه القرآن الكريم والحديث الشريف - بغير معرفة اللغة العربية، وعليه فما كان وسيلة إلى معرفة واجبة فمعرفته لذاته في حكم الواجب»[٣].

بل إن المنصفين من المستشرقين قد شهدوا بفضل العربية وشرفها على سائر اللغات؛ يقول المستشرق (جوستاف جروينباوم): «عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد- صلى الله عليه وسلم - أنزلها قرآناً عربياً، والله يقول لنبيه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم:٩٧]، وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها؛ فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ٥١٩/١.

(٢) الصّعقة الغضبيّة: ٢٣٦.

(٣) لسان حضارة القرآن: ٥١، وانظر: نظرات لغوية في القرآن الكريم: ١٨-١٩.

التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السَّعة فالأمر فيها واضح، ومن يتتبّع جميع اللغات لا يجد فيها - على ما سمعته - لغة تضاهي اللغة العربية، ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات، وتُزيِّن الدقة ووجازة التعبير لغة العرب، وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليُسْر في استعمال المجاز، وإن ما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى، وللغة خصائص جمّة؛ في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يُكتشف له نظائر في أي لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها، يبين ذلك أن الصورة العربية لأي مثل أجنبي أقصر في جميع الحالات»[1]. وهذه المعاني وتلك السجايا في اللغة العربية ملحوظة لدى الباحثين والمتخصصين في علم المعاني وعلم الأصوات والدلالات.

المطلب الثاني

اللغة العربية محفوظة بحفظ الله لها دون سائر اللغات

وهذا شرف تشرفت به اللغة العربية ووسمها الله به من بين اللغات، كما شرَّف به الناطقين بها- أيّاً كانت جنسياتهم-؛ لأن العبرة بالناطق باللغة لا بجنسه وعرقه، وإن كان الناطقون بها بالأصالة هم أول من يرد على الذهن والفهم؛ وهم العرب؛ وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنبياء:١٠] ففيه إشارة إلى أن هذا القرآن بما فيه من آياتٍ عظامٍ جاء بلغة المخاطبين، وهم العرب القرشيّون، ففيه شرف لهم[2].

ومن أعظم الكرامات التي كرّم الله تعالى بها اللغة العربية أن تعهَّد سبحانه بحفظها، وبقاء لسانها إلى أن يأذن الله تعالى بزوال الدنيا ومن

(١) الفصحى لغة القرآن: ٣٠١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨/١٧.

عليها، وهذه منقبة عظمى لهذه اللغة الشريفة لم تحظَ بها أيُّ لغة على وجه الأرض سواها؛ ذلكم ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر:٩]؛ إن من المعلوم المتقرّر أن القرآن العظيم نزل بلسانٍ عربي مبين؛ كما قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]؛ فآيات «الشعراء» هذه نصَّت على كون هذا القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهي سورة مكية، وآية «الحجر» المتقدمة نصَّت على أن الله تعالى الذي أنزله تعهَّد بحفظه، وهي سورة مكية، نزلت بعد «الشعراء» بست سور[1]، وقد جاء فيها تأكيد إسناد فعل تنزيل القرآن إلى الله تعالى، وضمّت إلى ذلك تأكيد خبر حفظه مسنداً إليه سبحانه، ومعلوم أن من لازم حفظ «الذكر» الذي أنزله الله عز وجل حفظ لغته التي أُنزل بها، وهي اللغة العربية؛ بحيث تبقى حيَّة طريَّة يتلقاها الناس مشافهةً ومدارسةً وتقعيداً؛ ليتحقّق معنى الحفظ الرباني، ويظهر في الواقع البشري محسوساً وملموساً، وقد ورد الإخبار عن حفظ الله - جل في علاه - لكتابه لغةً ورسماً ومعنى - ورد ذلك مؤكداً بعدة مؤكدات؛ هي: «إنَّ» المؤكدة؛ التي هي بمنزلة تكرير جملة مدخولها مرتين، والجملة الاسمية - المكونة من اسم إن وخبرها - الدالة على الثبات والدوام والاستمرار؛ واللامُ المزحلقة الداخلة على خبر «إن» ﴿لَحَافِظُونَ﴾، وتقديم الجار والمجرور ﴿لَهُ﴾ على متعلَّقة؛ الذي أفاد تأكيد الحفظ مقصوراً على هذا الكتاب دون غيره من الكتب السماوية؛ التي اعتراها ما اعتراها من التبديل والتحريف؛ فوقع حفظ الله تعالى صريحاً مؤكداً مخصوصاً بهذا القرآن العظيم حفظاً عاماً مطلقاً للغته وآياته وأحرفه ودلالاته ومادة وحية بشكل عام، يدل على ذلك إطلاق المحفوظ وعدم تخصيص كنههِ أو تحديد

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٢٨١.

طبيعته[1]؛ بل صيغة اسم الفاعل الواردة بأسلوب العظمة جاءت دلالة الخبر بها مطلقة غير مقيدة ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾، ومن أعظم أسباب حفظه حفظ العربية التي هي لسان بيانه، وهي التي من خلالها وعبر أساليبها تُستنبط أحكامه، وتُعرف دلالاته، ويظهر بها إعجازُ نظمه؛ الذي هو حجة الله على الثقلين؛ الإنس والجن أجمعين إلى يوم الدين: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

يقول القاسمي في تفسير آية الحجر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر:٩]. «أي من كل مَنْ بغى له كيداً؛ فلا يزال نور ذكره يسري، وبحر هداه يجري، وظلال حقيقته في علومه تمتد على الآفاق، ودعائم أصوله الثابتة تطاول السبع الطباق؛ رغماً عن كيد الكائدين، وإفساد المفسدين: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف:٨]. وفي إيراد الجملة الثانية اسمية دلالة على دوام الحفظ»[2].

ففي آية الحفظ للذكر الواردة في سورة «الحجر» ثلاث بشارات من الله تعالى للمسلمين عامة، ولعلمائهم خاصة، يشهد لوقائعها التاريخ منذ ظهور الإسلام وانتشاره ، ومنذ تدوين علومه عبر الأزمان إلى الآن، وهذه البشارات هي:

الأولى: إسناد حفظ الله تعالى للقرآن الكريم له سبحانه ؛ بتسخير الحفظة لكتابه، والمفسرين لآياته، والمستنبطين لأحكامه في كل زمان ومكان.

---

(١) ينظر : التفسير الكبير: ١٩/١٦١، وانظر: حاشية شيخ زادة: ٣/١٤٧.
(٢) محاسن التأويل: ١٠/٣٧٤٨-٣٧٤٩.

الثانية: حفظ السنة المطهرة؛ لكونها مُبيِّنةً للقرآن الكريم؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤]، فمن لازم حفظ المبيَّن وهو القرآن؛ حفظ المُبيِّن له، وهي السنة؛ ليحصل بذلك كمال الحفظ اللائق بعظمة الحافظ والمحفوظ؛ فتتم بذلك نعمة حفظ الأصلين العظيمين لهذا الدين؛ وهما الكتاب والسنة.

الثالثة: حفظ اللغة العربية؛ لكونها لسانَ الوحيين، القرآن والسنة بالإجماع؛ إذ حفظهما لا يمكن أن يتم ولا يظهر إلا بحفظ لسانهما، وهو لسان العرب؛ الذي شرَّفه الله بهما؛ فحواهما لفظاً ومعنى.

وبناءً على مدلول آية الحفظ الشاملة للقرآن والسنة والعربية فإن كُلَّ مَنْ اشتغل بالقرآن؛ حفظاً وتعليماً وتفسيراً؛ وكلَّ مَنْ لازم السنة ضبطاً وتمحيصاً وتفقيهاً، وكلَّ مَنْ أقبل على العربية تعلماً وتعليماً وتدويناً؛ فإن أولئكم جميعاً يعدون من جملة مَنْ سخّرهم الله بمنّه وفضله لحفظ الدين؛ المتمثلة أصوله في الوحيين ولسانهما العربي المبين؛ فهم مجاهدون في سبيل الله تعالى جهاداً بيانياً دعويًّاً؛ يعظم أجرهم، وتُكتب آثارهم إذا صلُحت نياتهم، وبذلوا قُصارى جهودهم؛ تعلماً وتعليماً، وتقعيداً وتدويناً؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩].

المطلب الثالث

ارتباط دلالات الأحكام الشرعية بدلالات معاني ألفاظ العربية

لما كان الوحيان الكريمان باللسان العربي المبين؛ فإن استنباط الأحكام الشرعية التي كُلف العباد بها لا يتسهّل ولا يتم إلا بالإحاطة باللسان العربي

نفسه؛ من جهة دلالات ألفاظه على المعاني، ومن جهة أن معرفة المقاصد لا تتيسر إلا من خلال معرفة أساليب البيان ؛ لذا فقد نبّه جمع من العلماء على ذلك، وأكّدوا عليه؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يُعرّف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهم كلامه؛ فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يُعين على أن نفْقَه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب؛ فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك»[1].

وقال الإمام مالك بن أنس: «لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسّر كتاب الله إلا جعلته نكالاً»[2]. ولهذا حرّم أهل العلم على الجاهل بالعربية وبدلالات ألفاظها الفتيا في المسائل الشرعية؛ لكون دلالات نصوصها متوقفة على فهم دلالات ألفاظ اللسان العربي؛ يقول ابن حزم: «وفرض على من قصد التفقه في الدين - كما ذكرنا - أن يستعين على ذلك من سائر العلوم بما تقتضيه حاجته إليه في فهم كلام ربّه تعالى وكلام نبيه ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم:٤] ففرض على الفقيه أن يكون عالماً بلسان العرب؛ ليفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ، وعن النبي ﷺ، ويكون عالماً بالنحو؛ الذي هو ترتيب العرب لكلامهم الذي به نزل القرآن، وبه تُفهم معاني الكلام التي يُعبِّر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ؛ فمن جهل اللغة، وهي الألفاظ الواقعة على المسميات، وجهل النحو الذي هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني؛ فلم يعرف اللسان الذي به خاطبنا الله تعالى ونبينا ﷺ، ومن لم يعرف ذلك اللسان - لم يحلَّ له الفتيا فيه؛ لأنه يُفتي بما لا يدري، وقد نهاه الله عن

(١) الإيمان: ١١١.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/١١١.

ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]»[1].

ولا شك في أن ارتباط دلالة الحكم الشرعي بدلالة اللفظ العربي متلازمة، وغير منفكة؛ فمن أراد إدراك الأولى وفقهها فإن عليه الإحاطة بدلالة اللفظ العربي؛ تركيباً ودلالة على المعنى المراد من خلال مقامات السياق .

المطلب الرابع

اللحن في اللغة العربية يحرّف المعنى المراد

إن علم العربية آلة فعالة، ووسيلة ناجعة بها ينفتح لصاحبها ما انغلق من كنوز العلوم؛ وكلما استقامت هذه الآلة فإن فهم صاحبها سيكون سليماً ومكيناً، والعكس صحيح؛ يقول أبو نعيم الأصبهاني: «ثم يتلو الفقه من العلوم علم العربية والنحو؛ لأنه آلة لجميع العلوم؛ لا يجد أحد منه بُدّاً؛ ليقيم به تلاوة كتاب الله، ورواية كلام رسول الله؛ لكي لا يُخرجه جهل الإعراب إلى إسقاط المعاني»[2].

إن مما يحيل المعاني، ويحرفها عن مقاصدها اللحن في الكلام العربي؛ ذلك أن اللَّحن هو إمالة الكلام عن جهته الصحيحة، وصرفه عن سننه الجاري عليه[3]، فتنحرف المعاني، وتتغير المقاصد، ويفسد المعنى الأصلي المراد، ولهذا فإن اللحن في القرآن ضرب من العِوَج؛ الذي يخرجه عن صفته القويمة التي أنزل عليها؛ فقد قال سبحانه واصفاً حال كتابه العزيز الذي أنزله بعلمه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّمَر:٢٨]؛ يقول الطّوفي عن معنى العوج المذكور في الآية: «والعِوَج النقص وعدم الاستقامة، واللَحن فيه: نقص؛ فمن لحن

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ٥/١١٧-١١٨.

(٢) الصعقة الغضبية: ٢٤١.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، ولسان العرب ، والمفردات في غريب القرآن؛ مادة: لحن.

فيه فقد قرأه على عِوَج، وذلك ترك واجب، وتحصيل الواجب واجب مهما أمكن، كسائر الواجبات»[1].

وبهذا يعلم أن إقامة العربية على أصولها، وقراءة القرآن الكريم مُعرباً كما أنزل؛ على الصورة التي وصل إلينا بلسان عربي مبين هو المتعين شرعاً[2]؛ لفهم الأحكام الشرعية، ومعرفة الخطاب الرباني على السنّن الذي نزل بها.

يقول الزركشي: «وأما الإعراب: فما كان اختلافه مُحيلاً للمعنى وجب على المفسّر والقارئ تعلّمه؛ ليتوصل المفسَّر إلى معرفة الحكم، وليسلم القارئ من اللحن، وإن لم يكن محيلاً للمعنى وجب تعلّمه على القارئ ليسلم من اللحن»[3]؛ حتى لا يقع في العوج الذي بَرّأ الله كتابه منه.

ومن أبرع من تكلم في هذا المقام، وأماط عنه اللثام ابن حزم؛ فقد قال: «وأما النحو واللغة ففرض على الكفاية- أيضاً كما قدمنا-؛ لأن الله يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم:٤]. وأنزل القرآن على نبيه- عليه السلام- بلسان عربي مبين؛ فمن لم يعلم النحو واللغة، فلم يعلم اللسان الذي به بيَّن الله لنا ديننا، وخاطبنا به، ومن لم يعلم ذلك لم يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلّمه، وفرض عليه واجب تعلّم النحو واللغة، ولا بد منه على الكفاية»[4] ثم يقول: «ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن، وفهم حديث النبي ﷺ، ولو سقط لسقط الإسلام؛ فمن طلب النحو واللغة على نيّة إقامة الشريعة بذلك، وليفهم بهما كلام الله تعالى وكلام نبيّه، وليُفهمه غيره؛ فهذا له أجر عظيم، ومرتبة عالية؛ لا يجب التقصير عنها لأحد».

(١) الصعقة الغضبية: ٢٣٧.

(٢) ينظر: علم إعراب القرآن تأصيل وبيان: ١٠٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٢/١٦٥.

(٤) رسائل ابن حزم: ٣/١٦٢.

وبهذا يعلم أن اللغة العربية من الدين؛ بل هي من أصول فهمه التي لا يمكن أن يوصل إليه إلا بها؛ يقول الغزالي في هذا المعنى: «ومن أراد أن يتكلم في تفسير القرآن، وتأويل الأخبار، ويصيب في كلامه؛ فيجب عليه أولاً: تحصيل علم اللغة والتبحّر في فنّ النحو، والرسوخ في ميدان الإعراب، والتصرّف في أصناف التصريف؛ فإن علم اللغة سلّم ومرقاة إلى جميع العلوم، ومن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم؛ فإن من أراد أن يصعد سطحاً عليه تمهيد المرقاة أولاً؛ ثم بعد ذلك يصعد، وعلم اللغة وسيلة عظيمة، ومرقاة كبيرة؛ فلا يستغني طالب العلم عن أحكام اللغة؛ فعلم اللغة أصل الأصول»[١].

ويشدّد ابن حزم على مَنْ يجهل العربية، ثم يدعي الفقه في الدين، ويتصدّى لتعليم المسلمين؛ فيقول: «وأما مَنْ وسم اسمه باسم العلم والفقه؛ وهو جاهل للنحو واللغة فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه؛ لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به، وإذا لم يعلمه فحرام عليه أن يفتي بما لا يعلم: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]»[٢] ويضرب على ما هو بصدده أمثلة؛ مشنّعاً على الجهال بالعربية ؛ الذين ينصبون أنفسهم مفتين أو مفسّرين؛ فيقول: «فمن لم يعلم اللسان الذي به خاطبنا الله عز وجل، ولم يعرف اختلاف المعاني فيه لاختلاف الحركات في ألفاظه؛ ثم خبّر عن الله بأوامره ونواهيه؛ فقد قال على الله ما لا يعلم؛ وكيف يفتي في الطهارة مَنْ لا يعلم الصَّعيد في لغة العرب؟! وكيف يفتي في الذبائح مَنْ لا يدري ماذا يقع عليه اسم الذَّكاة في لغة العرب؟! أم كيف يفتي في الدين من لا يدري خفض اللام أو رفعها

---

(١) الرسالة اللّدنيّة: ٩٨.

(٢) رسائل ابن حزم: ٣/١٦٢.

من قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣]، ومثل هذا في القرآن والسنة كثير»[1].

وما حمل هؤلاء العلماء وأمثالهم على قول ما قالوا إلا إدراكهم لأهمية اللسان العربي المبين في فهم مقاصد الدين، ولتوقف استنباط أحكامه الكلية والجزئية من أدلتها التفصيلية الواردة في الكتاب والسنة على اللغة العربية التي حوت نصوصهما، وتشرفت بهما، وخلدت بخلودهما؛ فتعهّد الله عز وجل بحفظها مع حفظهما؛ فعلا شأنها بهما، وارتفع قدرها ونبُه ذكر من نطق بها، وعظم أجر مَنْ علّمها وتعلّمها؛ مريداً وجه الله تعالى والدار الآخرة؛ فهنيئاً لمن اختاره الله تعالى لحفظ دينه من جهة حسن فهم العربية، وبراعته في تقرير معانيها على أصول قواعدها؛ فترسّم هدي الرواد الأوائل؛ يقول أبو بكر بن العربي: «ولمّا أراد الله من حفظ دينه، وضبط شريعته، وإنجاز وعده في إكمال دينه اختار «الخليل»...، ويسّر له ضبط اللغة، وترتيب قوانينها، وجاء بالمعجز للعالم في ذلك، وألقى ما علم منه إلى حذّاق من أصحابه؛ فلم يكن فيهم مَنْ لقنه إلا سيبويه»[2]. والسعيد من طلاب العربية ومعلميها من استصحب معيّة أولئك الرجال، واستشعر عظم مهمته البيانية الجهادية؛ فسار في ركابهم، وسلك مسالكهم ؛ يتعلم العربية، ويتذوقها، ويُعلِّمها، ويتلذّذ بتعليمها، ويعمّق أبحاثه فيها، ويوظّفها لخدمة معاني الدين؛ يجلّي بها أحكامه، ويعرّف من خلالها مقاصد الإسلام؛ ويبرزها للعالمين باللسان العربي المبين؛ في حكمة حكيمة، وعبارة قويمة، وأسلوب بليغ؛ يتوخّى فيه العدل والاعتدال، ويبتعد عن الشطط والغلو، وينأى عن الخور والوهن؛ وما يُلَقَّى ذلك إلاّ الذين صبروا، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾؛ جعلنا الله منهم، ومكن لنا معهم؛ بلطفه ومنّه وكرمه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) رسائل ابن حزم: ٣/١٦٣.

(٢) قانون التأويل: ٥١٧.

المطلب الخامس

حقوق لغة الكتاب والسنة على كل مسلم ومسلمة

لعلي ألخص ما أراه من حقوق هذه اللغة الشريفة على كل مسلم ومسلمة في الأمور الآتية:

١- احتساب تعلُّمها عند الله تعالى، واستشعار اصطفاء الله تعالى لها لتكون لسان كتابه، ولسان سنة نبيه عليه الصلاة والسلام؛ وعدُّ هذا التعلم لها جهاداً بيانياً علمياً في سبيل معرفة أحكام الدين، للعمل به، ونشر هديه بين العالمين؛ على قدر الجهد والطاقة.

٢- احتساب تعليمها للآخرين؛ ممّن هم في أمسّ الحاجة إليها، سواء أكان هذا التعليم عملاً وظيفياً مهنياً، أو عملاً احتسابياً دعويّاً؛ ويتأكد ذلك عند قيام الحاجات لها ، وظهور دواعي المقامات إليها .

٣- اعتيادُ التكلم بها بلسان فصيح، صحيح الألفاظ، سلس الأسلوب، ليسهل احتذاء الآخرين بنا، ويتعلموا أسلوب الحديث المنهجي السليقي منا؛ المتسم بالبعد عن التقعّر والتعقيد المنفّر.

٤- التركيز في أثناء تعليميها على نصوص القرآن والسنة، وجعلهما عمدة في بيان قواعدها، واستدرار أسرارها؛ لربط المتعلم بهما، وللإفادة من مادة الوحيين؛ تعليماً وتوجيهاً وتبصيراً.

٥- تذليل قواعد العربية، وتيسير مسائلها، وتقريبها من واقع الطلاب والمتعلمين؛ في صورة أحاديث إنشائية، وصور تعبيرية، مذلَّلةٍ مسهّلة؛ ليظهر للطلاب المبتدئين، والمقبلين من المتعلمين أنها لغة لذيذة ميسورة؛ مقدور على إدراكها والنطق بها؛ لتصحيح ما علق حول ذلك من صعوبات أو شبهات وإثارات.

٦- النزول إلى واقع الجيل الناشئ من أبنائنا وبناتنا في بيوتنا؛ لتعليمهم أساليبها، والحوار معهم بلغة فصيحة، وأساليب جميلة، من خلال القصص الهادف، والحوار الجذاب، والحديث الماتع.

٧- استغلال وسائل الاتصال المعاصرة، وتقنياتها الحديثة، وتوظيف هذا المجال الحيوي في سبيل بثّ روح الاهتمام باللغة العربية؛ وبيان يسرها، وعظيم شرفها، وجليل قدرها، وتنظيم دروس ميسّرة من خلال تلكم الوسائل التي تمكنت من النفوس، وتيسّرت في معظم المواقع والبلدان.

٨- الاهتمام بالجوانب التطبيقية في أثناء تدريس العربية، واستنطاق الطلاب بأساليبها، وتعويدهم على بناء الجمل الصحيحة، وإعرابها، من غير تعنيف أو سخرية أو ازدراء.

٩- مدّ جسور التعاون البناء مع كل مؤسسة تعليمية حكومية أو أهلية أو خيرية؛ محلية أو عالمية؛ لتبادل الخبرات، وتقديم الرؤى والتجارب والتطبيقات والبحوث المثرية والآراء البنّاءة من أجل شدّ العزائم، ودفع الهمم التي تنهض بلغة القرآن والسنة؛ محلياً وعالمياً.

١٠- ينبغي أن يُعرف طالب العربية ومعلمها بلسانه الفصيح، ورأيه الصحيح، وشخصيته المتميزة المتواضعة، وعطائه المتدفق في مجالات التدريس والتوجيه المتعلق ببيان هذه اللغة، وقواعدها، وبلاغتها وأدبها؛ بحيث يكون أسوةً مثلى؛ يُحتذى به من قبل الصغار والكبار من المتخصصين وغيرهم؛ وفي هذا المنهج القويم دعوة ضمنية وصريحة إلى لغة القرآن والسنة؛ تحبيباً لها وإغراء بها، وهذا من الدعوة إلى الله تعالى.

الخاتمـة

بعد هذه الجولة البحثية الماتعة مع لغة القرآن والسنة؛ بياناً لفضلها على سائر اللغات العالمية السائدة، ووقوفاً علمياً مع النص القرآني الحكيم الذي تعهد الله تعالى فيه بحفظ الدين وحفظها؛ لكونها وعاء الدين الأمين ولسانه المبين، وكشفا عن ارتباط دلالات الأحكام الشرعية بدلالات ألفاظها، ونقلاً لأقوال بعض أهل العلم المعتبرين المحذّرين من خطورة اللحن في العربية، وحرمته في أثناء قراءة القرآن الكريم؛ وعرضاً لجملة من الحقوق الشرعية والأدبية للغة العربية على كل مسلم ومسلمة؛ بعد ذلكم كله أسجّل أبرز النتائج؛ مجملة في الآتي:

١ - أن اللغة العربية أكمل اللغات، وأشرفها، وأمتنها، وأمكنها في نقل المعاني، والتعبير عن المقاصد، والتصوير للمشاعر؛ يشهد لذلك اصطفاء الله تعالى لها، وتعبير فحول الشعراء عن مشاعرهم بها.

٢ - أن شرف العربية وعلو شأنها وقع لها من إنزال الوحي الكريم بلسانها، وارتباط معانيه بدلالة ألفاظها؛ حتى أصبح دين الإسلام مقترنا بها، وصارت هي علماً عليه، ودليلاً إليه.

٣ - أن اللغة العربية لم تعد بعد نزول القرآن بها خاصة بالعرب، منحصرة في ألسنتهم، أو مقتصرة على أقاليمهم، بل أصبحت لغة حضارية عالمية؛ تسير مع الإسلام، وتنتقل مع الأقوام؛ تديّناً وتعليماً، وتحدّثاً وتأليفاً.

٤ - أن العربية جمعت بين السموّ الروحي، والكمال البياني، والجمال الصوتي، واليسر المعرفي؛ مما شهد به واقعها، والدارسون لها من غير أهلها.

٥ - أن أعظم كرامة أكرم الله تعالى العربية بها أن تعهد - جل في علاه - بحفظها؛ في آية جمعت عناصر التوكيد في عرفها؛ قائلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر:٩]؛ ومن لازم حفظ الذكر الذي أنزله

الله بلسانها حفظ اللسان نفسه الناطق به؛ فتضمّن النص الحكيم حفظ القرآن الكريم بدلالة المنطوق، وحفظ السنة المطهرة بدلالة التضمّن؛ لكونها في معنى الذكر ولأنها مبينة للقرآن، وحفظ العربية؛ لكونها وعاءهما، ولسانهما للعالمين.

٦ - أن الإعجاز القرآني المتمثل في تحدي الثقلين - مدى الأزمان - على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولو اجتمعوا له- يعدّ دليلاً آخر على خلود العربية وتمام حفظها لارتباطها بالإعجاز، واعتماده عليها؛ لفظاً ومعنى، ونظماً وأسلوباً.

٧ - أن الشرف الذي توَّجهُ الله للعربية لا يقتصر عليها؛ وإنما يمتد لينال كل مشتغل بها، تعلماً وتعليماً، وبحثاً وتأليفاً، ويرتفع قدره، ويعظم أجره، على قدر إخلاصه، وعِظم جدّه واجتهاده، وامتداد عموم نفعه.

٨ - أن العربية تعد أصلاً أصيلاً من أصول فهم الدين؛ لا يعرف مراد الله تعالى بكلامه إلا بها، ولا تفهم دلالات القرآن والسنة إلا من خلال فهم دلالات المعاني في نظمها؛ ولو أحاط إنسان بلغات أهل الأرض إلا العربية لم يفهم من الدين شيئاً، ولو جهل العارف بدلالات العربية اللغات الأخرى لم يسلبه ذلك شيئاً في الجانب الشرعي.

٩ - أن العلماء المعتبرين قد ذمّوا الجهل بلغة العرب، وحرموا على من كان كذلك التصدّي للفتوى، ولو كان حافظاً للقرآن والسنة؛ ما دام جاهلاً بدلالات النصوص الشرعية، وبكيفية استنباط الأحكام الفقهية منها؛ الواردة على أساليب العرب والجارية على نحو كلامهم.

١٠ - أن للغة العربية؛ التي هي لغة الكتاب والسنة، ولغة حضارة الإسلام- حقوقاً كثيرة على كل مسلم ومسلمة؛ ينبغي أن يتقي الله فيها كل واحد منهم؛ على

قدر قدرته وطاقته؛ محبّة لها، وإقبالاً عليها، وتحدثا بها، ورفعاً لشأنها، وذبّاً عنها، وتعليماً لمن يجهلها، وتيسيراً لأساليبها.

ومن أبرز ما يوصي به الباحث ما يلي:

١ - بثُّ الوعي الشرعي عن أهمية اللغة العربية في الدين وإظهار قيمتها بين المسلمين، وأن تعّلمها وتعليمها من الواجبات الشرعية الكفائية ؛ إذا اقتضت مقامات الزمان والمكان لهذا الأمر، ذلك أن فهم الإسلام وقراءة القرآن وأداء الواجبات الشرعية؛ كالصلاة والأذان والشهادتين متوقف على تعلّمها وتعليمها، فالقيام بذلك، والقيام عليه جهاد بياني، وعمل علمي محمود شرعا؛ يثاب فاعله، ويتعاظم أجره على قدر نيته، وعموم منفعته؛ سواء على مستوى الأفراد، أو المؤسسات، أو الحكومات، وأن هذا العمل يعد من أساسيات هوية الأمة الإسلامية، ومن أمارات وسمها بين الأمم المعاصرة، ومن أظهر شعاراتها المعروفة بها في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

٢ - سعي المتخصصين في مجالات اللغة العربية إلى تيسير تعليمها، وإشعار أبنائهم وطلابهم ومن يحتكون بهم أو يقرؤون عنهم أنها لغة لذيذة يسيرة عالمية وليست محلية أو إقليمية، وأنها لغة دين، وليس لغة جنس أو إقليم، وأن الحاجة إليها والتكلم بها وتعلّمها والفقه فيها فقه في الدين، وقربة إلى رب العالمين.

٣ - مدّ جسور التعاون والتنسيق مع كل المواقع والمراكز المعنيّة باللغة العربية؛ تعليماً أو بحثاً أو عناية أو نشراً؛ وتبادل التجارب والرؤى والمقترحات بينهم، وخاصة مع تيسُّر وسائل الاتصالات الحديثة من شبكة معلومات وحواسيب، وأجهزة ذكية، وغيرها، وتوظيفها توظيفاً تقنياً عالياً؛ وذلك من أجل أن تصل المعرفة اللغوية، والقاعدة النحوية والإملائية، والأسلوب البلاغي إلى كلّ متعطش إليه، أو باحث عنه؛ مسؤولاً كان، أو

غير مسؤول، مركزاً أو موقعاً أو مؤسسة أو جامعة أو دولة، ومن أولى الجهات التي تنهض بذلك وتتصدى له المراكز المتخصصة في اللغة العربية؛ كمركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ومجامع اللغة العربية، وكلياتها، وأقسامها العلمية، وبحوثها الجامعية، والجهود الفردية من قبل المتخصصين، وذوي الاهتمام اللغوي المتميّز.

٤ - إنشاء رابطة للمتقاعدين؛ من المتخصصين في اللغة العربية بجميع فروعها؛ ممن حازوا الخبرة والدراية والمعرفة بجوانب اللغة ودقائقها، وأصبحت التجربة اللغوية لديهم ناضجة متوافرة؛ للإفادة من خبراتهم، والاستعانة بآرائهم، وإحالة البحوث والمقترحات المتعلقة بتنمية المعرفة اللغوية إليهم، وطلبها منهم، واستثمار طاقاتهم في خدمة لغة الدين، ونفع الوطن والمسلمين.

٥ - بذل المساعي الحثيثة مع وزارة الخدمة المدنية، والوزارات الأخرى لتخصيص وظائف في قطاعاتها؛ تتعلق بالتدقيق اللغوي، والتصحيح البياني لخطاباتها، وسائر معاملاتها؛ لتستقيم مع رسالة الدولة العليا؛ التي اعتمدت اللغة العربية الفصحى لغتها الرسمية؛ كما جاء في النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية الصادر في ١٤١٢/٨/٢٧هـ؛ وفي ذلك توفير فرص وظيفية متعدّدة في جهات كثيرة لخريجي الجامعات؛ من المتخصصين في اللغة العربية وآدابها.

ثبت المصادر والمراجع

- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي سيف الدين، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ المكتب الإسلامي، ط٢، سنة ١٩٦١م.
- البرهان في علوم القرآن؛ لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي؛ تحقيق: د. يوسف المرعشلي وزميليه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤١٠هـ.
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور؛ مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- تفسير القرآن العظيم؛ للحافظ إسماعيل بن كثير؛ تحقيق: مصطفى السيد محمد وزملاؤه، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- التفسير الكبير للفخر الرازي؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣.
- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- رسائل ابن حزم الأندلسي؛ تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ ط١، ١٩٨١م.
- الرسالة اللّدنيّة؛ لأبي حامد الغزالي، مطبوعة ضمن (مجموع رسائل

الإمام الغزالي)؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، للطوفي الحنبلي؛ تحقيق: د. محمد بن خالد الفاضل؛ مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٩٧م.
- علم إعراب القرآن تأصيل وبيان؛ د. يوسف بن خلف العيساوي، دار الصميعي للنشر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- الفصحى لغة القرآن، لأنور الجندي، الناشر: دار الكتاب اللبناني.
- قانون التأويل؛ لأبي بكر بن العربي؛ تحقيق: محمد السليماني؛ دار القبلة للثقافة الإسلامية؛ جدة، مؤسسة علوم القرآن؛ بيروت؛ ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- لسان حضارة القرآن؛ لمحمد الأوراغي؛ دار الأمان، الرباط، ط١، سنة ١٤٣١هـ.
- لسان العرب؛ لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور؛ دار صادر، بيروت، لبنان.
- محاسن التأويل؛ للعلامة محمد جمال الدين القاسمي؛ دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- معجم مقاييس اللغة؛ لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون؛ دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- المفردات في غريب القرآن؛ لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- نظرات لغوية في القرآن الكريم؛ د. صالح بن حسين العايد؛ كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

تجربتي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

أ.د. حمد بن ناصر الدخيِّل

مقدمة:

يأتي هذا البحث في إطار الجهود التي يبذلها مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي لخدمة اللغة العربية، ومن ضمن هذه الجهود الاتجاه إلى تقديم البحوث والدراسات والبرامج المتصلة بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بصفتها لسان القرآن الكريم والحديث النبوي، والتراث العربي والإسلامي، وبصفتها لغة ثقافة وحضارة وتراث متنوع عريق. وتتعاضد هذه الجهود مع جهود أخرى سبقتها في هذا الميدان، وحققت نتائج ملموسة في تعليم العربية وتيسيرها ونشرها في عدد من البلدان. وهذه النتائج الطيبة تشجع على السخاء بمزيد من التعاون بين جميع الهيئات والمراكز والجامعات والمؤسسات التي تعنى بهذا النوع من التعليم، ويشمل ذلك الأفراد الذين لهم تجارب وأعمال في هذا الميدان.

وهذا البحث يتحدث عن تجربة شخصية ضمن تجربة جماعية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، امتدت أكثر من اثني عشر عاماً تحققت خلالها منجزات في مستوى الأداء، والكتاب المقرر، وتأهيل المدرسين القادرين على العطاء تعليماً وإعداد مقررات في هذا المسار المهم. وهي تجربة تتعانق مع تجارب كثيرة، أسهمت في تأطير تعليم العربية وتقديمها لغة ميسرة لأبناء العالم. والله الموفق لكل عمل نافع.

تمهيد:

حققت المملكة العربية السعودية إنجازاً رائعاً في ميدان تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها على مدى نصف قرن، منذ أن أنشئت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ونص نظامها على تخصيص معظم مقاعد الدراسة فيها للطلاب المسلمين من خارج المملكة الذين يقبلون للدراسة على منح دراسية تتكفل بها المملكة، ومنذ ذلك التاريخ خَرَّجت الجامعة آلاف الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي، عادوا إلى بلدانهم بعد أن تأهلوا لغويّاً، وعينوا معلمين للغة العربية في مدارس بلدانهم وجامعاتها.

وتتابع اهتمام المملكة ونشاطها في هذا النوع من التعليم، فأنشئت أربعة معاهد لتعليم العربية للناطقين بغيرها في ثلاث جامعات - إلى جانب شعبة اللغة العربية في الجامعة الإسلامية التي تحولت بعد ذلك إلى معهد - هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وجامعة الملك سعود في الرياض، وجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، ويحمل اسم (معهد تعليم اللغة العربية للناطقات بغيرها)؛ فأصبح لدينا في المملكة خمسة معاهد، تعنى بتعليم اللغة العربية للناطقين والناطقات بغيرها.

وضاعفت جامعة الإمام جهودها في تقديم العربية للعالم؛ فافتتحت خمسة معاهد لتعليم العربية والثقافة الإسلامية في كل من موريتانيا، وجيبوتي، والولايات المتحدة الأمريكية ، وأندونيسيا، واليابان، وأسهمت هذه المعاهد جميعاً في داخل المملكة وخارجها في تكوين التجربة وإثرائها، وتخريج أعداد كثيرة من الطلاب الذين ينتسبون إلى جميع قارات العالم.

ولابد من الإشارة إلى الجهد الذي قام به مكتب التربية العربي لدول الخليج - ومقره في الرياض - في تعضيد التجربة وإثرائها بإعداد بعض البحوث والدراسات التي خدمت هذا الجانب من التعليم.

وإن أنس فلا أنس مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية الذي خصص جانباً من نشاطه اللغوي في تعضيد تعليم اللغة العربية في بعض البلدان التي لا يتحدث أهلها اللغة العربية كالصين، والهند، وقيامه بنشر الكتب والبحوث عن نشاط اللغة العربية والتأليف بها في هذه البلدان. وأسهمت جميع الدول العربية بنصيب لا ينكر في إتاحة الفرص لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها حسب إمكاناتها المتاحة؛ ففي كل دولة عربية قسم أو معهد أو شعبة تتولى تعليم من يرغب في معرفة العربية من الطلاب الوافدين. ولا يغيب عن البال جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في هذا النوع من التعليم، وكذا جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).

وتبقى جهود المملكة علامة بارزة بين الجهود الكثيرة المبذولة؛ لتسهيل تعلم لغة القرآن الكريم للراغبين فيها من غير أهلها.

وتبلورت هذه النشاطات في تجسيد مكانة اللغة العربية في العالم، فأنشئت لها ولما تحمله من ألوان الثقافة أقسام وشعب في معظم جامعات العالم، واستقدم عدد من الأساتذة العرب لتدريسها، وتطلع كثير من أبناء الشعوب في العالم إلى تعلمها والاطلاع على ما تعبر عنه من شؤون الثقافة والمعرفة.

بداية التجربة:

ترجع صلتي بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إلى عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، أي منذ نحو أربعين عاماً أو تزيد، وذلك حينما أنشأت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض إدارة شؤون المنح الدراسية Scholarships وأسندت إليّ إدارتها، وهي إدراة جديدة تتولى تنظيم استقبال الطلاب الراغبين في تعلم اللغة العربية من أبناء المسلمين الذين ينتسبون إلى بلدان لا يتحدث أهلها اللغة العربية، وبدأت الجامعة منذ ذلك التاريخ في استقبال عدد محدود من الطلاب، ومنهم بعض الطلاب العرب الذين أنهوا دراستهم

الثانوية، ويودون أن يواصلوا دراستهم الجامعية في كليات الجامعة، وكان معظمهم - في بداية الأمر - من الأردن، وأذكر أنني خصصت ملفاً لكل دولة قدم منها طلاب لتعلم اللغة العربية، وفتح للطلاب القادمين فصلان أو ثلاثة في كلية اللغة العربية في مقرها الأول القديم الواقع في شارع الملك فيصل (شارع الوزير)، وعهد بالإشراف عليها إلى الدكتور محمد خير العرقسوسي - رحمه الله - وهو سوري يجيد اللغة الفرنسية ومتخصص في التربية وعلم النفس، وشغل مدة خبيراً تربوياً للأمم المتحدة في جنيف.

كنت من أوائل من احتك بهؤلاء الطلاب، ودرسهم في هذه الفصول، ولم يكن لدينا منهج ولا كتب ولا طريقة، ولا وسائل تعليمية سوى السبورة والإشارة، واستعمال اللغة الإنجليزية بعض الأحيان للدلالة على الألفاظ؛ فكان التعليم يعتمد على الجهد الشخصي للمعلم، وخبرته المحدودة في هذا المجال.

كان الهدف من تعليمهم اللغة العربية تأهيلهم لغويًّا؛ ليتمكنوا من الدراسة مع زملائهم السعوديين والعرب في كليات الجامعة، فمن شروط قبول الطالب على منحة دراسية أن يكون حاصلاً على الشهادة الثانوية. ندرك أن الجامعة الإسلامية أقدم جامعة سعودية فتحت أبوابها لاستقبال الطلاب المسلمين من جميع دول العالم، وهيأت لهم فرص الدراسة، وندرك أيضاً أن جامعة الأزهر جامعة مفتوحة لهؤلاء الطلاب منذ وقت مبكر، وأنشأت لهذا الغرض مدينة البعوث الإسلامية، ولكن تجربة الجامعتين في هذا النوع من التعليم لم تكن بين أيدينا. ازداد عدد طلاب المنح الدراسية فحولت الجامعة الفصول إلى مركز تعليم اللغة العربية، وشغلتُ بعد ذلك بإعداد رسالة الدكتوراه الذي استغرق من وقتي سنوات ابتعدت خلالها عن التعليم في هذا المجال.

الندب إلى اليابان:

في إطار سعي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ لافتتاح معاهد خارج المملكة تعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، كانت اليابان من الدول التي وقع عليها الاختيار لافتتاح معهد فيها يتولى تعليم اللغة العربية للطلاب المسلمين من اليابانيين والجاليات الإسلامية، والراغبين في معرفة العربية في هذا الصقع النائي البعيد عن البلاد العربية. ومما شجع الجامعة على هذا وجود مركز إسلامي في طوكيو، وعددٍ من الجمعيات الإسلامية التي ينتسب إليها يابانيون وأتراك وغيرهم ممن يقيم في اليابان كبعض الهنود. وكان بعض اليابانيين قد دخلوا الإسلام، ودانوا به منذ وقت مبكر نسبيّاً بتأثير من وفد إلى اليابان من المسلمين، ومعظمهم كانوا من التجار، ولا يزال عدد منهم يعلن إسلامه[١].

ورغبت الجامعة قبل الإقدام على فتح المعهد أن تستطلع رأي الجمعيات الإسلامية في اليابان، ومن ينتسب إليها من أعضاء، ورأي السفارة السعودية في طوكيو بحكم خبرتها في المجتمع الياباني، ومعرفتها بأحوال المسلمين، فندبتني لهذا الأمر المهم الذي يسهم في نشر اللغة العربية وما تحمله من ثقافات متنوعة في جزء من العالم المتحضر. كنت آنذاك أعمل مشرفاً على شؤون المنح الدراسية في عمادة شؤون الطلاب.

سافرت إلى اليابان يوم الأربعاء ١٣٩٦/٦/٤هـ الموافق ١٩٧٦/٦/٢م وبلغتها يوم الأحد ١٣٩٦/٦/٨هـ الموافق ١٩٧٦/٦/٦م. وفي أثناء إقامتي زرت المركز الإسلامي، ومسجد طوكيو، وعدداً من الجمعيات الإسلامية منها جمعية الرعاية الإسلامية، وجمعية الثقافة الإسلامية، وجمعية مسلمي اليابان، وجمعية الصداقة الإسلامية، وقابلت السفير السعودي في طوكيو الأستاذ زين

---

(١) انظر عن الإسلام في اليابان: الجرجاوي علي بن أحمد (ت نحو ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م) الرحلة اليابانية، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة جريدة الشوري، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، ص ١١٩.

العابدين الدباغ، ومساعده عبد العزيز السعدي، ومن الشخصيات اليابانية المهمة التي قابلتها عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية، وكان شيخاً كبيراً واستطلعت آراء من قابلت من رؤساء الجمعيات وأعضائها في إمكانية فتح معهد يتولى تعليم اللغة العربية، ومدى نجاحه والإقبال عليه، ولمست قبولاً مبدئياً لافتتاح المعهد. وفي تجوالي رأيت بعض الفصول الدراسية التي تعلم اللغة العربية لليابانيين في كل من طوكيو وكوبي التي تبعد عن العاصمة ٥٥٠ كيلاً. وآتت هذه الزيارة ثمرتها، وافتتح المعهد، ولا يزال يؤدي رسالته في تعليم العربية هناك[١].

تكوين التجربة:

ولما حصلت على مؤهل الدكتوراه عينت في معهد تعليم اللغة العربية أستاذاً مساعداً في شهر رمضان عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وكان مركز تعليم اللغة العربية قد تحول عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م إلى معهد تعليم اللغة العربية، بعد أن كثر عدد الطلاب، وأصبح مستقلاً كغيره من كليات الجامعة بعد أن كان تابعاً لكلية اللغة العربية، واستأجرت الجامعة مقرّاً له في حي الناصرية إلى جانب كلية اللغة العربية.

حين وجهتُ إلى المعهد لم أشعر بغربة التخصص الجديد، فتدريسي علوم اللغة العربية في التعليم العام سنوات، وتعليمي مبادئ العربية للناطقين بغيرها في الفصول الأولى جعلاني أنسجم مع الوضع الجديد، وأجد سهولة في التفاهم مع الطلاب الذين أصبحوا يوجهون إلى المعهد أعداداً كثيرة من مختلف الأقطار، وينتظمون في دراسة العربية.

للعرب تجربة ناجحة في تعليم اللغة العربية لأبناء الأمم والشعوب التي دانت بالإسلام بعد حركة الفتوحات الإسلامية الواسعة، فقد كان الإقبال على تعلمها

---

(١) قدمت للجامعة عن هذه الزيارة تقريراً في إحدى وعشرين صفحة وأحتفظ بنسخة منه.

منذ القرن الثاني الهجري يماثل الإقبال على تعلم اللغة الإنجليزية في الوقت الحاضر، إن لم تكن دراسة العربية وعلومها يفوق ما نشهده الآن من الإقبال على تعلم اللغة الإنجليزية وعدها لغة ثانية في الأقطار التي تتحدث العربية، وتعتبر اللغة الوحيدة في كثير من مناشط الحياة في الدول العربية، فهي لغة الطيران، والفنادق، والطب والتجارة والسياحة، والتدريس لكثير من المواد والمقررات في الجامعات.

وللإسبان تجربة ثرية أيضاً في تعلم العربية طوال الحكم العربي في الأندلس، وكانوا يقبلون على تعلمها أكثر من إقبالهم على تعلم الإسبانية واللاتينية، يقول ألبروا القرطبي أحد قساوسة النصارى في الأندلس يشكو انصراف النصارى الإسبان إلى الاهتمام بلغة العرب وآدابهم: « إنّ إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب، وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوباً عربيًّا جميلاً صحيحاً. وأين نجد الآن واحداً من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين، وآثار الأنبياء والرسل؟ يا لَلْحسرة!! إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب. وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالاً طائلة في جمع كتبها، ويفخرون في كلّ مكان بأن هذه الآداب حقيقةً جديرةٌ بالإعجاب، فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم، للألم!! لقد أنسي النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد في الألف منهم واحداً يستطيع أن يكتب إلى صاحبه كتاباً سليماً من الخطأ، فأما عن الكتابة في لغة العرب، فإنك واجد منها عدداً عظيماً يجيدونها، في أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنًّا وجمالاً»[١].

---

(١) بالنثيا آنخل جنثالث (١٨٨٩ – ١٩٤٩م)، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، الطبعة

كثيرون من أبناء الشعوب الإسلامية التي لا تتحدث اللغة العربية انخرطوا في دراستها وأتقنوها، وملكوا مهارة التعبير بها، بل أصبح منهم شعراء وكتاب وعلماء ومؤلفون، لا يقلون امتيازاً عن نظرائهم العرب، بل منهم من تفوق وبز أقرانه. غير أن المؤلفين أهملوا رصد هذه التجربة، ولم يحفِلوا بتدوينها، في حين ذكروا بعض الكتب التي تدرس، ويأتي إغفال أوليات تعليم العربية ضمن ما أغفلوه من تدوين مراحل النشأة والصبا لمن يترجم له من الأدباء والعلماء، فتاريخ التراجم لا يتجاوز في معظم الأحوال ذكر نسب المترجم، وبعض شيوخه، وبعض من تتلمذ عليه من العلماء أو الأدباء وأخذ عنه، والسبب في ذلك أن المترجمين ومدوني السير لا يجدون في مرحلة الصبا ما يستحق أن يروى، والسير الذاتية التي يكتبها أصحابها عن أنفسهم حلقة مفقودة في التراث الأدبي والتاريخي، ما عدا نماذج قليلة لم تكتمل . لذلك فإن من الطبيعي أن تغيب عنا مدونة تجارب تعلم اللغة العربية في التراث العلمي، ولعل الكتاتيب التي عرفناها منذ عدة عقود هي النموذج المتبقي لفك الحرف العربي والكلمة العربية.

وقد حاولت في موضع آخر[1] أن أصل إلى شيء من طريقة العلماء العرب القدامى والمؤديين في تعليم العربية. والموضوع في حاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب والصبر، فربما يعثر الباحث على إضاءات ترسمُ صورة مقاربة لمنهج القدامى في تعليم العربية للناطقين بغيرها، كالفرس والهنود والإسبان.

الأولى، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٥م، ص ٤٨٥- ٤٨٦.

١ انظر: الدخيل حمد بن ناصر، قضايا وتجارب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الطبعة الأولى، الرياض، معهد تعليم اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ٩ وما بعدها.

رئاسة قسم الإعداد اللغوي:

بعد ثلاثة أشهر من تعييني في المعهد ، أسند إليّ رئاسة قسم الإعداد اللغوي، وهو القسم الأساس في المعهد؛ إذ هو المسؤول عن إعداد طلاب المنح الذين لا يتحدثون العربية إعداداً لغويًّا يمكنهم من الدراسة في كليات الجامعة مع زملائهم الذين تعد العربية لغتهم الرئيسة، ومدة الدراسة في القسم سنتان، مقسمة على أربعة مستويات، ويلحق بالمستوى الأول الطلاب الجدد الذين لا يعرفون شيئاً من العربية البتة. لم يمض على تحويل المركز إلى معهد سوى عام، وحينما قدمت إليه كان يحاول مجتهداً استقطاب من لديه خبرة أو تجربة، ولو كانت يسيرة في تعليم العربية لغير الناطقين بها، رأيت عدداً من المدرسين السودانيين ممن درسوا في معهد الخرطوم الدولي الذي أنشيء عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، وهو يهتم بنوع التعليم الذي يهتم به المعهد. وعدداً آخر من المدرسين المصريين، التجارب على مستوى العالم العربي لم تنضج بعد، وكل دولة تعلم العربية تحاول أن تثري تجربتها بنفسها، وبعض التجارب استفادت من الغرب في تعليم لغاتها، غير أن تعليم العربية يختلف عن تعليم لغة أخرى بحكم ما تختص به، وما تمتاز به عن اللغات الأخرى من طريقة النطق والتركيب والأداء، وإن كانت هناك أسس تعليمية عامة تشترك فيها اللغات. التجربة عند الإنجليز والفرنسيين والألمان وغيرهم من أصحاب اللغات المشهورة كانت ناضجة بحكم الإقبال على تعلم هذه اللغات في أوقات مبكرة، وكثرة الراغبين في إتقانها بصفتها لغة علم واختراع وحضارة وسياحة. لم يكن مع الطلاب كتب تعليمية مناسبة ألفت عن خبرة وتجربة، جرب في السابق تدريس مقررات العربية للناشئين (منهج متكامل لغير الناطقين بها) الذي نشرته وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم) عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، تتكون من اثني عشر كتاباً، ستة للطالب، وستة للمعلم. ومن خلال التجربة تبيّن أن هذه المقررات لا تفي بالهدف التعليمي والتربوي الذي يؤهل طلاب المنح للانخراط في الدراسة الجامعية ولم

تكن طباعتها مشجعة. كانت هناك بداية لوضع مذكرات تعليمية لم تستكمل؛ لتكون نواة لكتب تتوافر فيها المنهجية، وتحقق شروط الكتاب المدرسي الناجح الصالح لتعليم العربية. المختصون في علوم اللغة العربية كثيرون، ولكن أين المختصون في تعليم العربية للناطقين بغيرها، الذين يحملون شهادات في هذا التخصص عينه، ولديهم الخبرة الكافية؟!

شرعتُ في إعداد مذكرة لمقرر البلاغة والنقد للمستوى الرابع في قسم الإعداد اللغوي، وهو آخر مستوى في القسم، وتوليتُ تدريس المادة، ليكون إعداد المذكرة مبنيّاً على تجربة، وتحولت هذه المذكرة بعد ذلك إلى مقرر مطبوع ضمن مقررات المعهد، وأسهمت في إعداد مقرر الأدب في المستوى الثالث والمستوى الرابع في القسم نفسه، وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً.

وكالة المعهد:

بعد مضي نحو ثلاثة أشهر من تكليفي برئاسة قسم الإعداد اللغوي، عينت وكيلاً للمعهد وكان أمام المعهد حين عينتُ وكيلاً له تحقيق ثلاثة أهداف:

١. تأهيل معلمين مختصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. فأنشأ قسم تأهيل معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، وفتح المجال لخريجي كليات اللغة العربية والآداب، للدراسة في القسم، وعين عدداً من المعيدين؛ ليتفرغوا للدراسة، وعهد بالتدريس فيه لمن لديه تجربة أو خبرة من الأساتذة من داخل المملكة ومن خارجها، كانوا يأتون أساتذة زائرين أو مقيمين.

٢. تأليف كتب تعليمية في جميع المواد المقررة في قسم الإعداد اللغوي مع الأدلة التعليمية التي ترشد المدرس إلى الطريقة المنهجية لتدريس المقرر.

٣. تأهيل الطلاب الذين يلتحقون بقسم الإعداد اللغوي إعداداً لغويًّا جيدًا، يجعلهم لا يتعثرون في دراستهم. وهذا القسم واجه مستويات مختلفة من الطلاب، فالقادمون من دولة إسلامية كباكستان وأفغانستان يتأقلمون سريعاً مع الكلمة العربية؛ لأن آذانهم وألسنتهم ألفت اللفظ العربي من خلال تلاوتهم القرآن الكريم وحفظه، واللغة الأوردية، واللغة الفارسية، ولغة البشتون غنية بالألفاظ العربية، وتكتب بحرف عربي.

أما القادمون من أوروبا وأمريكا فيجدون صعوبة في نطق الحرف العربي والمفردة العربية؛ لأنهم لم يألفوا سماع الكلمة العربية، ولم يجر على ألسنتهم نطق لفظ عربي، فكانت هذه الفئة من الطلاب تتعثر أحياناً، ولا تتجاوز المستوى الواحد في فصل واحد، وتحتاج إلى مزيد من التدريب والتعليم حتى تتمكن من مجاراة الطلاب الذين أظهروا تفوقاً.

والحق أن بعض الطلاب من إفريقية، ولا سيما من نيجيريا أظهروا تفوقاً ملحوظاً تقدموا به على زملائهم، ولما حصلوا على شهادة الإعداد اللغوي، واصلوا دراستهم في كليات الجامعة، واستمروا في تفوقهم على جميع زملائهم في مستويات الدراسة الجامعية، وكان ترتيبهم الأول حتى على زملائهم السعوديين، وبعضهم واصلوا دراستهم العليا فحصلوا على الماجستير والدكتوراه، وأصبحوا أعضاء تدريس في جامعات بلدانهم.

وهناك طلاب تعثروا في دراستهم، وآخرون لم يحصلوا على التقدير من قسم الإعداد اللغوي الذي يؤهلهم لدخول الجامعة، فاضطر المعهد أن يفتح لهؤلاء قسماً، سماه (قسم العربية والعلوم الإسلامية)، ومدة الدراسة فيه سنتان، يمنح الطالب بعد نجاحه فيه شهادة الدبلوم.

استضاف المعهد عدداً من علماء اللغة والخبراء في تعليم العربية مدرسين أو زائرين، ومنهم عبد الرحمن أيوب، وتمام حسان، ورشدي طعيمة، ومحمود

كامل الناقة، وكمال بشر، وعبده الراجحي، وكمال بدري، وحمادة إبراهيم، وبعض من هولاء مكث في المعهد سنوات يدرس كعبد الرحمن أيوب، وعبده الراجحي، وكمال بدري الذي آثر بعد ذلك أن ينتقل إلى معهد العلوم العربية والإسلامية في أندونيسيا.

كان الهدف من هذه الاستضافة تكوين التجارب والخبرات الجماعية لبناء منهج متكامل للمعهد من حيث وضع الأسس التعليمية والتربوية؛ لتخريج الطلاب لتأهيلهم لغوياً من خلال المواد التي درسوها.

تجربتي في التدريس:

تعليم اللغة العربية لأهلها يختلف عن تعليمها لغير أهلها في المنهج والطريقة وأسلوب تقديم المعلومة؛ فحين تدرس طلاباً العربية لغتهم، لا تجد صعوبة في إيصال المعلومات وإفهام الطلاب؛ لأن لغة الشرح والدرس واضحة، وينطبق ذلك على كل من يدرس اللغة لأهلها. والأمر يختلف حين تدرس العربية لطلاب لا يحسنون منها قليلاً ولا كثيراً، ولأول مرة سيصادفك طلاب ذوو مستويات متباينة في التلقي، فهناك فئة من الطلاب ألفت الحرف العربي، ونطق الكلمة العربية والجملة العربية كما ينطقها العربي تقريباً، وتتمثل هذه الفئة فيمن تعود تلاوة القرآن الكريم، وحفظ بعض سوره، وقد رأينا من يقرأ القرآن الكريم من المصحف، ولكنه لا يفهم معناه. فهؤلاء وأمثالهم يألفون نطق اللفظ العربي ولا يجدون مشقة في نطقه بقليل من التدريب والتوجيه.

وفي المقابل توجد فئة من الطلاب لم تألف الحرف العربي ولا نطق الكلمة العربية، وتصادف مشقة في نطق بعض الحروف التي تمتاز بأصوات معينة لا توجد في لغاتها مثل الحاء والضاد، والطاء، والظاء، والعين، وهي ظاهرة قديمة

في تعلم غير العربية، وقد أشار الجاحظ إلى صعوبة نطق بعض الحروف مما يعد من عيوب النطق واللسان[١].

تصوَّر أن أمامك طلاباً لا يحسنون نطق كلمة عربية، ولا يعرفون معناها إذا أسمعتهم إياها، وتصور أيضاً أنك لا تعرف لغة وسيطة تستعين بها أحياناً في حال الضرورة في إفهام طلابك، ليس لديك مندوحة إلا أن تستعين بالإشارة إلى الشيء صورة أو رسماً، أو جسداً شاخصاً، تشير إليه مع نطق اسمه، وعليك أن تبدأ أولاً بالألفاظ التي تمتاز بقلة الحروف، وسهولة النطق، والمعنى القريب الذي يعرفه الطلاب. ومن هنا عرفتُ أن أول مرحلة ينبغي أن يبدأ بها في تعليم اللغة العربية هي مرحلة الاستماع، القائمة على تعويد الطلاب سماع الحرف العربي واللفظة العربية، مع الدلالة إلى ما تعنيه الكلمة من معنىً، بالإشارة إلى الصورة المعبرة عنه، مثل الألفاظ: قلم، درج، كتاب، قرأ، سمع، شرب، أكل. جلس، قام. ولتقريب الألفاظ وما تدل عليه من معانٍ، وترسيخها في ذهن الطلاب يمكن أن يستخدم المدرس أسلوب المفارقة والتضاد؛ للدلالة على المعنى وعكسه، مثل: قام وجلس، نام ونهض، ليل ونهار، برد وحر، مشى ووقف. ولكن أرى من الضروري أن نستفيد من الطريقة القديمة في تهجئة الحروف، وهي أول درس يشرع فيه الطالب حينما ينتظم أول مرة في الكُتَّاب أو المدرسة، وتتمثل في حفظ حروف الهجاء مع نطقها نطقاً سليماً؛ لأن هذه الطريقة ستساعده على إلف الحرف العربي، والنطق العربي، وستمهد له السبيل في استيعاب الدروس القادمة.

لم يتح لي تدريس هذه المرحلة المبتدئة حينما عينتُ في المعهد، ولم أكن راغباً في التدريس فيها، لأنها تحتاج إلى مزيد من الخبرة والتجربة الطويلة، وإلى مقدار كبير من الأناة والصبر، واخترتُ أن أُدَرِّسَ فصلاً متقدماً، نال - بالنسبة

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ومكتبة المتنبي ببغداد، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ١/ ١٢ وما بعدها، ص ٦٩- ٧٤..

لمستواه – حظّاً وافراً من دراسة العربية وعلومها، كالنحو والصرف، والتعبير، والأدب، إلى جانب ما ناله من العلوم الإسلامية كالقرآن والحديث، والتوحيد، والفقه، وبعض العلوم المساندة كالتاريخ، ذلك هو المستوى الرابع، وهو آخر مستوى في قسم الإعداد اللغوي، الذي يوجه الطالب بعد تخرجه فيه وحصوله على شهادته إلى إحدى كليات الجامعة، رأيت أن أدرس مادة البلاغة والنقد – بالإضافة إلى العمل الإداري – وسبق أن درست مادة البلاغة في التعليم العام. لم يكن لدى الطلاب كتاب مقرر، ومقررات البلاغة والنقد التي يدرسها الطلاب الناطقون بالعربية فوق مستواهم اللغوي والعلمي، وهي مصممة في أساسها للطلاب العرب، ولا يتوافر كتاب في هذه المادة مصمم للطلاب غير الناطقين بالعربية. كان المعهد بسبيل السعي في وضع منهج متكامل للمقررات في قسم الإعداد اللغوي، بمستوياته الأربعة، وهي مقررات كثيرة تصل إلى ستة وثلاثين مقرراً. فصح العزم على أن أعتمد على الجهد الشخصي في التدريس، وأن أقرب قطوف المقرر للطلاب بالشروع في وضع مذكرة مبتدئة في الأبواب التي أدرسها، وأذكر أنني مَضَيّت في تدريس المقرر دون صعوبة أو عقبات، لقد كانت تجربة في التدريس ناجحة، تكررت مرات. كان الطلاب – وكلهم من طلاب المنح الدراسية – يحرصون على تلقي العلم، ويتطلعون إلى المعرفة، ويقبلون على استيعاب ما يلقى عليهم من دروس، ويواظبون على الحضور، وتجدهم منصتين قد أقبلوا على ما يلقى عليهم من فنون المادة بأبصارهم وعقولهم، يسألون عما يشكل عليهم من لفظة في اللغة أو معنى في جملة أو عبارة؛ أو مسألة في البلاغة أو الأدب أو النقد. كانت مادة البلاغة جديدة عليهم في اللغة العربية، إن عرفوا شيئاً يسيراً منها في لغاتهم، فإنهم يجهلون الشيء الكثير عن البلاغة عند العرب بصفتها علماً له أصول وقواعد، وبصفتها فناً، وما يقال عن البلاغة يقال عن النقد، إذ يترتب على معرفة فصوله وقضاياه ومباحثه أن يكون الدارس متقدماً في درس الأدب، قد اطلع على تاريخه، وعرف مسيرته،

ومارس درس نصوصه؛ لأن الأدب مادة النقد والبلاغة، ولا تدرك بلاغة النص إلا إذا قرأته، ولا تستنبط ما في نصوصه من بلاغة إلا إذا حللتها، وتمهلت في قراءتها. كان الطلاب قد درسوا مادة الأدب في المستوى الثالث ويدرسونها في المستوى الرابع، وهي تجمع بين دراسة النص الأدبي ودراسة تاريخ الأدب، وهي رافد مهم لمقرر البلاغة والنقد.

لمستُ في كلية اللغة العربية منذ أن انتقلت إليها من المعهد في منتصف عام ١٤١٣هـ نتيجة اجتهاد الطلاب الذين تخرجوا في المعهد؛ فقد كانوا في الطليعة طوال دراستهم في جميع مستويات الكلية الثمانية، يظفرون بأعلى الدرجات، ويتسنمون الأولية على فصولهم، ويواظبون على حضور المحاضرات، قد يمضي الفصل وبعضهم لا يتخلف عن محاضرة واحدة، وينفذون ما يوجهه إليهم أستاذ المادة، ويحضرون مراجع الدرس دون تأخير، وينصتون لما يلقى عليهم، ويدونون ما ينثره أستاذهم من فوائد، وليس هذا رأيي فقط، بل رأي جميع أساتذة الكلية بأقسامها الثلاثة. وأعتقد جازماً أنه رأي جميع أساتذة كليات الجامعة الذين درسوا طلاب المنح الدراسية. تمنيت أن يكون طلابنا جميعاً على هذا المستوى اجتهاداً ومواظبة وحرصاً على تلقي العلم، ومنافسة على الأولية في الحصول على أعلى الدرجات.

تجربتي في التأليف:

ليس من الأمر السهل تأليف مقرر لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ لأن منهج التأليف سيختلف – حتماً – عن تأليف مقرر للمتحدثين بالعربية؛ فتأليف مقررات المستوى المبتدئ يفترض أن لا يستند فيها إلى أي معجم لغوي سابق؛ لأن الطلاب الذين سيكلفون بدراستها لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العربية. ومن هنا كانت مرحلة الاستماع والاستعانة بالصورة المعبرة، أو الرسم الذي يختصر معنى اللفظة، من أول ما يتلقاه طالب العربية الذي لا يعرف منها

شيئاً من دروس.وهي مرحلة أولية يدرب فيها الطالب أذنه على سماع الكلمة العربية، ويدرب لسانه على نطقها، ويقرن سماعها ونطقها بفهم معناها. وإذا نجح الطالب في هذه المرحلة الأساس تيسر له اجتياز ما يستقبله من مراحل.

وبعد هذه المرحلة يشرع الطالب في دراسة المقررات الجديدة، وهي بداية لتكوين المعجم اللغوي للطالب، ويتضمن هذا المعجم ألفاظاً ومصطلحات متنوعة تفرضها المقررات المطلوبة، وهي متنوعة، منها علوم دينية، ومنها علوم في اللغة العربية، ومنها التاريخ، وما يقرر من مواد أخرى. وتقدم هذه الألفاظ والمصطلحات بنسب معقولة، وإحصائية محدودة، تمكِّن الطالب من استيعابها وحفظها، واستعمالها في التعبير عن الأشياء. ولابد من بناء كل وحدة دراسية في المقررات على الوحدات الدراسية السابقة فيما يتصل بالألفاظ والمصطلحات التي تضاف إلى معجم الطالب اللغوي. ومن الضروري أن تتضمن كل وحدة دراسية جديدة على عدد من الألفاظ والمصطلحات الخاصة بالمقرر، وخلال عامين من الدراسة الجادة يجد أن حصيلته اللغوية نمت وتكاثرت، وأصبحت تكوِّن معجماً لغويّاً يتضمن آلاف الألفاظ والمصطلحات، وبعملية حسابية يسيرة إذا فرضنا أن الطالب يمضي في دراسة اللغة عامين، تتكون من أربعة مستويات، يدرس خلالها ستة وثلاثين مقرراً، وكل مقرر يتضمن خمس عشرة وَحْدة دراسية ، وفي كل وَحْدة نحو خمس عشرة لفظة جديدة، من ضمنها مصطلحات خاصة بالوَحْدة الدراسية، فكم يصبح عدد الألفاظ والمصطلحات التي عرفها الطالب خلال دراسته، وتكوّن منها معجمه اللغوي والاصطلاحي؟ لا شك أنه سيلغ آلاف الكلمات والمصطلحات، وهو قدر كبير، يؤهل الطالب، أن يدرس الدراسة الجامعية مع زملائه الناطقين بالعربية دون عوائق.

كانت هذه البدايات التحضيرية أمام ناظري قبل أن أشرع في الإسهام في تأليف ثلاثة من مقررات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وكنت منذ أن عينت في المعهد أحرص على اقتناء أي كتاب أو مقرر أو دراسة، أو تجربة تتصل

بتعليم العربية لمن لا يجيدون التحدث بها، فتكونت لدي مكتبة شخصية متنوعة لا أزال أحتفظ بها. من أقدم ما اقتنيته كتاب (تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب: بحث تجريبي، للدكتور فتحي علي يونس[١]، وأصله بحث علمي أجراه المؤلف في قسم اللغات الأجنبية والثقافات بكلية التربية بجامعة مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦م، وأنجزه مطبوعاً في شهر فبراير عام ١٩٧٧م. ويمتاز الكتاب بثلاثة أشياء:

١. رصد البحوث التي سبقته في تعليم اللغة العربية للأجانب وَفْقاً لتسميته، والجامعات والمؤسسات والمراكز والمعاهد التي اهتمت بهذا اللون من التعليم في وقت مبكر. وهو رصد مهم لمن يود أن يطلع على التجارب والخبرات السابقة، ولمن يرغب أن يؤرخ لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وقد استجدت مراكز وأقسام ومعاهد أخرى كثيرة في هذا الميدان، فعلى سبيل المثال ذكر أن في الولايات المتحدة ثمانيةً وثلاثين مركزاً لتعليم العربية[٢]، وهي تفوق آنذاك ما في البلاد العربية كلها.

٢. استفادته من التجربة الأمريكية في تعليم الإنجليزية للأجانب.

٣. استعانته في تصميم منهج تعليم اللغة العربية لغةً أجنبيةً في المستوى الأول باثنين من أساتذة قسم اللغات الأجنبية والثقافات بكلية التربية بجامعة مينيسوتا، والاستفادة من خبرتهما وتجربتهما، وهما مختصان في موضوع البحث.

---

(١) الطبعة الأولى، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

(٢) فتحي علي يونس، تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب (بحث تجريبي)، مرجع سابق، ص ٢٧٢- ٢٧٤.

حدد المؤلف الأهداف التعليمية ـ التي أَعُدُّها مراحل التعلم ـ في أربع خطوات هي: الاستماع - الحديث - القراءة - الكتابة. ويضم كل هدف أو مرحلة جملة من العناصر، ليس هذا موضعَ سَرْدِها[١].

كتب بعض المهتمين بتعليم لغة القرآن الكريم للناطقين بغيرها من اللغويين والتربويين عدداً من الدراسات والبحوث والمناهج المقترحة، غير أنهم لم يقدموا على تأليف مقررات متكاملة مترابطة، يسند بعضها بعضاً، كما فعل معهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية[٢]. وفي إطار هذا الامتياز لجامعة الإمام لا بد من الإشادة بالإصدارات التي نشرها معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى منذ وقت مبكر، مستعيناً بالخبرة العربية - ولا سيما المصرية - في هذا الميدان.

أسهمتُ في صناعة ثلاثة مقررات، اثنين بالاشتراك هما مقرر الأدب للمستوى الثالث، ومقرر الأدب للمستوى الرابع، والثالث استقلالاً، وهو مقرر البلاغة والنقد للمستوى الرابع في قسم الإعداد اللغوي. لم أجد عائقاً في تأليف الكتاب الذي استقللت بصنعته؛ فقد سبق أن كتبته مذكرةً تحت التجريب، أضيف إليها وأحذف وأعدل، وأصوّب طوال تدريسي للمادة. والأمر الآخر الذي أعان على نجاح التجربة أن المقرر لطلاب المستوى الرابع، وهو آخر مستوى يتعلم فيه الطالب اللغة العربية من خلال المواد المقررة. ومعنى هذا أن معجمه اللغوي والاصطلاحي شارف على الختام، وهذا يتيح للمؤلف مجالاً أوسع في اختيار الألفاظ والمصطلحات في توضيح موضوعات المقرر ومفرداته. أما الموضوعات العلمية للمادة فهي ميسورة، لا تتجاوز المباحث الرئيسة أو معظمها في البلاغة، يضاف إلى ذلك بعض موضوعات النقد مثل السرقات الأدبية، وبعض ما يمتاز به الأسلوب والمعاني من خصائص.

---

(١) المرجع السابق: ٢٧٩- ٢٨٩.

(٢) تتكون من ٣٧ مقرراً للطلاب، وخمسة أدلة للمعلمين.

يتكون المقرر من خمس عشرة وَحْدة دراسية موزعة على أسابيع الفصل الدراسي، وذيلت كل وحدة بعدد من التدريبات، لا تتجاوز في الغالب سبعة تدريبات لكل وحدة. وفي نهاية الكتاب معجم الكلمات والمصطلحات التي استجدت في المقرر، مع تصريفها وشرحها، والتمثيل لها، وذكر رقم الوحدة التي ورد فيها المصطلح أو الكلمة.والاطلاع على الكتاب يغني عن التفصيل[١].

صناعة المعجم:

من يضع دراسات تطبيقية أو نظرية لمنهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ومن يؤلف مقررات في تعليمها، لابد من أن يعتمد على معجم لغوي يضم مصطلحات علمية أيضاً في تكوين الدروس أو الوحدات الدراسية. ومع تعدد الوحدات في جميع المستويات ينمو المعجم، وتكثر مواده، ويكبر، حتى يصبح - على سبيل المثال - كالمعجم الوجيز الذي نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وإتقان صناعة المعجم ضرورية لمن يتجه إلى التأليف في علوم اللغة العربية، أو من يمارس تحقيق مخطوطات التراث، أو من يؤلف في علم غنيٍّ بمصطلحاته وألفاظه الخاصة مثل التاريخ، وعلم النفس، وعلم الاجتماع.. وتجربة الصنعة متاحة لكثرة ما ألف من معجمات وموسوعات قديمة وحديثة في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات. ومن يقدم على صناعة معجم لغوي أو اصطلاحي، لابد له من أن يراعي أموراً خمسة:

١. الالتزام بذكر تصريف الكلمة، الفعل الماضي، الفعل المضارع، المصدر مع ضبط ذلك كله بالشكل؛ فقد رأيتُ بعض الحاضرين والمتحدثين يخطئون أحياناً في ضبط الفعل المضارع.

٢. شرح الكلمة أو المصطلح شرحاً دقيقاً واضحاً وافياً بعيداً عن اللبس.

---

(١) نشر ضمن مقررات المعهد.

٣. التفريق بين معنى اللفظة الحقيقي، والمجازي، وقد تدل اللفظة على أكثر من معنى حقيقي، وقد تطلق على معانٍ مجازية كثيرة جداً.

٤. الإشارة إلى العصر التاريخي الذي استعملت فيه اللفظة أول مرة (جاهلي، إسلامي، أموي، عباسي، أندلسي، مملوكي، عثماني، حديث).

٥. ذكر اللغة المنقولة عنها أو المعربة إذا كانت غير عربية.

وقد آن الأوان أن نعيد النظر في معجمات اللغة، ونعيد إليها الحياة من جديد؛ لتلافي التكرار والتداخل، والعشوائية في الترتيب لمعاني المادة اللغوية، ونضيف تاريخاً ولو مقارباً للألفاظ والمصطلحات، وندلل على ما كان أصله من لغة أخرى؛ فالمعجم اللغوي في لغة العرب على الرغم من ضخامته لا يزال في حاجة إلى مراجعة وإكمال، وتنسيق.

وسبق أن نشرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨٩م المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها، ولكنه لا يحقق ما أشرت إليه، فضلاً عن أنه موجه للمتكلمين باللغة العربية، ولكن فيه إضافات على المعجم الوسيط، فيما يتصل بالكلمات والمصطلحات الحديثة إلى زمن نشره، غير أنه لم ينتشر بين المهتمين انتشار المعجم الوسيط، ثم إنه مضى على نشره ربع قرن، استجد فيه كثير من الألفاظ والمصطلحات. وقد لاحظت فيه نقصاً كبيراً في معاني المواد، وإن كان يمتاز على غيره من المعجمات في أنه يسوق الكلمة في مثال؛ لتتضح دلالتها. وهذا يجعله معجماً مفيداً لمتعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها.

ويبقى المجال مفتوحاً لكل ذي خبرة وتجربة وقدرة في أن يسهم في تأليف مقررات لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وفي تأليف معجم لغوي اصطلاحي يتصل بالموضوع.

مؤتمرات وندوات في تعليم اللغة العربية:

حينما كنت أتولى إدارة معهد تعليم اللغة العربية (١٤٠٧ ـ ١٤١٣هـ) وحينما غادرت المعهد إلى كلية اللغة العربية، أسهمت في مؤتمرين وندوتين في تخصص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وكلها عقدت خارج المملكة.

١. المؤتمر الدولي لتطوير تعليم اللغة العربية في باكستان، الذي عقد في جامعة العلامة إقبال المفتوحة في إسلام آباد في باكستان في شهر شعبان ١٤٠٨هـ ـ آذار ١٩٨٨م، واشترك فيه وحضره عددٌ من المهتمين بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من داخل باكستان وخارجها، وقدمتُ للمؤتمر بحثاً عنوانه: (تقويم برامج تعليم اللغة العربية في باكستان)[١]، نوقش في الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر، وكنت أحد أعضاء لجنة التوصيات والقرارات، وشكل المؤتمر مجلساً أعلى للنهوض باللغة العربية مقره جامعة العلامة إقبال المفتوحة يتكون من أحد عشر عضواً، كنت أحدهم[٢].

٢. اجتماع مديري المعاهد العربية المتخصصة في إعداد معلمي اللغة العربية وتدريسها لغير الناطقين بها، الذي دعا إليه ونظّمه جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية . عقد الاجتماع في تونس في شهر صفر عام ١٤١٢هـ ، أيلول ١٩٩١م، واشتركتُ فيه ببحث عنوانه: (تجربة

---

(١) نشر البحث في كتاب (بحوث) الذي أصدرته جامعة العلامة إقبال المفتوحة عام ١٩٨٨م، ص ٧٠- ٩٣.

(٢) انظر تقريراً وافياً عن المؤتمر وقراراته في : الدخيّل حمد بن ناصر، قضايا وتجارب، مرجع سابق، ص ١٠٣- ١٢٦= = وللمزيد عن وضع اللغة العربية في باكستان، انظر: محمود محمد عبد الله، اللغة العربية في باكستان: دراسة وتاريخاً، الطبعة الأولى، وحدة البحوث الإسلامية، وزارة التعليم الفيدرالية بإسلام آباد، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، وسمير عبد الحميد إبراهيم، اللغة العربية وقضية التنمية في باكستان، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.

معهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها)[1]، وألقيت كلمة في جلسة الافتتاح[2].

٣. ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات الأندونيسية: الواقع والمستقبل. عقدت في مقر معهد العلوم الإسلامية والعربية في جاكرتا في شهر جمادى الآخرة ١٤١٣هـ الموافق لآخر نوفمبر وأول ديسمبر ١٩٩٢م، اشترك فيها عددٌ من الجامعات في أندونيسيا، وبعض الجامعات والمدارس والمعاهد من خارجها، وأسهمت ببحث عنوانه: (تجربة معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في المملكة، ومدى الاستفادة منها في تعليم العربية في الجامعات الأندونيسية)[3]، وأوكل إليّ رئاسة لجنة توصيات الندوة وقراراتها[4].

٤. ندوة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في دول مجلس التعاون: الواقع والتطلعات، عقدت في كلية الآداب بجامعة البحرين (قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية) في شهر رجب عام ١٤٢٠هـ الموافق شهر تشرين الثاني (أكتوبر) ١٩٩٩م، اشتركت فيها ببحث عنوانه : (رؤية جديدة في تعليم الأدب العربي لغير الناطقين باللغة العربية)[5].

ونشرت بعض المقالات في موضوع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الصحافة المحلية، وأذعت بعضها من إذاعة الرياض، إلى جانب مقابلات

---

(١) نشر البحث في كتاب: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: قضايا وتجارب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٢م، ص ٦٩- ٩١.

(٢) انظر تقريراً وافياً عن الاجتماع في: الدخيّل حمد بن ناصر: قضايا وتجارب، مرجع سابق، ١٢٥- ١٣٥.

(٣) نشر البحث في المرجع السابق، ص ٧٨- ١٠٤.

(٤) انظر تقريراً وافياً عن الندوة وتوصياتها في المرجع السابق، ص ١٣٦- ١٤٤.

(٥) نشر البحث في: الدخيل، حمد بن ناصر، في خصوصية الأدب ومنهجه، الطبعة الأولى، الرياض، مطبعة النرجس، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص٨٩- ١١٠.

صحفية في الموضوع نفسه، ثم نشرتها في كتابي (مقالات وآراء في اللغة العربية) عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

خاتمة:

تبيّن من خلال التجربة أن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها موضوع قديم حديث، وأن تجربة القدامى غابت عنا بأسسها ومناهجها على الرغم من نجاحها.

التفت العرب إلى تعليم لغتهم لغيرهم حينما رأوا إقبالاً جيداً من الراغبين في اكتساب العربية لغة دين، أو لغة ثقافة وحضارة، أو لغة عمل ووظيفة، أو لغة معرفة. وبدأت التجربة في العالم العربي والإسلامي، وفي الأقسام الشرقية في الجامعات الغربية، وأخذت هذه التجربة في الإثراء لشدة الإقبال على تعلم العربية في السنوات الأخيرة، وبدأت تأخذ مساراً تطبيقياً بعد أن كانت الدراسات النظرية والمقترحات هي الغالبة، ورأينا التجربة تثمر بعض المقررات مثل مقررات معهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام، وجامعة أم القرى، والجامعة الإسلامية، التي وجهت إلى الطالب المسلم المقبولين لديها على منح دراسية. وكان التراث الإسلامي بمفاهيمه وتعليماته وتنوعه ميداناً لهذه المقررات، يأخذ منها، ويَنْهَلُ ويَعُلُّ. ولكن التجربة في حاجة أيضاً إلى مقررات موجهة إلى الطالب غير المسلم الذي يقدم على دراسة العربية لدوافع وأهداف أخرى.

وأخلص من هذا كله إلى ذكر بعض التوصيات التي أراها ضرورية؛ للنهوض بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

١. التوسع في فتح معاهد ومراكز وأقسام في الجامعات العربية؛ تخصص لتقديم لغتنا لمن لا يحسنون نطقها؛ فعلى مستوى المملكة التي تضم

عشرات الجامعات ومئات الكليات لا يوجد إلا أربع جامعات تهتم بهذا التعليم.

٢. إثراء التخصص بالمقررات المنهجية المتكاملة الموجهة إلى المسلمين وغير المسلمين.

٣. المحافظة على ذوي الخبرة والتجربة، وإتاحة الفرصة لهم؛ للاستمرار في العمل أو التخصص الذي عرفوه، واكتسبوا مداخله ومخارجه، فكثيراً ما رأينا أشخاصاً ناجحين في تخصصهم وعملهم، يكلفون بأعمال أخرى لا تمت إلى تخصصهم بصلة، فنفقد الخبرة في فقدان من يملكها.

٤. ضرورة مد يد العون مادياً ومعنوياً إلى جامعات العالم في الشرق والغرب، لافتتاح أقسام أو شعب لتعليم اللغة العربية، وإقناعها بذلك، بضروب من الإقناع مقبولة.

٥. تبادل الخبرة والمعرفة مع الجامعات والمراكز والمعاهد المعنية بتعليم اللغة العربية.

٦. إيفاد مدرسين ذوي خبرة لتدريس اللغة العربية في بعض دول العالم المتقدم، والاطلاع على جهودها في ذلك.

٧. الاهتمام بتعليم أبناء العرب في المهاجر الآسيوية، والأسترالية، والأوروبية والأمريكية[١].

(١) انظر: تعليم أبناء العمال العرب المهاجرين في أوروبا، وثائق ندوة أقامتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومنظمة العمل العربية في باريس ٢٤-٢٧ يناير ١٩٨٣م، تونس ١٩٨٨م.

المصادر والمراجع

١. بالنشيا آنخل جنثالث (١٨٨٩ ـ ١٩٤٩م).

٢. تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، الطبعة الأولى، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٥م.

٣. الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ).

٤. البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ومكتبة المتنبي ببغداد، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.

٥. جامعة العلامة إقبال المفتوحة.

٦. بحوث، الطبعة الأولى، إسلام آباد، ١٩٨٨م.

٧. الجرجاوي، علي بن أحمد (ت ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م).

٨. الرحلة اليابانية، الطبعة الأولى، مصر مطبعة جريدة الشورى، ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م.

٩. الدخيِّل، حمد بن ناصر.

١٠. ـ في خصوصية الأدب ومنهجه، الطبعة الأولى، الرياض، مطبعة النرجس، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

١١. ـ قضايا وتجارب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الطبعة الأولى، الرياض، معهد تعليم اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢. ـ مقالات وآراء في اللغة العربية ، الطبعة الأولى، الرياض، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٣. سمير عبد الحميد إبراهيم.

١٤. اللغة العربية وقضية التنمية في باكستان، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.

١٥. فتحي علي يونس.

١٦. تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب (بحث تجريبي)، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

١٧. محمود محمد عبد الله.

١٨. اللغة العربية في باكستان: دراسة وتاريخا، الطبعة الأولى، إسلام آباد، وحدة البحوث الإسلامية، وزارة التعليم الفيدرالية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٩. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٢٠. - تعليم أبناء العمال العرب المهاجرين في أوروبا، تونس ١٩٨٨م.

٢١. - تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: قضايا وتجارب، تونس، ١٩٩٢م.



الفهرس



الحرف العربي بين جمـال الصورة وإبداع الدلالـة

- د. حمدي سلطان حسن أحمد العدوي

خصائص العربية وأثرها في التعليم

- د. سعود بن عبد الله آل حسين

المستشرقون وقضايا الحرف العربي

- أ.د. محمد بن إبراهيم القاضي

حفظ العربية من حفظ الدين

- د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين

تجربتي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

- أ.د. حمد بن ناصر الدخيِّل



المملكة العربية السعودية
مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
هاتف: 2581082 11 966+ فاكس: 2581069 11 966+
ص.ب 12500 الرياض 11473

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٦٤٨-٥-٥